من املاء روح أمير الشعراء أحمد شوقى

على وسيطة الالهام السيدة حرم الدكتور سلامة سعد





عروس فرعون



وشوقيات جديدة من عالم الغيب

عن الأحداث الجارية وغيرها

مع رأى أعلام الشعر والنثر والأدب

عرض وتحليل بقلم

الدكتور رءوف عبيد

١٩٧١



عروس فرعون

وشوقيات جديدة من عالم الغيب

عن الأحداث الجارية وغيرها

مع رأى أعلام الشعر والنثر والأدب

من املاء روح أمير الشعراء أحمد شوقى

على وسيطة الالهام السيدة حرم الدكتور سلامة سعد

عرض وتحليل بقلم

الدكتور رءوف عبيد

أستاذ بكلية الحقوق

١٩٧١

ملتزم الطبع والنشر

دار الفكر العربى

مطبعة نهضة مصر
الفجالة - القاهرة

الباب الأول

الموضوع بين جانبيه العلمى والأدبى

عرض وتحليل بقلم

الدكتور رءوف عبيد

أستاذ بكلية الحقوق

- عن الالهـام بوجه عام .
- عن مستوى هذا الشعر
- عن هذه الرواية بوجه خاص .
- بين طول الحوار وقصره .
- عن خصائص روايات شوقى .
- عن السيدة الوسيطة .
- ملابسات أخرى .
- كلمة عرفان .

* * *

عن الالهـام بوجه عام

إذا كنت أقدم إلى القارىء العزيز رواية «عروس فرعون»، ومعها هذه الباقة من الشعر والنثر الجديدة التي لم تنشر من قبل - وكلها منسوبة إلى روح شوقى أمير الشعر والشعراء - فإنما أقدم إليـه - فى نفس الوقت - أخطر حقيقة كونية أجمعت عليها الفلسفات العريقة والحديثة فى العالم، وهى حقيقة خلود الروح حاملة العقل والشخصية ... لـكننى أقدم هذه الحقيقة الهائلة هنا فى إطار من عمل أدبى رفيع واقعى ملموس، بعيد عن المناقشات النظرية التى لا ينتهى أمرها، ولا يمكن أن ينتهى، والتى أشعر أن هذا المقام المحدود ليس بحاجة إليها.

من يصدق أن أمير الشعراء الذى ودعناه إلى «مثواه الأخير» فى سنة ١٩٣٢ إنما لم نودع فيه شيئاً على الاطلاق ؟ من يصدق أنه لا يزال حياً يرزق ؟ . . . بل إنه الآن أكثر حيوية مما كان، وأوفر رزقاً وسعادة ، وأقوى رغبة فى الشعر وفى النثر ، وفى أن يبعث بأشعاره ومشاعره ، وآرائه ونصائحه، وحكمه وأخلاقياته، ورواياته ومآثره . . . مما كان فى غابر الأيام قبل أن يتحرر من ردائه الجسدى البالى الذى واراه التراب معنا غير آسف عليه ، وواريناه معه آسفين ، باكين ، مترحمين، مشفقين من بعده على دولة الشعر العذب والأدب الرفيع أن تدول ؟!!

ثم من يصدق أن وسيطة مصرية فاضلة قرينة نطاسى بارع يمكنها أن تحقق هذا الاتصال التاريخى بروح أمير الشعراء على أقوى وجه وأدعاه للثقة وللاطمئنان، فتقدم إلى الناطقين بالضاد فى أمانة تامة ، وفى وفاء كامل ، وفى إنكار مطلق للذات ، كل ما يمليه عليها من أشعار ، جزلة ، رصينة ، مليئة بالحكمة المأثورة ، والبلاغة العالية . واللفتات الرقيقة ؟ ! وهى — مع ذلك — ليست شاعرة. ولا تريد أن ينسب هذا الشعر إليها رغم ما تبذله فى تلقيه من عناء ضخم فى المتابعة يهون إزاءه كل عناء فى التأليف . وهى لو نسبته إلى نفسها لأضحت أشعر الناطقين بالضاد ، ولضمنت لاسمها ذيوع صيت ، وخلود ذكر ، لا يطمع إنسان فى أبعد منهما . . .

وهذه الأشعار بكل ما فيها من خصائص واضحة تتميز بها أشعار شوقى — تكفى وحدها للاقتناع بأن هذه السيدة الفاضلة لا تكتب هذه الأشعار من عندها، بل عن طريق الإملاء من عالم الغيب . والإملاء هنا لا يحدث عن طريق الفم والأذن الماديتين ، بل هو إملاء عقلى ، أو إن شئت فسمه « تلباثى » Telepathy أو « إلهام » intuition ، وهو من صور الإدراك عن غير طريق الحواس Extra Sensory Perception الذى يمثل أرقى صور الوساطات العقلية،

والتى ألقت دراستها أضواء هامة على دراسة الوعى الأسمى subliminal للإنسان الذى وسّع بدوره من مدلول العقل الباطن فى مفهومه الفرويدى البالى[1] .

وهذه الظاهرة الفريدة النادرة بحثت علمياً على أعلى مستوى وأعمقه ، ولمدى عشرات من السنين فى معاهد وجامعات جادة تماماً ، وتوصلت فيها إلى نتائج يقينية حاسمة أثبتت أن التراسل العقلى ، بصرف النظر عن الاسم الذى قد يطلق عليه، ممكن الحصول بين عقلين لا يزالان فى ردائيهما المـاديين ، أو بين عقلين أحدهما لا يزال فى ردائه المادى والآخر قد تخلى عنه عن طريق هذه الظاهرة الطبيعية التى اعتدنا أن نسميها « موتاً » . وما هى فى حقيقتها سوى مجرد امتداد وتحول للحياة من صورة دنيا إلى صورة عليا .

فالموت ظاهرة طبيعية كالميلاد تماماً ، وكلتاهما تـكمل الأخرى كما يكمل شروق الشمس غروبها، وغروب الشمس شروقها ، وهما فى النهاية حركة واحدة من حركات الـكون اللازمة للحياة فى دوامها وعدم انقطاعها فالشمس التى تسقط أمامنا فى الأفق ترتفع فى نفس التو واللحظة إلى أفق آخر تـكفل له وفرة الضياء ، ويكفل لها امتداد الإشراق هكذا الحياة فى ترددها دواماً بين الأضداد، أو ما قد يبدو لنا فى حكم الأضداد تخدعنا دائماً فى كل كبيرة وصغيرة من حقائق هذا الوجود غير المحدود، حتى فى حقائق البقاء والفناء، فنتمثل الفناء بقاء ونتمثل البقاء فناء لأن كل أحكامنا قاصرة. ولأن كل خيالنا محدود بحدود ضيقة جداً مهما بدا لنا غير ذلك

وإذا كان الأمر كذلك فلا ينبغى مطلقاً للعالم المحايد الأمين أن يقف — إزاء هذه الظواهر التى ثبتت علمياً — موقف المـكابر العنيد على غير أساس من منطق علمى أو فلسفى ، ولا ينبغى أن ينـكر صحة هذه الظواهر التى أصبحت

---

(١) نسبة إلى سيجموند فرويد S. Freud عالم النفس النمساوى المعروف .

الآن شائعة مألوفة فى العالم أجمع ، والتى أصبحت أنباؤها تشغل — إلى جانب البيئات المعنية — مكانها فى الصحف السيارة .

ومن ذلك مثلا هذا النبأ الذى قرأته حديثاً فى صحفنا السيارة ونصه كالآتى :
« لندن فى ٦ — ى ب ا : قالت باتريشيا جودرى الكاتبة المسرحية الكندية المهتمة بالعلوم الروحية إن روح برناردشو الكاتب المسرحى الإيرلندى الراحل تحضر كل ليلة وتكتب المسرحيات التى تمليها عليها من العالم الآخر .

وقال زوجها إن روح الكاتب الروسى الراحل أنطون تشيكوف تحضر كذلك ، وتدون باتريشيا ما يمليه عليها ، وأن اللغة الروسية التى يملى بها تشيكوف أعماله من العالم الآخر لا تقف عقبة لأن روح تشيكوف تترجمها بنفسها إلى الانجليزية » . ومع ذلك فليس الموضوع موضوع نبأ أو آخر بهذا المعنى أو بما ماثله ينشر من آن إلى آخر فى الصحف السيارة ، بل موضوع بحوث مدققة ناقدة قام بها لفيف كبير من أدباء ومن علماء كبار فى ظروف متنوعة وفى بلاد متعددة .

فمثلا كان فيكتور هيجو Victor Hugo عملاق الأدب الفرنسى وسيطاً روحياً ، وصاحب دائرة روحية بمنزله بمدينة جيرسى Jersey أخذت تعقد جلساتها بانتظام من سبتمبر ١٨٥٣ إلى يولية ١٨٥٥ ، وقد تم فيها تلقى أشعار رائعة من أرواح شعراء متعددين مثل موليير Molière ، وتراتاو Tyrataeus ، كما تلقى هيجو بيديه رسائل متعددة من روح زوجته المتوفاة .

ومثلا أمكن فى دوائر متعددة تحمل عوامل كافية للثقة فيها تلقى رسائل ومؤلفات كاملة كثيرة من أرواح لورد نورثكليف Northcliffe ، وجيروم Gerome ، وكونراد Conrad ، وجاك لندن Jack London [1] ، وإدجار

---

(١) راجع . Edward Biron Payne : The Soul of Jack London 1927

والاس Edgar Wallace ، وسير آرثر كونان دويل Arthur Conan Doyle[1]، ووليام ستيد W. T, Stead[2] ، وتشارلس ديكنز Ch. Dickens ، وأيضاً روح الشاعر الإيطالى دانتى أليجيرى Dante Alighieri (١٢٦٥ — ١٣٢١) الذى أملى فى أسبانيا ـ بنفس اللغة الإيطالية القديمة التى كان يستخدمها فى حياته الأرضية ـ قصائد رائعة عنوانها « من الأرض إلى السماء » نشرتها فى حينها مجلة « الفجر » الروحية الأسبانية ، وغيرهم من الأدباء والشعراء والعلماء . وهذه المؤلفات تحمل كل خصائص أساليب أصحابها ، واتجاهاتهم، وآرائهم، وتراكيبهم التى تعصى على التقليد ، وهى تعد الآن بالمئات ، وبجميع اللغات .

وهذه الرسائل والمؤلفات ترد أحياناً فى غيبوبة الوسيط، وأحياناً أخرى فى وعيه الكامل . وقد أشارت إلى هذه الظاهرة الفريدة « الموسوعة البريطانية » Encyclopaedia Britannica فى طبعتها الرابعة والعشرين الصادرة فى سنة ١٩٥٦ (مجلد رقم ٢٢ ص ٣٩٨) تحت كلمة Trance أى غيبوبة قائلة ـ بعد أن شبهت الغيبوبة الوساطية بالتنويم المغناطيسى : —

« إن من الظواهر الملفتة للنظر حدوث الحديث التلقائى والكتابة التلقائية automatic speech and writing ، وهما يصدران أحياناً من عدد كبير من الناس الذين يبدون فى صحة عقلية تامة وهم فى حالة اليقظة ، وهم لا تظهر عليهم أية ظاهرة أخرى لشذوذ ما . وقد ازداد الاهتمام بدراسة هذا الموضوع عقب البحوث الدقيقة التى تمت فيها، وغالبيتها كانت بواسطة أعضاء من «جمعية البحث

---

(١) راجع Ivan Cooke : The Return of Arthur Conan Doyle 1956.
Maurice Barbanell: Across The Gulf.

(٢) راجع William Stead : The Blue Island.
وقد ورد عن طريق الوسيط بارودى ودمان، وله ترجمة عربية بقلم الأستاذ عبد الحميد فهمى مطر بعنوان « ميت يتكلم أو الجزيرة الزرقاء » .

الروحى» Society for Psychical Research ممن لهم كفاية جديرة بالاحترام.
وهذه البحوث تتجه نحو إعادة نظرية الاستحواذ القديمة من الخارج external Possession (أى سيطرة روح على الوسيط) فى الوقت الذى كان ينظر فيه إليها على أنها من غرائب الأنترو بولوجى (علم الإنسان) ».

ثم تشير هذه الموسوعة — وهى معروفة بشديد تحفظها و بطريقتها الموضوعية المحايدة — إلى أعمال لفيف من العلماء الكبار مثل فرانك بودمور F. Podmore (١٨٦٥ — ١٩١٠)، و ف. و. ه. مايرز F. W. H. Meyers (١٨٤٣ — ١٩٠١)، ووالترف. برنس Walter F. Prince (١٨٦٣ — ١٩٣٤).

وهذا الأخير عالم نفسانى معروف حقق وساطات عقلية كثيرة منها وساطة السيدة دوريس فيشر Doris Fischer ووضع عنها مؤلفاً خاصاً(١). ومنها وساطة السيدة بول ليونور كارن Paul Leonore Curran وسيطة الروح الناثرة الشاعرة باشينس وورث Patience Worth (٢). واشترك معه فى التحقيق وليام ساخت W. Saght أستاذ علم النفس بجامعة كورنل Cornell.

وقام والترف. برنس أيضاً بتحقيق وساطة السيدة مينى ميزيرف صول Minnie Meserve Soule التى كانت وسيطة «لجمعية البحث الروحى الأمريكية» A. S. P. R. ووضع عنها هى الأخرى مؤلفاً خاصاً(٣). كما قام بمثل هذا التحقيق

---

(١) The Doris Ficher Case.

(٢) The Case of Patience Worth.
وقد أملت هذه الروح من روائع النثر والشعر بلغة القرن السابع عشر الكتب الآتية : —
The Sorry Tale. Hope True Blood. Light From Beyond. The Pot Upon The Wheel. Telka.
وراجع عنها أيضاً: Casper S. Yost: Patienc Worth, A Psychic Mystery

(٣) W.F. Prince & Lydia W. Allison : Leonard and Soule Experiments in Psychical Research Boston 1929.

جيمس هايسلوب James Hyslop أستاذ المنطق والأخلاق بجامعة كولومبيا Columbia بولاية نيويورك، وكانت جميع التحقيقات لصالحها .

ويقرر هيرام كورسون Hiram Corson الأستاذ بجامعة كورنيل فى مؤلف عنوانه « رسائل الأرواح »(١) أنه تلقى عن طريق نفس الوسيطة رسائل شعرية من بعض كبار الشعراء المتنقلين مثل برونتج Browning ، ولورد تنيسون Tennyson ، و هـ . و لونجفلو H.W. Longfellow ، وغيرهم من الشعراء ممن انتقلوا إلى الجانب الآخر من الحياة . وكل هؤلاء العلماء لا يسلمون بصحة وساطة أى إنسان إلا بعد بحوث دقيقة مثابرة تمتد إلى سنين طويلة ، وتتناول جوانب متعددة من شخصية الوسيط أو الوسيطة ، كما تتناول كل جوانب النثر أو الشعر الوارد عن طريق الموهبة الوساطية .

كما تشير نفس « الموسوعة البريطانية » أيضاً إلى أعمال العالم النفسى المعروف مورتون برنس Morton Prince (١٨٥٥ - ١٩٢٩) وإلى البحوث المنشورة فى «جريدة السيكولوجيا الشاذة»(٢) التى تصدر بمدينة بوسطن ، وإلى مضابط «جمعيتى البحث الروحى البريطانية والأمريكية»، وهما أكاديميتان تضمان صفوة من علماء النفس والمادة من عدة دول ، وتعملان متعاونتين منذ أكثر من ثمانين عاماً على أعلى مستوى من البحث العميق الناقد(٣) .

ونضيف إلى ما تقدم التحقيقات المتلاحقة التى جرت لمدى عدة سنوات بين عامى ١٩٢٤ و١٩٣٠ على الوسيطة الأمريكية مارجرى Margery عقيلة الدكتور كراندون Crandon أستاذ الجراحة بجامعة هارفارد، والتى جرى بعضها بإشراف الدكتور وليام مكدوجال W. Macdougall أبرز علماء النفس وقتئذ • وقد

---

(١) Spirit Messages, Rochester 1914 .

(٢) Journal of Abnormal Psychology.

(٣) وتصدر كل منها جريدة ، ومضابط Proceedings منتظمة بأعمالها .

نجحت الوسيطة في الكتابة الصحيحة باللغتين الصينية واليابانية، وهي لا تعرف منهما حرفاً واحداً، وكانت تروح أحياناً في الغيبوبة وأحياناً أخرى بدون غيبوبة[١]

ثم تنبغي الإشارة إلى البحوث التي جرت على الوسيط البرازيلي كارلو ميرابللي Carlo Mirabelli الذي أخضع نفسه منذ سنة ١٩٢٦ لتحقيقات « أكاديمية الدراسات الروحية » Academia de Estudos Psychicos بالبرازيل خلال ثلاثمائة واثنتين وتسعين جلسة (لاحظ الرقم) قبل أن تكتب الأكاديمية تقريرها عنه، وقد ورد فيه أنه نجح في التكلم بست وعشرين لغة، وفي الكتابة بثماني وعشرين لغة لا يعرفها منها العربية. وذلك بالإضافة إلى الحديث بثلاث لغات مندثرة وهي الهيروغليفية، واللاتينية، والكلدانية !!.

وقد درس وساطته أيضاً عدد من أحسن علماء الباراسيكولوجي ومنهم العلامة الألماني المعاصر هانز جيرلوف Hans Gerloff في مؤلف له عنوانه « الوسيط كارلو ميرابللي »[٢].

* * *

وقد أجمعت المراجع بشتى اللغات على أن الغيبوبة ليست شرطاً لهذا الإملاء الذي يصل إلى العقل عن طريق قنواته المخبوءة، فكما يوجد إلهام غير واع يوجد أيضاً إلهام واع، وذلك لطائفة من الوسطاء يطلق عليهم في المعتاد وصف « ملهمين » أو بالأدق « غامضين أو مبهمين » Mystics لأنهم يكتبون ويصلون إلى ذروة الإبداع بأساليب غامضة تغاير الأساليب المألوفة، وتصدر عنهم كتابات تشير كل الشواهد إلى أنها ليست من عندياتهم لأنها تتجاوز كثيراً مدى قدراتهم ومعلوماتهم، كما قد تغاير اتجاهاتهم العقلية والأدبية والعاطفية والروحية ...

---

(١) راجع في شأن هذه الوسيطة « طول الإنسان روح لا جسد » ١٩٧١ ج ١ ص ١٧٩ — ١٨٥، ٧٤٠ — ٧٦٦ .

(٢) Das Medium Carlos Mirabelli 1960.

ومن أحسن المؤلفات أيضاً فى هذا الشأن رسالة للدكتور شابانيه Chabaniex عنوانها « العقل الباطن عند الفنانين والعلماء والكتاب »(١) ، ومؤلف تقليدى معروف للسيدة إيفلين أندرهل Evelyn Underhill عنوانه « التصوف أو الإبهام »(٢) ، وفى نهايتهما يجد القارىء بياناً بالعشرات من المراجع بشتى اللغات ذات الطابع العلمى الصرف ، لمن يريد الاستزادة من دراسة هذا الموضوع الذى يمثل أخطر موضوعات العلم والفلسفة التى تهم أى عقل مفكر ، أو تلك التى ينبغى أن تهم كل باحث جاد عن الحقائق الخطيرة بعيداً عن الافتراضات المرتجلة .

وفى الجملة فإن التجارب المقنعة فى هذا الشأن تكاد لا تحصى ، ومنها مثلاً — بالإضافة إلى ما تقدم — ما رواه سير وليام ت . ستيد W. T. Stead نقيب الصحافة البريطانية من أنه كان يحضر جلسة وساطية مع الأديبة جودريتش فرير Goodrich Freer وكان الوسيط يدعى د . أندرسون D. Anderson ، ولما ذهب فى غيبوبته أنبأ الأديبة آنفة الذكر عن اسم بطل إحدى رواياتها ، وبعض أحداث هذه الرواية التى لم تكن قد نشرت بعد ، لأن الأرواح أكدت له أن هذه الرواية مملاة من عالم الروح عن طريق التأثير فى عقل الأديبة من ذلك الجانب الروحى دون أن تدرى هى نفسها(٣) .

---

(١) Le Subconscient Chez Les Artistes, Les Savants, et Les Ecrivains .

(٢) Mysticism 1955.

ويلاحظ أن هذا التعبير ينصرف فى نظر المؤلفة إلى معنى « فن الاتحاد بالحقيقة » ووسيط « الإلهام بالروح mystic هو « ذلك الذى يصل إلى هذا الاتحاد بدرجة تتفاوت فى قوتها ، أو هو ذلك الذى يتطلع إليه أو يعتقد أنه وصل إليه » .

(٣) عن « موسوعة علم الروح » Encyclopædia of Psychic Science, تحت عنوان « إلهام » ص ١٨٤ . inspiration P. 184 .

ومثل هذه المعانى نجدها فى كتاب للوسيطة البريطانية المعروفة هستر ترافرز سميث Hester Travers Smith عنوانه «أصوات من الفضاء»[١] بتقديم من سير وليام باريت W. Barrett عضو «الجمعية الملكية لتقدم العلوم» (المجمع العلمى).

كما عالج هذا الموضوع نقيب آخر للصحافة هناك هو الكاتب الاشتراكى المعروف هانن سوافر H Swaffer الذى استجوب عدداً كبيراً من الفنانين والأدباء المبرزين حول الطريقة التى حققوا بها إنتاجهم الفنى أو الأدبى، فأسندت غالبيتهم هذا الإنتاج إلى مصدر فوق المألوف supernormal وقد شرح ذلك فى مؤلف له عنوانه «مغامرات مع الإلهام»[٢]، بالإضافة إلى مؤلفاته الروحية الأخرى مثل «عودة نورثكليف»[٣]، و «أحاديثى مع الموتى»[٤]، و «قصتى العظمى»[٥]، و «دراسات فى علم النفس»[٦].

والحديث عن نقيب الصحافة هانن سوافر يجر حتماً إلى الحديث عن أبرز روح مرشد معروف الآن وهو «سيلفر بيرش» Silver Birch (الغصن الفضى) ووسيطه الأستاذ موريس باربانيل Maurice Barbanell الذى يشغل حالياً منصب رئيس تحرير جريدة «الأنباء الروحية» Psychic News اللندنية.[٧]

فإن هذا الروح بدأ فى الإرشاد بالحكمة والفلسفة فى دائرة هانن سوافر، ثم ظل

---

(١) Voices From The Void. 1919.

(٢) Adventures with Inspiration 1929.

(٣) Northcliffe's Return 1924.

(٤) My Talks With The Dead.

(٥) My Greatest Story 1944.

(٦) Studies In Psychology 1933.

(٧) عنوانها كالآتى: 23 Great Queen Street. London W.C2B 5BB England
وبها أكبر مكتبة فى العالم لنشر الكتب الروحية.

قائماً به لغاية الآن ، فأملى - بالأقل - عشرة كتب على وسيطه الأستاذ باربانيل أجمع النقاد فى جميع البلاد على أنها تمثل ذروة الأدب والحكمة والفلسفة، التى ليس لأى إنسان مصلحة فى التنصل منها. ولا قدرة على هذا التنصل، فلماذا يفعل ذلك الوسيط إذا كان هو صاحبها الحقيقى ؟!

ولا يقل عنه فى ذيوع الصيت الروح المرشد هوايت إيجل White Eagle (النسر الأبيض) الذى يملى بدوره كتباً مماثلة تنبض بالحكمة والفلسفة على وسيطته السيدة جريس كوك Grace Cooke (وأحياناً بالاشتراك مع الأستاذ إيفان كوك Ivan Cooke) وتلقى كتبه رواجاً كبيراً إلى حد أن أصبحت للروح دار نشر خاصة تحمل اسمه[١].

ومن ثم فإنه لا يسعنا هنا إلا أن نردد مع المرحوم العلامة محمد فريد وجدى قوله فى هذا الشأن « ونحن نقول بعد عرض هذه الأقوال أمام نظر القارىء إن حركة الاعتقاد بالروح فى العصر الحاضر تفوق كل حركة تقدمتها ، وإن البرهان المحسوس على وجود الروح وخلودها صار على طرف التمام لكل طالب ، فياليت رسل الظلمة يفتحون أعينهم لمشرق هذا النور المنبعث فى كل مكان فيقلعون عن تسميم النفوس بكتاباتهم الإلحادية والله من ورائهم محيط »[٢] .

وإذا كان العلامة وجدى قد أعلن هذا الرأى الحاسم منذ سنة ١٩١٣ فى موسوعته المعروفة فماذا يمكن أن يعلن الآن فى سنة ١٩٧١ بعد أن دخلت البحوث الروحية إلى عدد من أعرق الجامعات فى الخارج ، وتكشفت عن أخطر الحقائق التى تتضاءل أمامها كل الكشوف العلمية الأخرى ؟!

---

(١) عنوانها كالآتى : The White Eagle Publishing Trust New Lands, Hampshire, England.

(٢) عن « دائرة معارف القرن الرابع عشر إلى العشرين » ١٩١٣ ج ٤ ص ٤٠٠ تحت كلمة « روح » .

وإلامَ نظل بمنأى عن هذه الحركة الباهرة التى قوضت تماماً فى الغرب — أو كادت — دعائم المادية والإلحاد ؟ وإلامَ هذا العزوف الضار عن موضوع الروح الذى كان فى عصور نهضتنا هو نبراسنا ، وهو تراثنا الأصيل من الأولين ؟! والذى يقع دائماً فى الأساس من كل حضارة حقيقية عرفها البشر منذ فجر التاريخ الإنسانى لغاية الآن ؟! ..

* * *

ومن أغرب ظواهر هذا الإلهام الروحى التى شغلت الرأى العام فى الخارج فى سنة ١٩٧٠ ، ولا تزال — والتى قد لا يخلو ذكرها هنا من فائدة للقارىء — حالة الوسيطة المعروفة روزمارى براون Rosemary Brown التى تعرف مبادىء متوسطة عن الموسيقى والنوتة الموسيقية ، والتى تقرر أنها تتلقى قطعاً موسيقية كاملة من أرواح ليست Liszt ، وبيتهوفن Beethoven ، وشوبرت Schubert ، وشوبان Chopin ، وباخ Bach ، وديبسى Debussy !!

وليس المهم هو أقوال الوسيطة ، بل المهم هو آراء الخبراء الموسيقيين الكبار الذين استمعوا إليها فى بريطانيا وإيرلندا وأمريكا ، والذين لاحظوا التشابه العظيم بين خصائص موسيقى هؤلاء العباقرة الكبار كما يعرفونها ، وكما يستمعون إليها من الوسيطة ، ومن إسطواناتها وأشرطتها المسجلة . ومن هؤلاء مثلا أيان باروت Ian Parrot أستاذ قسم الموسيقى بجامعة ويلز منذ عشرين عاماً حتى الآن(١) . الذى أعلن أنه — بعد تحقيق دقيق طويل —

---

(١) Dept of Music, University College of Wales, Aberystuyth.

يقبل صحة وساطة روز مارى براون، والمصدر الروحى لموسيقاها[١] .

والوسيطة تقرر أنها منذ السابعة من عمرها تتلقى إلهاماً موسيقياً من الموسيقار المجرى «فرانز ليست» بالذات، وأنه هو الروح المهيمن الرئيسى عليها لغاية الآن، بعد أن أصبحت أماً لطفلين . وأصبحت قادرة على تلقى الإلهام الروحى من عباقرة آخرين غيره . لكن « ليست » لا يزال أقدرهم فى الهيمنة على وعيها بمهارة

عن مستوى هـذا الشعر

والسيدة الفاضلة قرينة الدكتور سلامة سعد تلقت عن طريق موهبتها الوساطية الفذة هذه الرواية الطويلة - إذا قيست بروايات شوقى الأخرى — كما تلقت أيضاً العشرات من القصائد التى تتدفق روعة وإعجازاً ، ومعها نثراً فنياً كثيراً من نفس الروح على غرار « أسواق الذهب » و « شيطان بنتاؤور » و « أميرة الأندلس » .

وقد ابتدأت فى تلقى الشعر منـذ شهر أكتوبر من سنة ١٩٤٩ أى منذ أكثر من عشرين عاماً ، وقد كانت فى مبدأ الأمر وسيطة معالجة فأصبحت مع الوقت وسيطة ملهمة أيضاً . وهى لا تزال تتلقى الشعر فى تدفق وغزارة عجيبة الشكل، حتى لقد جاوزت أبيات إحدى قصائدها الحديثة مائتى بيت، وعنوانها « هذا نداء الخلد يهتف عالياً » وهى تفيض بلاغة ، وحكمة عميقة مأثورة . ولقد أحسن فى وصف هذه القصيدة فضيلة الأستاذ الشيخ محمد زكريا البرديسى رئيس قسم الشريعة الإسلامية « بجامعة عين شمس » — وهو الأديب الشاعر المطبوع — عندما قال فيها « لا أركب شططاً فى القول إذا قلت إنها من أعلى مستوى فى شعر شوقى . فهى تزيد على الشوقيات فى بلاغتها ، ورصانة أسلوبها ، وجزالة معانيها » .

---

(١) للتفاصيل ونص هذا التقرير وغيره راجع :

Psychic News : No. 1981 on23 May 1970, No, 1983 on 6 June, No. 1988 on 11 July, No. 1990 on 25 July 1970

وقد أجرت هذه الوسيطة تجاربها بنجاح عدة مرات فى التليفزيون فى بريطانيا، وايرلندا، وأمريكا أمام جمهور غفير من نقاد الموسيقى وخبرائها المعروفين .

وجميع الأشعار المنسوبة إلى روح أمير الشعراء ، بما فيها هذه الرواية . قد عرضتها تباعاً على لفيف من أكبر العلماء ، والأدباء ، والشعراء ، المتخصصين فى شاعرية شوقى بالذات ، فكان الرأى الواضح الصريح لمصلحة هذا الشعر ، ولصحة نسبته إلى مصدره ، وذلك بعد دراسة متأنية امتدت عندهم إلى شهور طويلة ، وشملت الآلاف من الأبيات . ومن هؤلاء أعضاء كبار فى « المجمع اللغوى » ، وأساتذة أدب ونقد وعروض من أرفع طراز فى الجامعات كلها ، وأعضاء فى « المجلس الأعلى لرعاية الفنون والآداب والعلوم الاجتماعية » . ومنهم أبناء لمدرسة شوقى ، وأعلام يدينون لها بما نهلوا من ينبوعها العذب الرقراق .

وأى واحد من هؤلاء لا يمكن — ولو منفرداً — أن ينخدع عن مستوى هذا الشعر ، وعن مدى توافر خصائص شوقى فيه . ومدى احتمال التقليد ، لأن شوقى كان شاعر الفطرة ، أما التقليد فهو محض صناعة ، والفارق بين شعر الفطرة وشعر الصناعة كالفارق بين اللونين الأبيض والأسود ، فلا يمكن أن يفوت أمره على أى إنسان ولو بالعين المجردة و بالنظرة العابرة السريعة ، فما بالك بالبحث المتأنى الناقد الذى يطول لشهور كثيرة ، ويتناول الآلاف من الأبيات المملاة والذى يضطلع به عدد وفير من خبراء كبار وعلماء أجلاء ؟ ! (١)

ولا تتسع هذه المقدمة للخوض فى الأسانيد العلمية التى قدمها جميع الباحثين المنقبين عن خصائص شعر شوقى فى قصائده المملاة من العالم الآخر . كما لا تتسع للخوض فى سائر أسانيد علم الروح الحديث Psychic Science التى لا تعد هذه البينة — رغم ضخامتها وقيمتها العلمية القصوى — سوى قطرة ضئيلة فى بحر زاخر ، يطوى حقائق باهرة لا آخر لها ، حتى لقد أصبح هذا العلم الجديد القديم

(١) راجع فيما بعد طائفة من آراء هذه الصفوة من الخبراء والعلماء .

يوصف الان فى البيئات المعنية به بأنه « علم العلوم » أو « العلم الآتى » . ولذا تبوأ مكانه اللائق به فى عدد وافر من الجامعات العريقة ، ووصل إلى نتائج مذهلة عن الإنسان تزرى بأضخم ماوصلت إليه مجتمعة سائر المعارف التقليدية فى « علوم الإنسان » ومنها بوجه خاص علم النفس التقليدى



ولقد عنيت منذ أكثر من ربع قرن بدراسة أخطر جوانب هذا العلم . وما تكشف عنه من حقائق عميقة الغور بعيدة المدى حتى كونت اقتناعاً علمياً مترابطاً ، فلم يكن اقتناعى سهلا ولا مبتسراً ولم تكن البينة المستمدة من أشعار روح شوقى سوى مكملة للمئات من البينات الأخرى التى اطلعت عليها ، والتى يتضمنها هذا البنيان العلمى الضخم الذى يمثله « علم الروح الحديث » متضامناً مع حقائق العلوم الأخرى من علوم نفس ، وأخلاق ، وفلسفة ، وفيزياء ، وفلك ، وفسيولوجيا ، وبيولوجيا ، واعتقاد ، وغيرها . .

عن هـــذه الرواية بوجه خاص

فلأقصر الحديث هنا إذن على هذه الرواية الشامخة « عروس فرعون » التى تعالج فترة مشرقة من تاريخ مصر الفرعونية منذ بضعة آلاف سنة عند ما كانت حضارة الفراعنة فى أوج ازدهارها ، ومعبد الكرنك يموج بأسباب الرهبة ، والروعة ، والحياة . وكانت مصر عزيزة الجانب رفيعة المكانة بل سيدة هذه المنطقة ، أو إن شئت العالم القديم كله ، وكان جيرانها يخشونها ويحسبون ألف حساب وحساب لرضاها وغضبها ، ولصداقتها وعداوتها .

وهى من هذه الناحية تختلف عن الجو الذى جرت فيه أحداث « مصرع كليوباترا » ، أو « قمبيز » ، أو « على بك الكبير » حيث كانت مصر الفرعونية قد فقدت أهم مقومات سيادتها وأضحت نهباً لأطماع الغزاة الفاتحين ، حيرى بين هذا وذاك ، وبين أسباب المقاومة والإذعان . ولعل روح شوقى قد تعمد فعلا أن يختار هنا جواً جديداً من هذه الناحية ، كيما يذكر المصريين بمجدهم الغابر، ويرفع معنوياتهم ويستثير هممهم وبطولاتهم، وذلك رغم أن العدوان الغادر لم يكن قد وقع بعد، إذ هو فرغ منها فى غضون سنة ١٩٦٥، لكنه على أية حال كان عدواناً متوقعاً فى كل لحظة ممن يعرفون حقيقة إسرائيل الدخيلة ، وحقيقة نواياها السوداء فى المنطقة كلها ، وكيف أنها كانت ولا تزال تتحين كل فرصة لتحقيق أغراضها التوسعية الفاجرة .

ولذا نجد الروح قد ملأ هذه الرواية بمشاهد البطولة والفداء ، وبأشعار الوطنية العالية والعزيمة الماضية على لسان « آمو » فرعون مصر ، وعلى لسان « إخنى » قائد جيشه ، وعلى لسان روح الشهيد التى كانت ترتاد المعبد تحيي « أونوس » الكاهنة الوسيطة التى كانت أمله ورجاءه وخطيبته قبل انتقاله من دار الفناء إلى دار البقاء . ولكى تسيل هذه الأشعار غزيرة متدفقة فلا بد لها من معارضة، والمعارضة هنا تجىء على لسان « نفرين » ملكة مصر ، كما تجىء على لسان الفيلسوف أمين المكتبة ، وليمو رئيس الحكام ، ثم على لسان رئيس الكهنة، لكنها كلها معارضة جوفاء ، تنتهى غالباً بانتصار العزيمة الماضية على التراجع والضعف .

كما تستهدف هذه القطعة الأدبية الرائعة هدفاً آخر لا يقل عن سابقه روعة وجمالا ، وهو عرض « الحقيقة الروحية » على الجمهور فى كل وضوحها وبساطتها — وتأصلها فى أذهان الناس وعقائدهم — ببلاغة معهودة وحكمة فياضة ، هذه الروحية التى تعد أعمق منبع للأخلاق القويمة ، وأقوى مصدر

لبثَّ روح الفداء . والبطولة المضحية الحقيقية .

ولتحقيق هذا الهدف النبيل يجعل شوقى الوسيطة عبارة عن كاهنة شابة كانت بحسب أحداث الرواية خطيبة لجندى استشهد فى حرب البطولة والفداء ، وهذه هى « أونوس » التى تمثل أعلى درجات النبل والوفاء، والعاطفة المتأججة نحو خطيبها الشهيد، إلى حد أنها بعد استشهاده مباشرة واستماعها إلى نداء المجهول لها على لسان فتاها الشهيد هذا تزهد فى الدنيا تماماً وتؤثر أن تهب نفسها كاهنة عذراء لهذا المعبد العظيم ، فلا تجدى معها نصائح من يحاول ثنيها عن عزمها هذا، حتى ولو كانت النصائح من ملكة مصر نفسها، ومن زميلتيها الوصيفتين «مارا» و « تيموس » .

وبذلك تصبح هذه الوصيفة الشابة كاهنة ومتعبدة تهيم بروحها لأوج السماء ، فتلقى أجمل الشعر فى التصوف والدعاء ، وتناجى الغيب كلما خلت إلى نفسها غير آسفة على الدنيا الغادرة وأحلامها الجوفاء . وأونوس هذه مرة تجدها « أونس »، ومرة تجدها «أون»، ومرة على حالها «أونوس» ، لأن «الأسماء فى شعر شوقى متحيرة لا تستقر على نطق ولا تطمئن إلى شكل ، وربما رجع هذا إلى كونها أعجمية على الشعر العربى دخيلة ، وليست أصيلة» على مايلاحظه الدكتور جمال الدين الرمادى[1] .

ولتحقيق نفس هذا الهدف النبيل أيضاً يجعل المؤلف روح الشهيد البطل تلقى فى المعبد — وهى محجبة غير منظورة من أحد — رسائل تفيض حكمة وبلاغة ، كما تفيض اطمئناناً وحيوية ، وتعلو بحكمتها حتى على حكمة رئيس الكهنة ، فتصفه رئيسة الكاهنات « بالألمعى » ، ونجده يطمئن

---

(١) فى مؤلفه عن « مسرحية كليوباترة بين الأدب العربى والأدب الإنجليزى » ص ٧٣ ويضاف إلى ذلك بداهة ضرورات الوزن والقافية.

العابدين والعابدات على مصير المعركة ، وعلى مستقبل البلاد ، وانتصار الحق والعدل رغم كل المخاوف التى تحيط بها فى نفوس الحاضرين .

* * *

وفى هذه الرواية أكثر من موقف غنائى من نوع المواقف المألوفة فى روايات شوقى الأخرى ، ولهذا نجده يجعل من ضمن شخصياتها « ينشو » مطرب الملك ، وشخصية شاعر يبدو حريصاً على إلقاء قطعتين من الشعر الرقيق فى الحفل الساهر ، وذلك لأن أحمد شوقى على ما لاحظه الدكتور شوقى ضيف فى تحليله الدقيق لشعر شوقى المسرحى — «لا يريد أن يمثل فحسب ، بل يريد أن يشعر وينظم أيضاً . وكان من حظ شوقى وحظ الأدب العربى أنه بدأ شاعراً غنائياً ، وأنه بلغ الذروة فى شعره الغنائى ، فلما انتقل إلى الشعر التمثيلى لم يفقد هذا الشعر عنده الخصائص البلاغية للشعر العربى ، بل استمر يجرى فى نفس الأوعية الخيالية ، وعلى نفس الأدوات الموسيقية التى عرفها هذا الشعر ، وعاش فيها مئات السنين .

ونحن لا نقف فى وصف الحملات التى وجهت إلى شوقى لاستخدامه أوزان الشعر الغنائى ولغته ورواسبه المختلفة ، بل نحن نظن ظناً أنه لو لم يصنع ذلك لسقطت تمثيلياته وخرجت على أذواق من يتكلمون الضاد ، وما استطاعوا أن يسموها شعراً ، ولا أن يسلكوها حتى فى عداد النظم . حقاً أطال المواقف كأنه لم ينسَ شخصيته الغنائية أو كأنه لا يذكر أنه بصدد حوار لا بصدد تأليف قصائد ، ولكنها مواقف محدودة .. »[1] .

ثم يقول نفس المؤلف فى وصفه لمسرحية « مصرع كليوباترا » : « واستباح

---

(١) عن مؤلفه « شوقى شاعر العصر الحديث » ١٩٥٣ ص ١٩٩ — ٢٠٠ .

شوقى فى هذه المسرحية كما استباح فى مسرحياته الأخرى أن يدير الحوار على جميع الأوزان والبحور الشعرية ، يتنقل بينها كما يريد حسب حاسته الفنية . وعلى نحو ما استباح الأوزان استباح القوافى فتنقل بينها تارة يقول على الراء وأخرى على الباء أو على غيرهما من الحروف محكّما فى ذلك أذنه وذوقه الفنى الذى صاغه فأحكم صياغته ، وضبطه ضبطاً دقيقاً بتوالى الأيام والسنين وقد نزل عن المستوى اللغوى الصعب الذى كان يتبعه أحياناً فى قصائده ، واختار مستوى لغوياً جديداً يلائم الجمهور والنظارة ليس فيه غرابة ، وليس فيه تعقيد ، وليس فيه أيضاً عامية ولا ابتذال ، وكأنه الجدول الرقراق ينحـــدر فى لين وهون وسهولة ، أو كأنه شراب مصفّى اختلفت ألوانه بما يلمع على آنيته من أجنحة الخيال ، بل لـكأنه موسيقى خالصة تأتلف من ألحان عذبة ساحرة »[1] .

وإدارة الحوار على جميع الأوزان والبحور الشعرية ، والتنقل على جميع القوافى مع تحـكيم الذوق الفنى ، واختيار المستوى اللغوى السهل الذى يلائم الجمهور والنظارة مع حسن اختيار البحر الذى يناسب بموسيقاه المعنى وسياق الحديث ، كل هذه صفات قد تفرد بها شوقى شاعر الفطرة ، وهى ليست فى مقدور أى شاعر أو شاعرة بل هى من مميزات فطاحل الشعراء الذين قال فيهم شيللر إنهم « ليس عليهم إلا أن يهزوا جذع الشجرة فتتساقط عليهم ثمار جنية ، ويغلب أن تنشأ الأشعار فى أذهانهم من تلقاء ذاتها ، ولا دخـــل لإرادتهم فيها ، بل رغم إرادتهم أحياناً » .

ولذا كان شوقى — كما يقرر خليل مطران — « لا يكد فـكره ولا يجهده فى معنى أو فى مبنى » وذلك لأنه كان شاعر الفطرة والفطرة تتنافر مع إجهاد الفـكر فى معنى أو فى مبنى لقول الشعر ، وهى التى تفسر وحدها هذا التدفق فى الشعر مع ، سهولة التنقل بين المعانى الجميلة ، والبحور الصعبة النادرة ،

---

(١) عن المرجع السابق ص ٢٠٢ .

والقوافى التى تحير عباقرة اللغويين ومهما تفاوتت فيها أذواق القراء أو النقاد ، على النحو الذى يمكن أن يلاحظه فى يسر ووضوح قارىء رواية « عروس فرعون » هذه .

* * *

ثم هناك موسيقى شوقى الشعرية التى هى إحدى العلامات المميزة لشعره ، والتى تعصى على التقليد تماماً ، والتى يقول فيها الدكتور شوقى ضيف « وأوتى شوقى من حلاوة موسيقاه وعذوبتها مع روعتها وفخامتها ما جعلنا نشبِّه آياته الكبرى منها بالسمفونيات الخالدة . وموسيقى شوقى فى شعره هى لب إبداعه ، وبها كان يظفر دائماً بخصومه ، فقدكانوا يحاولون أن يردوا الناس عنه ، فكانوا يعرضون عنهم ، وينصرفون عن نقدهم ، ويتهافتون على شعره كما يتهافت الفراش على النار .

ولا تزال أشعار شوقى ترن فى آذان العرب ،ولا يزالون ينجذبون إليها ، وكأنها مغناطيس العصر الشعرى فهى مفزع قلوبهم ومهوى أفئدتهم . وبجانب هذه الموسيقى نجد الخيال المتألق الذى يعرف كيف يلتقط الصور البعيدة ،وكيف يملأ الدنيا بأشباحه وأوهامه .

والموسيقى والخيال الحالم هما أهم المكونات لشعر شوقى وصناعته ، أما العاطفة فغير فياضة . وشوقى من الشعراء الغيريين الذين لا يحسون أنفسهم إحساساً كاملا ، وحتى ما نجده عنده من عواطف يغلب أن يكون قد اقترضها من الغير بحكم غيريته ، وعدم اهتمامه بذاته . . . وربما كانت أروع عواطف شوقى العاطفة الوطنية ، وعنها صدر فى فرعونياته أو قل فى ملاحمه المصرية . . . »[1]

---

(١) عن المرجع السابق ص ٢٧٨ ، ٢٧٩

بين طول الحوار وقصره

هذا وقد لاحظت عندما تسلمت أصول هذه الرواية أن الحركة فيها بطيئة نوعاً، وأن الحوار فيها أطول - عادة — مما ألفناه فى روايات شوقى الأخرى. فأثار عجبى هذا التفاوت غير المتوقع، ولكن عجبى مالبث أن تبدد تماماً عندما بحثت فى أسلوب شوقى فى تأليف رواياته، وعرفت كيف أنه كان يصوغها أولا فى صورة قصائد مطولة، ثم يوزعها أجزاء فى صورة حوار بين شخصيات رواياته.

وفى هذا المعنى يقرر الأستاذ الدكتور ضيف « إن شوقى كان يفكر فى شعره المسرحى و ينظمه بنفس الصورة المعروفة فى الشعر الغنائى. فهو يتألف فى شكل قطع لا فى شكل حوار، ثم توزع القطع بين المتحاورين، ويزاد عليها ويضاف من حين إلى حين».

كما يقول — بعد أن فحص بعناية بعض مسودات رواية مجنون ليلى بخط شوقى نفسه — إنه «كان يحضر الأبيات قبل أن يحضر لها الحوار والموضوع! وتعقب ذلك قطعة كبيرة موجودة فى المنظر بكاملها وتنتهى المسودة بقطعة من الرجز، وهى فى المنظر تأتى قبل القطعة السابقة لها، وعلى الهامش بيتان لم يردا فى المنظر.

وأظن فى ذلك ما يتيح لنا عن بينة أن نحكم على شوقى فى صناعته لمسرحياته بأنه كان يضعها قطعاً، وكان طبعاً يفكر فى أنها حوار، ولكن هذا التفكير كان ثانوياً، فهو يفكر أولاً فى القطعة المنظومة، ثم يجريها على ألسنة المتحاورين ولا شك فى أن هذا أضعف بناءه المسرحى، لأنه عَنى بالشعر أكثر مما عنى بالحوار والمسرح فاختل التوازن فى أحوال كثيرة.

---

(١) عن « شوقى شاعر العصر الحديث » ص ٦٤ — ٦٨

ودعاه هذا الموقف أن يكون تنقيحه فى مسودات المسرحية أكثر جداً من تنقيحه فى مسودات القصائد ، لأن القصائد لا تحتاج أكثر من نظم الخواطر ، أما فى المسرح أو فى المسرحية فلا بد من ملاحظة المتحاورين وضرورات الحوار فى المنظر الخاص ، ولذلك كان يحذف قطعاً برمتها أو يعدّلها كما رأينا فى المسودة الثالثة » ..

وكل هذا حدث من الروح فعلا أثناء الإملاء ، على ماروته لى السيدة الوسيطة، وكم قاست منه إعياء وإجهاداً، ولعل آثاره لا تزال بادية فى بعض أجزاء من الرواية لغاية الآن، ولقد نقحها الروح بنفسه مرة، ونقح بعض أجزائها أكثر من مرة ، ولا يضايقه أمر أكثر من أن يتدخل أى إنسان بالتنقيح أو بالتعديل .

* * *

وهذا الذى قرره الدكتور ضيف استنتاجاً من اطلاعه الفاحص على بعض مسودات روايات شوقى قرر مثله الدكتور سعيد عبده عن واقعة مادية لا استنتاج فيها، كان هو نفسه أحد أطرافها فهو يقرر فى صحيفة « المجلة » التى تصدر عن « المؤسسة المصرية العامة للتأليف والنشر » (فى عدد ديسمبر ١٩٦٨ وهوعدد خاص عن ذكرى شوقى) تحت عنوان « لمحات من الضوء على السنوات الأخيرة من حياة أمير الشعراء » ما يلى بالحرف الواحد :

« وحين أسلمنى المسرحية (الحديث عن مسرحية مصرع كليو باترا) يوم عودته (من فرنسا حيث كان بها للاصطياف) شعرتُ بصدمة ، فقد وجدت بين يدى طائفة من القصائد المطولة — وكثير منها ظهر فى المسرحية المنشورة ببعض الحذف أو الزيادة أو التعديل — وعلى رغم سمو شوقى بشعره فيها إلى القمة فإن المسرح كان منعدماً فيها أو يكاد ، والحركة ضئيلة وغير متسقة ، والشخصيات غير واضحة على الإطلاق .

وأبديت له رأيي مختلطاً بجرعة كبيرة من تقديري لشعره العظيم وبدأت معه سلسلة محاولات معقدة لإصلاح الأمور من هذه الناحية ، وكثيراً ما كنا نتفق على الموقف ، وعلى مضمون الحوار ، ولكن الشعر يستغرقه ، وينحرف به إلى هذا الجانب أو ذاك ، فنعود إلى القص والحذف والإضافة ، وهكذا تمت المسرحية في حوالى عشرة أشهر من العمل الشاق .

وكانت النفاية التي تخلفت عنها ؛ وأكثرها شعر جيد لا يخلو من الإعجاز ، ولكنه لا يتمشى مع فكرة الرواية الأساسية وهي الدفاع عن كليوبترا ، كانت هذه النفاية تكاد تصل إلى ثلاثة أمثال المسرحية نفسها ، وقد أسلمتها لشوقي بعد الانتهاء من المسرحية ، ولم أدرِ ماذا كان مصيرها بعد ذلك ، ولو أنها موجودة لتألف منها ديوان كبير .

وكتبتُ المذكرة التفسيرية التي أُلحقت بالمسرحية تحت عنوان « نظرات تحليلية » في أسبوعين ، وقضينا بقية العام الذي استغرقه إعداد المسرحية في عرضها على الصفوة الخلصاء من أصدقاء شوقي ، وعلى بعض لداته من كبار الشعراء ، وكان العرض يمر عادة بلا نقد ولا تعديل ، ولكن بكثير من طاقات الإعجاب والثناء . . »[1]

* * *

وهنا يرد على البال خاطر يستحق عناء التسجيل ، وهو أنه إذا كانت هذه الوسيطة الفاضلة تقلد شعر شوقي — أو أنها تكتب متأثرة به على مايزعم الأدعياء من معارضي البحث الروحي — أفما كان من الأيسر لها جداً أن تقلد بعض روايات شوقي المنشورة في حوارها القصير نسبياً ، وعلى النحو الذي ظهرت به؟ بل أما كان يصبح هذا هو الوضع الوحيد المتصور حدوثه في هذه الحالة، لأنها لاتعرف بداهة شيئاً عن أسرار أسلوبه في تأليف رواياته ؟ !

---

(١) راجع عدد ديسمبر سنة ١٩٦٨ من « المجلة » ص٣٣ .

فهذه السيدة الفاضلة لا تعلم شيئاً عن أسلوب شوقى فى تأليف رواياته ، ولذا سلمتنى أصول هذه الرواية وهى خالية الذهن تماماً عن موضوع طول الحوار أوقصره ، وإنما أنا الذى لاحظت هذا الطول النسبى فى الحوار فى رواية «عروس فرعون » ، وأخذت فى التنقيب عن تعليل مقنع له ، حتى عثرت على هذا التعليل واضحاً وحاسماً على لسان الأدباء الكبار الذين عالجوا أسلوب شوقى فى تأليف رواياته على النحو الذى ذكرته، والذى لم أكن أعرفه من قبل ، ومنهم الدكتور سعيد عبده الذى راجع بنفسه رواية مصرع كليو باترا وأشار على المؤلف — على ما يقرره بنفسه — بحذف « ما يكاد يصل إلى ثلاثة أمثال المسرحية نفسها » ، وذلك لتكون صالحة فى تقديره للمسرح ، وقد تم هذا الحذف فعلاً ولا يعلم أحد مصير الأجزاء المحذوفة لغاية الآن .

ومن يدرينا ؟ لعل المبالغة فى الحذف من أصول « مصرع كليو باترا» أساءت إليها ولو قليلا ؟ ! ومن يدرينا لعل بعض الأبيات المحذوفة كان يتضمن القدر المطلوب من إبراز المشاعر المشبوبة والانفعالات الدفينة التى ينبغى أن تعتمل فى نفوس أبطالها ، والتى يفتقدها بعض النقاد — مثل المرحوم الدكتور محمد مندور — فى روايات شوقى ، بالمقارنة مع غيره من المؤلفين الأجانب. فليس الأمر الهام فى الروايات الشعرية بوجه عام هو سرعة تعاقب الحوار والأحداث ، والمحسوسات المادية ، بل إن الأمر الهام — أولا وقبل أى شىء آخر — هو براعة تصوير المشاعر المشبوبة والانفعالات الدفينة، وحسن عرضها فى بلاغة ، وفى أناة ، وهذا يتطلب بطئاً نسبيًا فى الحوار الشعرى وهو مختلف تماماً فى أسلوبه عن الحوار النثرى تحريراً وإلقاء

وفى الواقع إن أولئك الذين يأخذون على أصول بعض مسرحيات شوقى طول الحوار إنما غاب عن تقديرهم هذا الفارق الهام بين الحوار الشعرى والحوار

النثرى ، فإنه إذا كان الحوار الطويل فى النثر أمراً غير مقبول ولا مستساغ فهو فى الشعر ضرورة ولو إلى حد ما كيما يحدث الشعر أثره المطلوب فى مشاعر المشاهدين. ويبدو أن شوقى قد تأثر — ولو بعض تأثر — بهذا النقد المغالى فيه ولو إلى حد ما — فأخذ يختصر الحوار كثيراً فى رواية « قمبيز »، وكان ذلك من عناصر إخفاقها السريع عندما ظهرت على المسرح .

وفى هذا الشأن يقرر الدكتور شوقى ضيف بحق « فقمبيز يغيب فيها الشاعر الغنائى الذى يحسن التغنى بالعواطف ، ويبقى لنا الشاعر التمثيلى وربما كان ذلك دليلا واضحاً على ما قلناه فى غير هذا الموضع من أن التيار الغنائى فى تمثيليات شوقى كان حسنة من حسناتها لا كما ظن النقاد وهاجموه ، فها هو يستمع لهم ، ويتخلى عن تطويل الحوار والتغنى بالمواقف العاطفية فيسقط حائط مهم فى بناء مسرحيته ، ويبدو فى وضوح أنه كان يعرف طريقه ، وأن النقاد كانوا يجهلونه مشغوفين بنماذج التمثيليات الغربية .

وكل ذلك أضعف شعره وفنه فى قمبيز . . ووقف أيضاً عند ضرورات نحوية ولغوية ، وهى من حق شوقى الشاعر، إذا الشعر ليس كالنثر تحرم فيه الضرورة ، بل تجوز وتصح بإجماع النقاد .

على كل حال هبط شوقى فى هذه المسرحية (قمبيز) عن مستواه الفنى الرفيع الذى حلق فيه فى أثناء تأليفه للمسرحية السابقة (مصرع كليو باترا) ولكن هذا الهبوط ينبغى أن لا يجعلنا نزرى عليه ولا على فنه ، فكل شاعر ممثل تتفاوت تمثيلياته من حيث الجودة ، وتقصيره فى تمثيلية أو مسرحية لا يصح أن يتخذ مركزاً للهجوم عليه والغض من شأنه ، بل يقاس بعمله كله ، وموازين شوقى تثقل بآيات الفن الرائعة وما تحمله من بدائعه وفرائده » .

---

(١) عن « شوقى شاعر العصر الحديث » ص٢١٢ — ٢١٠.

عن خصائص روايات شوقى

وعلى أية حال فها هى رواية « عروس فرعون » كما أمـــلاها روح أمير الشعراء بغير تصرف من أحد . وهى لا تنتمى إلى طائفة معينة من الروايات، ولا إلى مدرسة خاصة إلا أن تـكون هى بعينها مدرسة شوقى . ومع مراعاة أن شوقى لا ينتمى بدوره إلى أية مدرسة من المدارس على ما يلاحظه جميع النقاد ومنهم مثلا الدكتور جمال الدين الرمادى الذى يقرر أن مسرحياته « ليست مسرحيات للمشكلات Problematic Plays ، وليست مسرحيات للبطولة Heroic Plays ، ولا للأخلاق Plays of Morality . وليست مآسيه فى تراجيديا شكسبير ، وليست ملاهيه — أو ملهاته بتعبير أدق — من ذلك النوع الذى يطلق عليه ملهاة السلوك Comedy of Manner إن شوقى فى مسرحياته لا ينتمى إلى مدرسة من المدارس ، ولا إلى مذهب من المذاهب أو غير ذلك من ألوان المسرحيات المختلفة وإنما يتأرجح فنه بين هذا وذاك . . »[١]

وهذا التأرجح فى الأساليب والأفكار والأهداف ، بل أيضاً فى طريقة توزيع الفصول والمناظر ، بل أيضاً فى التردد بين الشعر والنثر ، وبين رواية للمسرح وأخرى لمجرد القراءة مثل «شيطان بنتاؤور» تجده واضحاً كل الوضوح عند مضاهاة بعض رواياته ببعضها الآخر وفى هذا الشأن يتحدث أيضاً المرحوم الدكتور محمد مندور قائلا عن مسرحيات أمير الشعراء إنه « لم يتقيد بتيار خاص ولا بمذهب معين، بل جمع بين الشرق والغرب، وبين مذاهب الأدب المختلفة . والظاهر أنه لم يتعمق دراسة فلسفة الأدب، ولم يكون لنفسه حصيلة نظرية من تلك الفلسفة ، وإنما كان يستهدى ذوقه الخاص وتفكيره القريب المنال . والواقع أن

---

(١) عن مؤلفه « مسرحية كليوباترا » المرجع السابق ص ٤٥ .

الفلسفات الأدبية والمذاهب لا ترتجل ولا تصطنع ، وإنما تولدها تيارات فكرية وعاطفية خاصة ، أو حالات نفسية واجتماعية بعينها .

وكان شوقى رائداً فى مجال المسرح الشعرى، ولم يكن فى الميدان غيره حتى تتشعب المذاهب وتتنوع الفلسفات . ولا ينبغى أن نأخذ بالأصول التى سار عليها هذا المذهب أو ذاك فى الأدب العربى . فالكثير من تلك الأصول نسبى لم يتحرج الغربيون من الخروج عليها حتى ولو كانت مما نظنه بديهياً، مثل ضرورة انتهاء المسرحية إلى خاتمة ما ... »[١].

كما يقول المؤلف فى موضع آخر «إن شوقى لم يأخذ أصول الأدب المسرحى عن كاتب واحد ولا عن مذهب بعينه، بل جمع بين عدة اتجاهات غربية وأضاف إليها اتجاهات أخرى شرقية عربية، وهو يميل بعقليته الشرقية وتراثه الثقافى فى داخل المذهب الواحد إلى أديب دون آخر، فنراه مثلا يتأثر بالكلاسيكية الفرنسية ولكنه يميل إلى ناحية كورنى Corneil أكثر من ميله إلى ناحية راسين Racine ونراه يود أن يتخذ من المسرح مدرسة لعزة النفس والإباء ونبل الأخلاق على نحو ما فعل كورنى . وإذا كان قد تحدث عن الغرام والجنون به فإنه لم يصوره قط على نحو ما فعل راسين، بل أخضعه فى الغالب لمبادىء الأخلاق وسطوة التقاليد بما فيها من عادات مرعية ومشاعر وطنية أو خلقية . . »[٢].

* * *

وهذا الاتجاه الخلقى ، وهذا الحديث عن الحب الخاضع لسلطان التقاليد والمشاعر الوطنية لا يتجلى فى مسرحيات شوقى مثلما يتجلى فى «عروس فرعون» حيث نجد « آمو » فرعون مصر رغم عاطفته المشبوبة نحو عروسه الذكية الجميلة

---

(١) عن مؤلفه « مسرحيات شوقى » طبعة ٣ص ٣٠ ، ٣١ .

(٢) عن المرجع السابق ص ١٩

« نفرن » على استعداد لأن يضحى بهذه العاطفة على مذبح الحفاظ على مجد عرشه وبلاده وحيث نجد « أونوس » تتغلب عليها بمجرد فقد حبيبها نزعة الزهد والعبادة فتصبح كاهنة فى المعبد العظيم ، حتى لا تخون ذكرى حبيبها رغم كل المقاومة التى تلقاها من لدانها ، ومن الملكة نفسها وحيث نجد أحداث الرواية تدور كلها فى أجواء نقية تماماً بعيدة كل البعد عن أى انحلال أو ابتذال فى أية شخصية من شخصياتها ، وهذا هو بطبيعة الحال مدى تصور الشاعر الفذ لجو الحياة عند الفراعنة عندما كانت حضارتهم فى أوج ازدهارها ومجدها .

وفى هذا الصدد تجد وضوحاً لشخصيات هذه الرواية قلما تظفر به فى غيرها ، كما تجد نفس الوضوح فى الجوانب الأخرى لهذه الشخصيات غير جانب الوفاء فى الحب . وهذا الوضوح من الأمور التى تفاوتت كثيراً فى شخصيات مسرحيات شوقى . وفى هذا الشأن يأخذ المرحوم الدكتور محمد مندور عليه — وربما على غير أساس صحيح — « اضطرابه فى وصف وتحليل شخصياته الروائية على نحو يستطيع أن يحقق المشاركة الوجدانية المطلوبة بينها وبين المشاهدين أو القراء بحيث يعجبون بمظاهر القوة والعظمة فى نفوسهم ، ويلتمسون العذر لمواضع الضعف أو السقوط . وبخاصة إذا ذكرنا أن هدف شوقى الأساسى لم يكن التحليل النفسى الإنسانى لذاته ، بل إثارة الشعور الوطنى والإعجاب القومى »[١] .

وهذا النقد لا يخلو من غلو واضح ، فإن شوقى وإن كان يميل إلى إثارة الشعور الوطنى والإعجاب القومى إلا أنه مع ذلك لم يتجاهل بالمرة ضرورات التحليل النفسى الإنسانى على قدر طاقته وليس من الضرورى أن يصل أى شاعر فى هذا الصدد إلى مستوى شكسبير أو موليير حتى يقال إنه أجاد وأبدع ، وأنه عرض ، وحلل ، وأبرز ما فى أغوار النفس الإنسانية من مشاعر متدفقة

---

(١) عن المرجع السابق ص ٨١ ، ٨٢ .

ومتناقضة هذا التناقض الذى هو من سمات الطبيعة الإنسانية ، والذى إذا أبرزه شاعرنا بجلاء قال بعض نقاده إنه يتناقض مع نفسه ، وأنه لم يحسن عرض شخصياته على النحو المطلوب ! !

فمثلا يأخذ الدكتور مندور على شاعرنا أنه « فشل فى تصوير شخصية كليوباترا نفسها على نحو يشعرنا بأنها غير مؤمنة على الإطلاق بأى شىء مما تقول. فهى أحياناً ملكة مصر التى تضحى فى سبيلها بكل شىء حتى بعبقرى جمالها ، وهى أحياناً ملكة طموح فى سبيلها مجدها الشخصى وتضحى بكل شىء فى سبيله ، وهى أخيراً شهوانية اللذات تستعبدها غرائزها وتسيطر على حياتها . وبين كل هذه الاتجاهات تضطرب حياتها وتختلط تصرفاتها بحيث يشعر المشاهد أو القارىء بأنها كاذبة فى كل ما تقول وليس هذا الشعور ناتجاً عن تقلب مشاعرها وتغير حالاتها النفسية ، فهذه التقلبات حقائق نفسية كثيراً ما نصادفها فى الحياة وفى روائع المؤلفات الأدبية ، لكنها تقلبات صادقة لها ما يبررها من الأحداث وأما كليوباترا عند شوقى فلا نحس الصدق فى حالاتها المتقلبة ، ولا نلمس مبررات هذا التقلب وضروراته . . »[1] .

ووجه الغلو فى هذا النقد واضح من ناحية أنه مهما كانت رغبة شاعرنا فى الدفاع عن كليوباترا إلا أنه لم يرد أبداً أن يتجاهل حقائق النفس الإنسانية وما ينبغى أن تموج به من شتى الانفعالات المتضاربة التى تدفعها إلى التردد من النقيض إلى النقيض فى اليوم الواحد، بل فى اللحظة الواحدة ، وأن كونها تحب مصر لا ينفى كونها تحب مجدها الشخصى، واستقلال رأيها ، كما لا ينفى كونها إمرأة ذات عواطف ، وأهواء ، ومشاعر دافقة ، وكل هذا قد يتفاعل بسهولة فى أعماق أية امرأة تحكم عليها الظروف بالعيش فى مثل جو التطاحن السياسى الرهيب الذى عاشته ملكة شابة مفرطة فى جمالها مثل كليوباترا

---

(١) عن نفس المرجع ص ٨٢

ولا ريب أن شوقى كان سيخالف كل حقائق النفس الإنسانية لو أنه نسى فى غمار حماسه للدفاع عنها ، مشاعرها ، وأهواءها كامرأة جميلة شابة وكملكة تحيط بها من كل ناحية أشد عوامل المد والجزر السياسية، وهى فى نفس الوقت عوامل الإغراء بالفساد والانحلال ، ولو لإنقاذ ما يمكن إنقاذه من عرشها ومجدها ومجد بلادها فى آن واحد بالأفل فى تقديرها الخاص وهـذا كله من عوامل الإحساس بالصدق فى حالات كليوباترا المتقلبة . وبمبررات هذا التقلب السريع وضروراته المستمدة من طبيعتها كإنسانة أولا ، ومن حكم الظروف القاهرة المحيطة بها ثانياً .

وعلى أية حال فإن شخصية كليوباترا واضحة بالمقدار الذى يمكن أن تصف به شخصية أى إنسان بالوضوح إذا صح هذا الوصف لأى إنسان ، وهى فى نفس الوقت غامضة بنفس المقدار . وسواء أكانت غامضـة أم واضحة فالذنب ليس ذنب شوقى، إنما هو ذنب الطبيعة الإنسانية المتقلبة عندما تتصارع على الدوام مع نفسها، ومع ظروفها ، ومع الآخرين .

ولا ريب أن كل هذا الصراع متوافر أيضاً فى رواية « عروس فرعون » ففيها تجد شخصيات متنوعة تتصارع فيما بينها، وتتنازعها شتى الرغائب والمخاوف والانفعالات، وشتى صور الصراع العنيف بين العقل والوجدان. بين رغبة إرضاء فرعون ورغبة إرضاء العقل والضمير ويتجلى هذا الصراع العنيف بوجه خاص لدى « الفيلسوف » أمين المـكتبة الذى لا ينطق إلا حكمة ولـكن فى حذر من فرعون . كما تجده لدى « ليمو » رئيس الحـكام (أى رئيس الوزراء) العاقل المتحفظ فى آرائه الذى يريد أن يرضى أهل اليمين وأهل اليسار فى وقت واحد . كما تجده لدى رئيس الـكهنة ، الذى يشعر أن عليه أن يرضى « آمو » وعليه أن يرضى آلهته ومعتقداته، وهو بدوره فى حيرة وقلق على مصيره ومصير بلاده . كما تجده — ولـكن على وجه آخر — لدى « نفرين » ملـكة مصر وعروس فرعون

التي يهمها مجاراة فرعون في طموحه ، بمقدار ما يهمها إرضاء نفسها في الاحتفاظ به إلى جوارها ، وهي لما تزل بعد عروساً له تخشى عليه من مخاطر الحرب التي لا يكاد ينتهي من واحدة إلا ليواجه الأخرى في عزيمة ماضية وفي إقدام من لا يخشى المواجهة ، أية كانت ظروفها ودواعيها .

والشاعر — خلال عرضه لكل هذا الصراع الهائل المستمر للمشاعر والانفعالات التي تموج بها الشخصيات المتصارعة — لا تفوته أبداً إثارة الشعور الوطني والإعجاب القومي ، وهو هدف رئيسي من أهداف هذه الرواية إلى جانب أهدافها الخلقية والروحية التي تحدثت عنها آنفاً ، وكل ذلك في قدرة نادرة ، وفي توفيق ملحوظ ، وقبل كل شيء آخر في شاعرية عذبة متدفقة كالجدول الرقراق لا يمكن أن تجود بها إلا قريحة أمير الشعراء هنا وهناك ...

وكل هذه الأسباب مجتمعة كفيلة بأن توفر لهذه الرواية النجاح المطلوب إذا قدر لها أن تمثل على مسرح راقٍ ذي إمكانيات كافية ، ربما بحالتها، وربما بعد اقتضاب بعض أبياتها — ولكن في تحفظ شديد — لإعطائها عنصر الحركة السريعة نوعاً، والطابع المسرحي المطلوب في الحوار ولو في تقدير بعض الآراء ، وبشرط أن تجد الممثلات والممثلين القادرين على الإلقاء الشعري المتمكن، والمخرج الذي يحسن إبراز ما فيها من فن عال ، وأيضاً الملحن الذي يحسن وضع موسيقاها بطابع كلاسيكي فرعوني ينبغي أن يتمشى مع مشاهدها ، ومواقفها ، وانفعالاتها وهي كثيرة .وذلك كما فعل مثلا فردي Verdi في أوبرا «عايدة» ،أو كما فعل روسيني Rossin في أوبرا « سيمراميس » ولو في صورة متواضعة تلتئم مع « عروس فرعون» كرواية مسرح لا أوبرا .

فإذا توفر هذا كله — أو حتى بعضه — فإن حظ هذه الرواية من الإقبال الشعبي يمكن أن يتجاوز حظ « مجنون ليلى » أو « مصرع كليوباترا » لأن

فيها من عناصر النجاح مثلما فيهما أو أكثر، هذا النجاح الذى لم يصادف منه شيئاً على الإطلاق بعض روايات شوقى الأخرى مثل «قمبيز» أو «على بك الكبير» أو «أميرة الأندلس». فكلها لم يحالفها أى توفيق من الناحية الشعبية فتوقف تمثيلها بعد ليلة أو بعد بضع ليال فقط، لأنه لم يكن فيها من الانفعالات ما يهز مشاعر الجماهير وما أكثرها فى رواية «عروس فرعون» هذه، التى أرجو مع ذلك ألا يجرى تمثيلها الا بعد الرجوع إلىّ بناء على رغبة مكتوبة أبدتها السيدة الوسيطة مشكورة.

هذه هى الملاحظات التى عنت لى وأنا أقرأ هذه التحفة الأدبية الفريدة أبديها فى غير تعصب لها، ولا اعتداد برأيى فيها فلست أديباً ولا شاعراً، وإنما أبديها كمجرد قارىء مقدر للشوقيات حق قدرها ومهتم بالاطلاع أحياناً على ما قد يكتب عن الشوقيات هجوماً أو دفاعاً. واهتمامى هذا مستمد من اهتمامى ببحوث العلم الروحى الحديث بوجه خاص، وباعتبار أن البينة المستمدة من أشعار روح أمير الشعراء تعد — فى الإطار الذى قدمت فيه، وبالنظر إلى جميع الملابسات المحيطة بها — من أحسن البينات، وأقواها، وأكثرها اتساقاً مع حقائق هذا العلم الجديد القديم، بالإضافة إلى عمق أهدافها الخلقية، والروحية، والإنسانية.

وبعد الرواية يجد القارىء مجموعة وافرة من قصائد الروح المملاة من عالم الغيب، التى تتميز بكل ملامح شعره الروحية واللغوية والنفسية والموسيقية، وهى لم يسبق نشرها من قبل. وبعضها متصل بالأحداث الجارية الضخمة التى تمر بها بلادنا العزيزة، والتى انفعل بها الروح أيما انفعال لأنه لازال يحيا بكل جوارحه وعواطفه وذكرياته معنا، فلا يمكن أن يسلوها، لأن وطن الإنسان جزء لا يتجزأ من وجدانه، فلا يمكن أن ينفصل عنه فى أى مستوى يعيش فيه من مستويات الوجود غير

المحدود، وكلها على اتصال وثيق وتداخل أوثق بكثير مما قد نتصور. كما سيجد القارئ مجموعة من النثر الفنى الملىء بالحكمة الغزيرة، وبالتأملات العميقة التى تتميز بمثلها « أسواق الذهب » و « شيطان بنتاؤور » وغيرها، مما خلفه لنا شوقى الخالد من تراث أدبى لا يبارى .

عن السيدة الوسيطة

ولقد كان من حسن حظى أن أتعرف إلى الوسيطة المحترمة وإلى قرينها الفاضل، وأن أوثق الصلة الأخوية بهما وأحضر بعض جلساتهما الروحية العائلية التى تجرى فى هدوء تام ، وفى تجنب لكل دعاية جوفاء ، أو شهرة كاذبة . ولولا إحساسهما بقيمة هذه البينة ، وبجمالها ، وبحاجة المجتمع الماسة إليها لما سمع أحد عن هذه الجلسات ، وعما تكشفت عنه من بينات لها خطورتها القصوى عند من يحسنون وزن البينات ، وتحليلها ، ولا يهربون من هذا الوزن والتحليل خشية اضطرارهم إلى بعض التطور فى موقفهم من أخطر قضايا الحياة التى قد تعلو على بعض المدارك والأفهام التى يعنيها الاعتداد بمعلوماتها المحدودة، ولا يعنيها تفهم الأمور الخطيرة على حقيقتها .

ولقد لمست عن كثب ما تنعم به السيدة الوسيطة من وداعة، ومن بساطة، ومن صدق ، ومن إنكار تام للذات ، ولمست بنفسى كيف أنها تخدم الروحية فى هدوء ، وفى إباء . وهى تقيم أغلب الوقت مع زوجها الفاضل فى ضيعتهما بمحافظة الدقهلية هادبين من الأضواء ، ولو أن الأضواء تأبى إلا أن تلاحقهما رغماً عنهما ، وعن رغبتهما الملحة فى الاعتزال ، والابتعاد عن صخب المجتمعات وضجيجها الزائف .

وهى لا تبغى من أحد جزاء ولا شكوراً على ما تلاقيه من عناء الوساطة العقلية الراقية التى تنعم بها ، وياله من عناء ضخم ، وتعتقد أن ثوابها عند الله

تعالى لا عند أحد من بنى البشر ، ولا تعدم من آن إلى آخر كاتباً أحمق أو جهولا يتهجم عليها وعلى «زعمها الباطل» وينسى فى طريق تهجمه كل مقتضيات الأمانة ، والذوق ، والمعرفة . فيتعمد مثلا أحدهم فى مجلة شهرية غير مصرية إلى نشر بضعة أبيات متناثرة قليلة من إحدى القصائد ، وفى النشر يتعمد أن يشوه الأبيات كلها ويحرفها ، ويغير مواضعها تماماً بحيث تبدو - كلها - مكسورة، مضطربة ، مليئة بالأغلاط ، عديمة المعنى ، ثم يفتح باب التعليق على هذه الأبيات نفسها بحالتها !! وعندئذ فليقبل الجهال والأدعياء من هنا أو من هناك ، وما أغبى ما تنضح به أقلامهم من سموم الجهالة والادعاء ! وهى مع ذلك صابرة راضية ، عالمة تماماً أن « الزبد يذهب جفاء وأن ما ينفع الناس يمكث فى الأرض » .

وليس معنى ذلك أن السيدة الوسيطة لا تخطىء أبداً عند تلقيها الشعر من « عالم الأثير » أو « ما وراء المادة » ، بل إنها عرضة لبعض الخطأ ، وهذا يتوقف على مدى صعوبة الأبيات أو سهولتها ، وعلى مدى إجهادها أو راحتها ، وعلى حالتها النفسية ، وعلى مدى سرعة الإملاء أو بطئه ، وعلى مدى الهدوء المحيط بها . . . ولو أن هذه القصائد والأشعار أمليت تليفونياً على حامل دكتوراه فى الآداب أو ماجستير لوقع فى نسبة خطأ تتجاوز بكثير نسبة الخطأ الذى تقع فيه السيدة الوسيطة حاملة الابتدائية لا غير منذ سنة ١٩١٤ . فما بالك إذا كان الإملاء عن طريق تراسل العقول؟! وما بالك إذا كانت السيدة الوسيطة لا تروح فى أية غيبوبة ، بل يظل عقلها يقظاً واعياً وهى تتلقى الإرسال تباعاً عن طريق نشاط عقلين يتعاملان معاً in interaction أحدهما عقلها، وثانيهما عقل روحها الملهمة .

وما بالك إذا راعينا أن شوقى نفسه - رغم شاعريته الفذة التى قلما يجود التاريخ بمثلها - كان عرضة لبعض الأخطاء اللغوية والعروضية التى كان بعض

النقاد يتسقطها له فى المؤلفات الأدبية ، وفى الصحافة السيارة ؟ ! وفى هذا الشأن يروى الأستاذ الكبير محمد زكى عبد القادر فى عدد ١٩٧٠/٨/٢٤ من جريدة «الأخبار» الغراء قائلا « اتصل بى الأستاذ عبد الوهاب الخطيب وهو من أفاضل رجال التعليم وقال إنه فى سنة ١٩٣١ حينما أصدر المرحوم أحمد شوقى أمير الشعراء كتابه عن « قمبيز » لاحظت أن فيه بعض الأخطاء النحوية واللغوية ، فكتبت إليه انبهه إليها فى أدب يليق بمقام أمير الشعراء فما كان منه ـ رحمه الله ـ إلا أن بعث يستدعينى للقائه ، وكانت علاقة أدبية عميقة الأثر والتأثير فى حياتى ، وظللت أحد التلاميذ المقربين من الشاعر إلى أن لقى وجه ربه الكريم . . . » .

ومن يقرأ فى انتقادات الأستاذين الدكتور طه حسين وعباس محمود العقاد وغيرهما عن شوقى، وعن أشعاره حال حياته بيننا، يجد نماذج كثيرة لمثل هذه الأخطاء النحوية واللغوية ، وذلك مع أن جميع أشعار أمير الشعراء كانت تخضع قبل النشر لمراجعة دقيقة، ... ولا غرابة فى ذلك لأن الخطأ من شيمة الإنسان فى كل مكان وزمان، وجل من لا يخطىء ولا يسهو .

فلا يمكن أن ينال من قوة وساطة هذه الوسيطة الفاضلة مثل هذه الأخطاء التى لها أكثر من تعليل ، حين تعجز « مادية الوجود » عن تعليل هذا المستوى من الشعر الراقى الغزير الذى يلتئم — فى كل خصائصه ومميزاته — التئاماً تاماً مع شعر أمير الشعراء ، كما يلتئم مع ذكرياته العائلية، وفنونه، واتجاهاته الخلقية ، والروحية ، والعقيدية ، والقومية ، والوطنية . . . بدون أى اطلاع من جانبها على أى شىء من ذلك بالمرة ، ولا أية محاولة اطلاع .

بل إنها غالباً لا تفكر فيما قد يملى عليها قبل الجلسة، وكثيراً ما تكتب فى

القصائد المملاة - خارج هذه الرواية — كلمات صعبة كثيرة متلاحقة لا يمكن فهمها إلا بالرجوع إلى المعاجم اللغوية الضخمة ، فما بالك بحسن استخدامها شعراً ؟! وفى أشعار تحوى مميزات شعر شاعر التاريخ أحمد شوقى ؟ ! وبعد أن يفرغ الروح من إملاء القصيدة برمتها يأخذ فى إملاء شروحها التى تعصى بدون أدنى ريب على أحسن علماء اللغة فيحتاج إلى التنقيب كثيراً فى المعاجم الضخمة مثل «المحيط » و «لسان العرب » وغيرهما على ماحققته بنفسى عدة مرات

وهذا كله لا يتناسب مطلقاً مع المستوى اللغوى والثقافى لهذه السيدة الوديعة الطيبة القلب التى لا تريد أن ينسب إليها أى فضل فى هذه الأشعار الباذخة التى استهوت الأفئدة واجتذبت انتباه أحسن الأدباء ، وأقوى النقاد بين جميع الناطقين بالضاد .

ملابسات أخرى

ومما يسترعى الانتباه فى ظروف إملاء هذه الرواية أيضاً أن الروح الملهِمْ — وهو يرتجل الشعر فى تدفق عجيب الشكل وكأنه لا يتكبد فيه أى عناء — يأبى إلا أن يلقى بأربع قصائد إضافية عن هذه الظروف الخاصة بإملاء هذه الرواية : —

الأولى : تحت عنوان « مقدمة » يتحدث فيها فى بلاغة مأثورة عن الدوافع التى دفعته إلى الحنين إلى الشعر بعد مغادرته عالم المادة بزمن ليس بالقصير « كى أستبين الحق يعلن ما أنا » .

والثانية : تحت عنوان « إهداء » عبارة عن بضعة أبيات قليلة تفيض رقة وعذوبة وكأنها أنشودة جميلة تستحق اللحن والغناء ، بل كأنها - كما يقول الروح - «سحر الساحر قد ظَهَرَا » .

والثالثة : تحت عنوان «روحى والوسيطة » يبين الروح فيها لماذا اختار

هذه السيدة الفاضلة بالذات، ويتخذ من هذا الاختيار سبباً إضافياً يدعم بذاته معنى الإخاء الإنسانى العام، وذلك «لأن الأصل آدم والفروع تكاثرت».

والرابعة : يمليها الروح بعد الفراغ من إملاء الرواية كلها تحية رقيقة منه إلى علم الروح الذى سمح بإملائها على هذا النحو «الذى لو قدّر تموه لكان ربحاً».

* * *

وهكذا ترى — أيها القارىء الفطن — أن هذه الأشعار بما تتضمنه من إعجاز فنى واضح، ومن خصائص ناطقة بذاتها بمزايا واحد من أعظم شعراء التاريخ، ومن عمق أهدافها ومراميها، ومن شخصية الوسيطة الفاضلة وأخلاقها النبيلة، ومن ملابسات الإملاء السابقة واللاحقة له، ومن آراء العلماء والشعراء والنقاد فيها، إنما هى تحد كامل « لدعاوى القوم والغلواء »، ولمزاعم الجهالة والانطواء، ولأسباب العداوة والبغضاء، وما أكثرها فى كل زمان ومكان.

وإذا كنت أقول إنها « تحد » لذلك كله فإنما أستخدم هنا تعبيراً قاصراً جداً، لأنها فى الواقع تمثل إرهاصات تقويم جذرى لذلك كله، عندما تنشر الروحية العلمية الصحيحة أضواءها الباهرة فى كل مكان مبددة جوانب الضياع والبهتان، ومرتفعة إلى عنان السماء بأعماق أى وجدان قلق باحث عن الإيمان، بمقدار بحثه عن منابع نقية للعزاء والاطمئنان، ودعائم قوية للسلام مع النفس ومع سائر بنى الإنسان.

كلمة عرفان

ولا يسعنى فى ختام هذا التقديم إلا أن أتقدم بعميق الشكر والعرفان إلى كل السادة العلماء والشعراء والنقاد الذين تفضلوا بالاطلاع على أشعار الروح لإبداء الرأى فيها، والذين سترد مقتطفات من آرائهم فى خاتمة هذا السفر القيم، الذى هو سفر للشعر والأدب بمقدار ما هو — فى نفس الوقت — سفر لأخطر حقيقة كونية أصبحت

الآن حقيقة وضعية مؤسسة على تجارب معملية بعد أن كانت مؤسسة على محض أدلة اجتهادية فلسفية.

كما أتقدم بنفس شعور العرفان إلى كل من تفضل من الأدباء فأسهم بجهد مشكور فى مراجعة جزء أو آخر من هـذه الأشعار لتدارك كل خطأ محتمل فى المتابعة وفي الإملاء،وأخص بالذ كر هنا : —

— الأديبة المعروفةالسيدة مينرفاعبيد الحكيم رئيسة تحرير مجلة«الطالبة» الغراء .

— والعلامة الجليل الدكتور أحمد الشايب أستاذ الأدب العربى ووكيل كليتى الآداب ودار العلوم سابقاً.

— والعلامة الفاضل الدكتور محمد عبد المنعم خفاجى أستاذ الأدب والنقد بالجامعة الأزهرية .

— والشاعر القدير الأستاذ الفاضل حنفى عبد الله الحنفى مـدير التعليم الخاص بوزارة التربية والتعليم .

— والأديب والشاعر المعروف الأستاذ المحترم عادل الغضبان المشرف العام على « دار المعارف » ومدير النشر بها .

— كما أشـكر الفنان القدير الأستاذ محمود أحمد مصطفى رسام جريدة «الأخبار» الغراء على لوحاته الرائعة التى جاءت آية فى الفن الأصـيل والتعبير الصادق الجميل .

فإلى كل هؤلاء أتقدم بالشكر العميق بالنيابة عن الروح ، وعن وسيطتها الفاضلة ، وبالإصالة عن نفسى ، بل أتقدم فى الواقع بشعور العجزعن أن أوفيهم حقهم من العرفان ومن التقدير الذى يستحقونه.

والله لايضيع أجر من أحسن عملا. رءوف عبيد



أحمد شوقي ١٨٧٠ - ١٩٣٢

الباب الثاني

رواية عروس فرعون

١ — المقدمة

راجعت ذكرى العمر موفور الهنا … والرغد كان له حليفاً في الدنا

قدري الكريم برفعة بُلِّغتُهُ … والنفس لاقت من مواهبها المنى

كنت الضنين إذا الدقائق ودّعتْ … سفراً توشّى بالقشيب وبالسنا

وخشيت أن تسمى الدقائق جارية … فرثيت أياماً يلاحقها الفنا

ما كنت أرغب في الحياة لغاية … إلا استزادة ما يصاغ ويقتنى

من كل منظوم يُعَدُّ على المدى … كالدر للإمتاع يرضى الأعينا

كم شاقني الوحي الملاحق داعياً … أن يُوثِقَ الجهد المخلد إن دنا

فعركت ميدان النظيم مع الصبا … ونظمت خطرى[1] في حماه مؤمّناً

(١) خطرى : جم الجمع لخواطر .

وتراقصت حولى عذارى الفكر كى ... تصطف متعة من وَعَى أو من رنا
فنظمتها متناسقات كالدمى ... من شيّقات تستحب وتقتنى
وقضيت عمرى هائماً ومغازلاً ... ما كان منها فى الرواء مثمَّنا
لاغيتها فى صمت عشقٍ والهٍ ... ورأيت فرقتنا مثاراً للضنا
فوجمتُ من طمس المواهب والنهى ... بعد ازدهار فى نجاد طوافنا
هيهات روعى فى غياهب رقدتى ... بل هاجنى عقم اليراع إذا انثنى
وتراجَعَ الإمداد عن أضوائه ... وانفض ما للدهر صيغ مُضمَّنا
فتنازع العيش اكتئابٌ صارخ ... من همدتى والشعر يندب من بنى
وترقرقت فى مقلتىَّ مدامعٌ ... بالشجو شاءت أن تذاع وتعلنا
فنعيت للنفس الحياة مودعاً ... مجد النبوغ غداة يحسَمَ مذعِناً
ناجيتُ فى روحى النديم المرتجى ... وهو الحليف بعيشنا ، أو بعثنا
قلت : العفاء على أماجد من سعوا ... فى قمة تعلى اللواء محصّنا
أوّاه من خُلُق الزمان إذا التوى ... ومن ارتضاه أن أساق وأدفنا
وغرقت فى صمت المكمَّد باحثاً ... عمن يجير من المرارة والعنا
فوعيت فى الأعماق صوتاً حانياً ... من نبع روحِىَ آسياً ومطمئناً
هز المشاعر إذ أفقتُ بنشوةٍ ... فعلمت أن الخوف يعصى المؤمنا
وغدوت أطمع فى مراحم خالق ... فإذا السكينة بددت ما أحزنا
والموت دبَّجَ بالخلود مشاعرى ... كى يستبين الحق يعلن ما أنا
ورأيتنى كالحرز[1] حُرٌر سافراً ... فى جلوةٍ ، والروح يرتقب الجَنَى

---

(١) الحرز : الموضع الحصين .

فولجت في العلياء سدة جنة　　فاق الجمال بها مدارك وصفنا
فهى الرياض الزاهيات تنسقت　　في سؤدد الإبداع هزت روعنا
وتلألأت أضواؤها في رونقٍ　　إبداعه أهدى الحبور لحسنا
إنا كثير عدُّنا لا يُحتوى　　نحيا نشاوى من طلاوة حظنا
نرتاد نهل العلم من ينبوعه　　نبغى استفاضة[1] ما يخفف وجدنا
فهو الرداء لطامحٍ رام الحجى　　أطيابه للفكر مفتاح الغنى
فارتاد روحى من خلال صفائه　　سحراً حلالاً فاق شيمة أرضنا
ورأيت إهداء الأحبة رائقاً　　فاق المصنَّفَ من جنى أقلامنا
ولعمر خلانى فهذى وقفةٌ　　تبدى الحقيقة ، فالموارد من هنا
دفاقة بسنا الشاعر تَجْتَلى　　قدسية المرمى توطد حبنا
وتعود بالأنغام توقظ نائماً　　فيعى الهداية من رسالة طهْرنا
إنا نحوِّم في الربوع لعلنا　　نعطى المشوِّق من سماحة خلدنا
فلتقبلوا منى الرواية إنها　　عنوان حبِ خالدٍ إذ يُقتنى
وأنا الشكور على رحابة صدر من　　أعلى البيان مصدِّقاً ومؤمِّناً

(١) نشر وإذاعة .

٢ — إهــــداء

الخلد المغدِق قد نَثَرا ... ولِصاًفى اللؤلؤ قد بَدَرا

وَدَعاً من قَدّر نفحتــه ... ليصون مطارف[١] ما انتَشَرا

لجمعت الجوهر فى شغفٍ ... والروح بروعتــه انبهرَا

وظننت الشائق منطقه ... لدى الإهداء قد اختصرَا

فإذا بالشعر يلاحقنى ... وبسحر الساحر قد ظهرَا

وأباح الواهبُ منحته ... كالغيث الدافق ما انحسرا[٢]

ودعوت الوحى يضمّنهُ ... بنطاق الطاقة ما اقتدرا

ليعدّ النظم برونقه ... شأن المثّال إذا فطَرَا[٣]

لـكنّ الوعى بدهشته ... عَدَّ اللألاء فما حصرا

والروح اهتاج مشاعرَه ... حبُ المنظوم ، فما نثرا[٤]

بل أملى الشعر لملهمَةٍ ... بالروح تلقت ما زَخَرَا[٥]

ورأيتُ الوحى وروعتَه ... كالدوح تلوّن وازدهرا

أهدانى العطر ونفحته ... لا كان الدهر إذا اندثرا

وأرى الإهــداء بعاطره ... للراغب فيه إذا اعتَبَرَا

ياليت العالم قاطبة ... يرضيه الشعر ومن شَعَرَا

ويرى الإهداء بوافره ... من فضل الله ، فما عَسُرَا[٦]

---

(١) المطارف : أردية من خز مربعة لها أعلام . واستطرف الشىء استحدثه وعده طريفاً والطريف من المال المستحدث .
(٢) ما انحسرا : لم يكل ولم ينقطع .
(٣) فطر : ابتكر .
(٤) مانثرا : ما قال نثراً
(٥) ما امتلأ به الشعر من رائع المعانى
(٦) لم يكن عسيراً ولا شاقاً .



٣ — روحى والوسيطة

قف سائل الأذواق كيف توافقتْ ؟ — أو سائل الأرواح كيف تآلفتْ ؟

يعصاك من فهم الحقائق ما انطوى — من حكمة الخلاق حين توافدت

تَهدِى الميول إذا تجانس نورها — لإضاءة الأهداف حيث توافرت

وأنا بروح السمح أعتمد الوفا — لمن ارتضت بى ملهِماً فتضامَنَتْ

ما كان مختلف العقيدة عائقاً — بل مثبتاً لعرى الإخاء فآزرت

فالله لى ، ولها ، وللملأ الألى — عرفوا بوحدته الحياة إذا سَرَت

فالناس من روح حكيمٍ نفحة — هيهات تفنى ، والشعوب تلاحقت

يتوارثون العيش مشروع المدى — بأخوةٍ فى العالمين تعاطفت

فإذا تحيّز مغرضٌ بنفاقه — فى العائشين لملة فتنازعت

هيهات يدرك ما يقين وجوده — فالأصل آدم والفروع تكاثرت

والله فى الأديان جل جلاله — روح المحبة ، والخلائق قاسمت(١)

فذروا التعصب فى سماحة من وَعَى — أن الأخوة فى الخلود تصافحت

والحب أسس بالتآلف صرحه — شادته أرواح الملا وتسامحت

والله فوق الخالدين بنوره — بعثت جلالته رضى وتشامخت(٢)

ياليت يهدى العالمين ليدركوا — كنه الخلود إذا البشائر طالعت

(١) صنعت أسباباً للخصام والفرقة .
(٢) تشامخت : سمت وتعاظمت .

الرواية

النص الكامل

تمهيد

(١) زمن الرواية : فى أيام أحد الفراعنة الأولين المولعين بالانتصارات العسكرية منذ بضعة آلاف سنة ويدعى « آمو » وكان سؤدد الفراعنة فى أعلى ذراه، ومعبد الكرنك فى أوج بهاه ·

(٢) مكانها : عاصمة الإقليم وهى تدعى « واست » أو المدينة ذات المائة الباب التى أطلق عليها اليونانيون فيما بعد اسم « طيبة » وتجرى حوادث الرواية بين القصر الملكى ومعبد الكرنك .

(٣) أشخاصها :

آمو	فرعون مصر
نفرين	ملكة مصر
ليمو	رئيس الحكام
آرام	الكاهن الأعظم
—	رئيسةالكاهنات
فيلسوف	أمين المكتبة
رامو	أمين القصر
إخنى	قائد الجيش
—	منظم الأمن
تيموس	وصيفة أولى
مارا	وصيفة ثانية
أونوس	وصيفة ثالثة
ينشو	مطرب الملك
—	شاعر الملك

المنكرات المسرحية: أعيان جنود· عابدات . عزاف · راقصات·

الفصل الأول

المنظر الأول

« فى غرفة نوم الملكة بقصر فرعون ، تجلس نفرين ملكة مصر ، وهى سيدة صغيرة السن رائعة الجمال مع وصيفاتها الثلاث تيموس ، ومارا ، وأونوس، تستقبل صباحاً جديداً وهى مضطربة لغياب زوجها فى الحرب، متأملة فراغ حياتها وموجهة الحديث إلى الوصيفات » .

الملكة :

أهلاً الصباح رطيب الأثر   عساه بخير يحيى البشر

فأنسى فواجع هذا النوى   فمذ غاب « آمو » علانى الضجر

أرى الطير يشدو خلىَّ الفؤاد   وفى الروض يزهو ندى الزهر

وقلبى المعنّى على عهده   بطول الفراق شتيت الفكر

فبين التلهف فكرى شرود   وبين اللواعج عبر السحر

أزج المشاعر طى الغيوب   وفى الساريات أناجى القدر

أسائل دهرى الضنين الكتوم   أبين الغيوم يطول السهر ؟

أفى الذكريات وأطلالها   تمر الليالى ويطوى العمر ؟ !

أم الدهر يصفو بأطيابه   ويلبس فرعون تاج الظفر

أينفى الهواجس طيف البشير ؟   أيا صبح هات جلى الخبر

يغلبها الشوق فتبكى فتقول لها تيموس (إحدى الوصيفات) :

فديت المليكة من ذا الشجن   ومما يلم ، وكل المحن

فلو للمدامع من حيلة فتقضى على فاجعات الزمن
إذن لسكبت دموع الفدا لـكيما أعيذك من ذا الوهن
فخلى النحيب وأحزانه وعيشى هزارا [١] بهذا الفنن [٢]
مضى الأمس وانزاح شجو الهموم عسى اليوم أن تستجيب المنن
ويقرب عود مليك البلاد بنصر يحقق مجد الوطن

الملكة :

يا لوعة النفس من غمة الأمس قد أترعتْ فيضامن مره كأسى
لو زادها يومى همّاً خبا بأسى وانفض من صبرى ماساق للرمس [٣]

مارا (وصيفة ثانية) :

كأس الضنا بالشجو أو آهاته وقيت مولاتى لظى ويلاته

الملكة :

أشقى بكأس الشجو مارا فاعلمى أنى فداء الثغر أو بسْماته

مارا :

القلب خلو من هوى يشقى به والحب سقم . آه من وخزاته
هيهات تشكو النفس من أوصابه فالقلب قد صدّ الهوى عن ذاته

أونوس (وصيفة ثالثة) :

مارا . سلمت من الحنين وذوْبِهِ وأمنتِ ما يُشقِى الحب بِكرْبِهِ
وأرى فؤادى المستجير من الهوى كادت سهام الحب أن تودِى بهِ

---

(١) الهزار : طائر حسن التغريد .
(٢) الغصن المستقيم
(٣) الرمس : القبر .

والقلب من سُقم يضير، ومن جوى   بالصبر حَصَّنَ ما ارتجاه بغيبه
فالوجد من فيض الصبابة قاتلى   وأراكِ ـ مارا ـ ما شقيتِ بعطبه

مــارا :

أفشيتِ شجواً[1] من هوى   أونوس قولى : ما الخبر ؟

أونوس :

ليس الهوى من صنعنا   الحب من صنع القَدَر !

الملــكة :

أونوس عاشقة إذن   عشق الأزاهر للفنن
والروح أينع وازدهى   والقلب هوَّم[2] وافتتن ؟

أونوس :

عفواً رميت بسهمه   فانساب فى كبدى الشَّجَنْ

الملــكة : أين الفتى ؟

أونوس : رهن الوغى

الملــكة : شهم هو ؟

أونوس : ادعو السما
ياليته يلقى العدا   مستلهماً صوت الهوى

الملكة: لذا أراكِ ثائرهْ   وبالفراق حائرهْ
ومن مرارة النوى   وعَسف حربٍ دائره
شكوتِ من لظى الوغى   ومن خطوبٍ سائره
ظباؤنا تشقى بها   وبالهموم السافره

(١) الشجو : الهم والحزن .
(٢) هوم : مال إلى النعاس .

أونوس :

خطوب أمسٍ هادرهْ   على الأمانى جائره

وقبل أمس كم رَمَتْ   بأمســيات شاغره

يا دهر مهلاً واتئد   كفى ضراماً ساعره !



دعى ذكر أمس دعيه أونوس   فيا ويح أمسى وحرب ضروس

الملــكة :

دعى ذكر أمسٍ . دعيه أونوس   فيا ويح أمسى . وحرب ضروسْ

غدت ذكريات بروع الأسى   وذوب الفؤاد بشرٍ يسوس

أراجيف هَمّ ٍ تزيد الدجى فتدنى الصباح بوجه عبوس
شقيتُ بأمسٍ وطغيانه وأطياف شؤم تناغى الرؤوس
غدَتْ بالسهاد ودمع اللظى وشجو يطوف لملء الكؤوس
أخاف العواقب فى برجها وَشَكُّ المخاوف يضنى النفوس
فحتامَ نبنى بروج المنى ؟ وحتامَ نرجو نماء الغُروس ؟
ويطوى الزمان على لوعة تضيم الوليد ، وتُشقى العروس ؟

أونوس يغلبها البكاء فتخرج وتتبعها مارا مستأذنة لكى تواسيها ، وتبقى تيموس مع الملكة فتقول تيموس :

إغفى الصباح من الملام مليكتى واقضى على شجو النوى وتصبرى
فالصبر يعتصر الهموم بسحره ويذيب جلمود الزمان المفترى
ولترحمى حسن القوام من الأسى ولتقبلى المقدور ، ثم تدبرى
فالأمر موكول لآلهة السما ولها الخيار تبيع فيه وتشترى

الملكة :

تيموس ، قلبى بالهواجس مفعم كيف اصطبارى والضياع محيرى ؟
« آمو » هو السلوى وملء جوانحى وفراغ روحى من سناه مدمرى
والحرب زعزعت اليقين بملتقى وأرى الشقاء على الهناءة يجترى
بالله ما فحوى الحروب ؟ ونارها تكوى الضلوع وتستذل وتفترى
ياليت أبواق الحروب تبدلت نايًا ، وقيثارًا ، وبوق مزمّر !
فتخف ضائقة الصدور وتنجلى أجواء صفوك يازمان بمحورى[1]

---

(١) بمحيطى أو بالجو الذى فيه اعيش .

يسمع نقر على الباب فتقول تيموس

مولاتى من ذا جاء يطرق بابنا ؟

الملكة : قومى،سلى ـ تيموس ـ من ذا يطرق؟

تفتح تيموس الباب فإذا جندى رسول يسلمها رسالة إلى الملكة تعلن انتهاء الحرب .

تيموس : بشير السلم مولاتى يوافى بالتحيات
يزف النصر معطاراً بإطراء وآيات
يقول الركب فى عودٍ وشيك بعد ساعات

الملكة (متهللة) :

أنى بالبشر يشفينا فيا بشراه من آتى !
أفى صحو أرى الداعى بجمعٍ بعد أشتات ؟
أم الأضغاث من نسجى ومن إعصار آهاتى ؟
هى الأقدار إن ترضَ تفِ اللقيا بميقات
وتضحى الدور ميدانا لبسمات وقبلات
وأسد الحى عواد لإبراء العليلات

تفيض دموع الملكة فتقول لها تيموس :

عفواً لوقفة خاشعه تأسو لعين دامعه
عين بنور ضيائها تلقى الجيوش الراجعه
وترى المباهج حلة تكسو الديار الشاسعه
وترى المليك مظفرا يعلى النصال اللامعه

فتتنبه الملكة وتعطى بعض النقود لتيموس لكى تعطيها للرسول ، قائلة لها :

هبي من أشاع رنين السلام فيا للبشير ونعم الكلام
أتانا نهاراً وسيمَ الضحى بنور يبدد شؤم الظلام

تعطيه تيموس النقود وتعود إلى الملكة قائلة :

عن الشكر يعجز ذا ما يقول ويرجو الدوام لخير الكرام

الملكة (متأثرة) :

ترى القلب يسلو سوادالحزن وظلم الليالى ، وهن جسام ؟
أيا دهر مالك لو ترتضى برغدٍ يدوم بغير انفصام ؟
فتصفو القلوب على ألفة وتصحو العقول لدعم الوئام
وأسعد ضمن قلوب سمت بحب «لآمو» حليف الدوام

تيموس :

ستشرق شمس الرضى بسمة تشيع الهناء ونيل المرام

الملكة تتنبه لمرور الوقت فتقول :

تيموس

تيموس : أمو مليكتى !

الملكة : قومى نتمم زينتى
أونوس أين ؟ فنبهى كيما نجهز حلتى
بدلن أثواب الضنا بالعز ينعش مهجتى
فاليوم عيد مرتجى زف السعود لقسمتى (١)

وتخرج تيموس لاستدعاء الوصيفتين فتهمس الملكة لنفسها :

« آمو » بطلعة ظافر روحى ومصدر عزتى

---

(١) القسمة : القدر والنصيب .

عما قليـــــل ههنا يمحو مدامع مقلتى
وبضم قـــــداً مائساً بين الحنين ونشوتى !

تعود الوصيفات الثلاث، فتجلس الملكة أمام مرآة كبيرة وتقول لتيموس:

صففى — تيموس شعرى فهو غلوائى وتيهى
واحذرى — تيموس — رفقاً هاكِ رأسى دلليهِ
ضوّعى عطراً وطيباً ضمن شعرى واسكبيهِ
وانظمى المنثور عَجْباً فى رُواء وارفعيهِ
فهو إشعاعٌ تجلى فى بهـــاء ، فاصقليه
جمّلى للرأس تاجاً فاق درًّا أقتنيهِ
ما أظن الدهر يأتى ند شعرى من شبيه

تنظر الملكة إلى شعرها فى المرآة بإعجاب قائلة :

يا سلمتَ العمر طولا أىَّ روْعٍ أجْتَليه !
كم رنت — تيمو[1] — عيونٌ حاســداتٌ تشتهيه
فاستعاذ القلب منها خشية من حاسديه

فتقول تيموس وهى تصفف الشعر الجميل :

يا زينة فوق زينهْ تبدى جمال السكينهْ
موهوبةٌ فى دلال لذات عقــل رزينه
فالشَّعْرُ مَنحُ الأعالى[2] زان السجايا الكمينه
فى عفة قد تسامت بالروع تحدو الأمينه

---

(١) اختزال وتدليل تيموس.
(٢) هبة السماء العالية.

الملكة : (فى خفر مما تسمع) :

الوقت يمضى فصونى كرَّ الثوانى الثمينة

تيموس (وقد فرغت من تصفيف الشعر) .

أنظرى . ذات عِداك ملكتى ! روحى فِداكِ
هالة من ضوء شمس توجتْ رأس الملاك
إن عجبتُ لاملاماً قد أُخذْتُ بسناكِ
ربة للحسن أنت كُنتها ليس سواك !
ملكتى ! بوركت قداً

الملكة : بوركت أيضاً يداك

ثم تلتفت الملكة إلى أونوس تدعوها لمساعدتها فى ارتداء حلة جميلة .

مضى الزهد المنفر بالملال وعاد الدهر يُنعشُ بالدلالِ
فكم قاسيتُ مِن ظُلمٍ توالتْ وآذى العيش إجحاف الليالى
فما اشتقتُ الروائع من ثياب ولا رُمْتُ المرصَّع باللآلى
وهذا اليوم موفور التهانى وبى شوق لأثوابى الغوالى
فيا أونوس هاتى لى رداء تزين بالبهاء وبالجمال !

تقترب **أونوس** تحمل حلة ناصعة البياض ، مزركشة باللؤلؤ والأحجار الكريمة ، قائلة :

أيرضى المليكة هذا الرداء ؟ عساه يليق بيوم الصفاء !
سيزهو بقدك فى رونق ويضفى عليه سناك البهاء !
فليس جمالك رهن الثياب لأنتِ الجمال يزين الرداءْ

فهاك الدمقس بدُرّ وماسْ   ونثر اللآلىء بادى الرواءْ
هو الزهر جُمّع فى حلّةٍ   بلون الحياة كساها النّقاءْ
فهل من قبولك هذا الدثار؟   ولى فى كريم رضاك الثناءْ

الملكة :

أونوس . جئت بمقصدى   فاليومَ طالعُ سؤددى
فرعون قد دحر العدا   والسعد جاء بموعد
واليوم يشهد قصرنا   نور المليك الأمجد
ونعيد أزمان الهنا   فى مجدنا المتجدد
ونناشد الدهر الرضى   علّ الزمان بمهتدى !

تيموس :

دومى بعزك رافله   فى بسمة متهللهْ
والكون يضحك حولنا   وتغيم عينٌ عاذلهْ
وتحل أطياف المنى   رهن الإشارة ماثله
وتبدّلين من الثيا   ب الزاهيات الهائله
يبقى جلالك دائماً   عبر السنين المقبلهْ

الملكة :

اليوم تنطق فى أبهائها الحللُ   عن فرحة بدأت فى القلب تكتملُ
إنى ارتضيت جمال الثوب يبهرنى   إذ يزدهى بدلالى السعد والأمل
فالحرب لم تبقِ للوجدان بهجته   واليوم عادت لىَ الآمال تشتعل

تتقدم **تيموس** وتمتدح الملكة بصوت خافت :

يا للجمال الناضرِ   والسحر فى يدِ ساحرِ

أنت الجمال وليس غيرك ، يالحسنِ باهرِ
الشمس منك تغار والقمر استحى من قاهرِ

الملــكة : مخاطبة مارا :

مارا إلىّ بالدرزْ هاتى مآثر القَدَرْ
هاتى الأساور العجبْ صيغت بأكرم الحجر
جافيتها وقد بَدَتْ قيداً لعائفٍ ضَجِرْ
والتاج ما عشقته فالرأس ناء بالفـكر
والجيد صَدَّ فى شمم طوق القلائد الـكُثُرْ
هذى الحُلِىُّ شُرِّعَتْ زيناً[1] لذات مقتدر
لـكن رأيتها دُمًى تهتاج وحشة الصور
عُوِّذت منها بالرقى رفقاً لغيبة القمر[2]
واليوم لى بها ولع فاليوم غرة العمر
فى صفو نصرة الملك أهفو لـكل مُدَّخَرْ
كيما ترَوق فتنتى بين الغناء والسمر

مــارا :

يا طلعةفى عرش مصر تألقت كالشمس فى كبد السما تتألقُ
أضفت على نور الجبين وضاءةً فالقدّ يزخر بالضياء ويشرق
إن كان غيرك باللآلى يزدهى ويتيه بالدرّ النظيم ويعشق
ما زاد حسنك بالحُلِىِّ ملاحةً هيهات للبدر الحُلىُّ تزوّق

---

(١) زين — زينة .   (٢) تشير إلى غياب مو .

أنت البهاء إذا الـكرائم عُددت من صافيات الدرّ وهى تنمقُ
ياهالة بالبشر شاع بريقها باحت بمكنون الرضى يتدفقُ
مُتَمَّت فى دوح المليك بصفوة فاليوم أحلام القلوب تحقق

(تَسمع جلبة وأصوات عالية خارج القصر فتقول **الملكة**):

الأسد عادت للعرينْ وأهلَّ ركب الظافرينْ
عادوا وقد دحروا العدى يا مرحباً بالعائدينْ
لم يثنهم عبث الهوى عن نيل مجد الخالدين
رشقوا السهام برمية أردت دعاة الغادرينْ
شادوا العزيمة وحدة ليحالفوا النصر المبين
فإذا الفخار مناصرٌ يامصرُ من بعد الأنين
واليوم عاد بيمنهِ كلٌّ إلى دربٍ أمينْ
والدور يغمرها السنا والسعد بين الملتقين
يسرى بأنغام الصبا تشفى جراح العاشقين
يا مصر كم ذا فى الحمى باتت قلوب فى حنين
كَبَّدن شوقاً فانطوى فى مكمن القلب الضنين
لُذْنَ اصطباراً بالرضى حرصاً على فرض أمين
الأم تدفع يافعاً هو فلذة الـكبد الثمين
والزوج تدفع عائلا هو مصدر العيش الرصين[1]
هذى وتلك تنافست لعلاكِ لو تتقبلينْ
فالـكل فيك مجاهـــد كى تسلمى عبر السنين

---

(١) الرصين : المحكم الثابت .

والتضـــحيات بطولة وجدارةٌ للراغبـــين
ولأنت أقدس من لهـــا حقٌ على عرفٍ ودين
يا أمّ كل مجنـــــد هو بالولاء لها مدين
حقا لقـــد بهر الورى هذا الولاء ومن يدين
فالنصر ليس غرابة بل واجباً إذ ترغبين
وخلود مصر وعزها أسٌ لأمجاد البنـــين
واليـــوم نهتف كلنـــا يا مرحباً بالوافدين
أهلا وسهلا فى الحمى بعد انـكسار المعتدين

ستـــار

المنظر الثانى

« فى قاعة العرش بالقصر الملـكى ، حيث يرى فرعون جالساً على عرشه ، ويجلس عن يمينه ليمو رئيس الحكام ، ثم إخنى قائد الجيش ، ثم منظم الأمن . ويجلس عن يساره رامو أمين القصر ثم الفيلسوف أمين المكتبة » .

فرعـــون :

أعاود ذكرَى الحروب الجسامْ وكيف رضضنا قلوب العتاة
وكيف التقينا على أرضهم نطيح الرقاب ، ونطوى الجباهْ
هجرتُ العروس على لوعةٍ وحبى يخالط روحى لظاه
وشعبى عليمٌ بهـــذا الهـــوى يقدّس فيـــه نقاء هواه
ويشهد أنى عنوت (١) له ورغم الترفع شدت(٢) علاه
فسلطان حبى علىَّ سما وهيهات يرقى المعالى سواه

(١) عنوت : خضعت (٢) من شاد أى رفع .

وللحب يعنو إذا ما رمى بصوب السهام لنيل مُناهْ
وعشت رضيًّا أكيل السهاد لقلب العروس إذا ما اشتهاه
وصفو مشاعر قلبى يذاب بكأس الصفاء إذا ما ارتضاه
وما كنت أدرى إلامَ الصفاء ولا القلب يعـلم ما منتهاه
ويا ويح قلبى وقلب العروس بشأو تصدى لفصم عراه
غداة انقيادى لداعى الوغى ويقظة وعيى تلبى نداه
فللحرب أحيا ، أدين بها لإبقاء عرشى وقهر عداه
أحكِّم عقلى فيغفو الهوى ويحسم قلبى صراع الحياه
هو العقل أحكمُ فى المنتهى يخوض الحروب بعزٍ وجاه
طموح برى النجم طوع البنان يدانيه إن هو مُدتْ يداه
وإن شاء هدَّ شموخ الغرور وكالَ لخصمىَ كيداً براه

وهنا يسكت فرعون قليلا ثم يعود إلى الـكلام :

خضتُ الوغى والخصم جار[1] فى مأمن الأوطان جار[2]
والشعب من عسف الغشوم لم يرضَ إجحافاً فثار
والخلف قد أضنى البلاد يَشْقى بأشياع الدمار
والظلم أفعى : بالسموم خطت معالم الاندثار
والحر إذ يخشى الدخيل أو من يسوء به الجوار
هاج المشاعر بالطموح يبدى مخائل الانتصار
فانقدتُ للعزم الأثيل ما كان فى وُسعِى الفرار

(١) أحد الجيران. (٢) ظلم

ويصمت قليلا، ثم يقول **ليمــو** (رئيس الحـكام) :

وطدّتَ نهجك فى كمالْ   وكـأنه القدر الحلالْ
والعقل زيّن دافعاً   شعَبَ الرغائب فى الخيال
فإذا الهواجس ومضةٌ   فى لمحها رُمْتَ المحال
أدنيت أشتات الدنا   فى قبضةٍ قيد المنال
وكـأنما الأرض استوت   لك مغنماً دون احتيال
أبدعت فى فن الوغى   كالسبع لا تخشى المـآل

اخنى (قائد الجيش) :

واليوم دَانَ لك المنى   وجثت لإمرتك الرجالْ
قدْتَ الطليعة شامخاً   بين البسالة والنضـــــالْ
دوختَ صنديد العدا   ورويت من دمه الرمالْ
فصعقت كل معاندٍ   والسهل يشهد والجبال
وإذا الخيال حقيقة   بين الرغيبة والنوال

فرعون (فى زهــو) :

يالى وأطماع المشوق   ملأ الخيال بها العروقْ
ورأيتنى تهبُ الدنا   لبسالتى نصراً يفوقْ
وأفاض كَأسَ سعادتى   قَدَرٌ تلألأ بالشروقْ
أوصى بأروع قسمةٍ   تزهى المـآرب والحقوق
وكـأننى فى صولتى   صمّمْتُ للحق السموق
فإذا دكـكتُ معاقلا   وسددت بالخصم الشقوق
أرعى ذمام عدالتى   وأطمئن القلب الشفوق

لـكن أبعد مغانمى أرنو لمعمعة تروق ؟
أأكون صنو مغامر إقدامه قد لا يشوق ؟
أأعيد شوط مطامعى والقلب مهتاجٌ خفوق ؟
يبغى فخاراً يرتجى والدهر خوّانٌ عقوق
وأنا المهيب بسطوة هيهات يرضيها المروقْ

اخـــنى :

عرش الملوك على الطموح مشيَّدُ فإذا أمرتَ فللنزال نجددْ
والحرب محرابٌ لمن شاءوا العلا واستمسكوا ضنًّا بها وتعبَّدوا
والنصر حقٌّ بالجهاد ، فلذ به فى همة يسعى إليك السؤدد
والأسد تقدم لاتهاب مُنازلا فاعْدُدْ لبطشك ، فالطريق ممهد

ليمـــو : (مخاطباً إخنى) :

تمهل قائد الجيش أتيتَ النصح تستهدى
لظى العدوان هدّامٌ وبطش الحرب لا يُجدى
وما الأطماع إذ تغرى هى المرقاة للمجد
بل الإمعان فى سلمٍ يديم الأمن للفرد
والاستقرار مرساة لذى الإقدام والجد
ومضمارٌ لأهدافِ تعلّى النهج بالرشدِ

رامو (آمين القصر) :

كرهت الحروب نذير الشرورْ
تفض الجموع فتخلو القصور

وتهمى العيون ويخبو الحبور
فلا أنس يجلو هموم الصدور
ولا عيش يحلو لأهل ودور
هو البعد يشقى المحب الطهور
وخلا عليلا علاه الضمور
فتلقاه طيفاً شريداً يدور
بضنكٍ يناجى بقلب صبور
يروم الأليف ؟ وأين العثور
كرهت الحروب نذير الشرور ؟
أحب السلام أحب السرور
أحب الحياة ففيها الظهور
وفيها الرجاء شعاعٌ ونورْ

يفهم فرعون أن «رامو» يصف حال المـلكة أثناء غيابه فى الحرب فيقول :

كفانى لمحة رامو ! أهاج الوصف أشجانى
فذو السلطان ذوقلب وذو حسٍّ ووجدان !

يسكت فرعون فيقول **ليمو** (رئيس الحـكام) :

مولاى إن كان البشرْ ذاكَى[1] المشاعرَ كـالشررْ
بالعطف يسطع وهجها ليخطَّ فى النفس الأثر

(١) ذاكى المشاعر : أشعلها أو رفعها .

فترى القلوب برقة تسمو عواطفها الغرر
إن كان ذا طبع البشر فبقلب فرعون زخر
أوليس قدوة شعبنا يأسو بعطفٍ مقتدر ؟
أتراه « إخنى » يرتضى حرباً وينصح بالضرر ؟
والحرب متلاف المنى وهى الضراوة والسُّعُر !

ثم يلتفت إلى « إخنى » (قائد الجند) ويتابع حديثه :

إخنى ! أفيك قساوة ؟ أو قُدّ قلبك من حجر ؟
أنسيت كم عصف الوغى باليانعات ، وكم أضر ؟
أنسيت أبطالاً ذووا ما بين سمعك والبصر ؟
وتناثرت أشـــلاؤهم بين المدامع والعبر
فلِمَ بربك نعتــــدى ونذك راسية الأسَرْ
ونشيع هولا مفجعاً يُبْلى الرطيب المدَّخر ؟
هذى الحروب بشرّها وبعسف ما يملى السّرَرْ[1]
هـــل للمطامع شُرّعت أم للدفاع لدى الخطر ؟ !

اخــنى :

رأيى لرأيك فى الحروب مغايرُ كلّ لنهج فى الوجود يساير
ما بين برهان وحُجة مقنع قامت ميولٌ تهتدى ومشاعر
فالمرء فى دنيا العقول معرفٌ قيماً يُعرفها الطموح الثائر

---

(١) السر .

يرجو الحياة سجال حرب دفّعت فيها الجموع مغانم ومفاخر
هيهات يثنيه انعطاف مشاعر عن مطمع الهيجاء، فهو عناصر
والرائد السّباق من فى عُرفه شنّ المعارك، والجهاد مصائرُ
وأنا خلقت مكافحاً أبد المدى ولكل ما يعلى الحياة أغامرُ
وقيادتى وقف على عَقْلٍ وَعَى كم فى مهادنة العدو خسائرُ!
فلسوف أحيا للحروب مؤيداً دعوى الطموح برغبتى، وأسايرُ

وهنا يتدخل **منظم الأمن** سائلا إخنى:

إخنى بربك ما الحياةْ لو غرَّبتْ دون اتّجاهْ؟
فى الحرب كم تقضى النُّهَى وتذوب أجيال العتاهْ
وتخر صرعى نخبةّ خانت وسائلها النجاة
كانت عماداً يُرتجى لبناء أمجادٍ وجاه
النفع كان لواؤها لو تستفيض[1] بها الحياهْ
لتخط آى نبوغها ولقد يشيد بها الولاه
فالحرب سيف مُصلتّ يُفنى ويصرَع من رماه
بالله إخنى! قل لنا سيل المطامع ما مداه؟

إخــنى:

السلم فى شرعى جمودْ يقضى على صقل الجنودْ
والسيف يصدأ نصله لو يختفى طىّ الغمود
والحرب مصدر سؤدد وهى المحرر من قيود

(١) تفرز وتتسع لها الحياة.

ويحبها البطل الذى يبغى التفوق والخلود
بالله كيف يلذ لى غير الكفاح بلا حدود ؟
دينى الحروب وإننى عبد لها أرعى العهود
عاهدت أن أحيا لها ولنهجها روحى الوقود
مالى سوى ميدانها أرعى المعاقل والبنود(١)
والأُسْدُ رَهْنُ بطولة تطوى المعارك كى تسود
وجنود جيشى كلهمْ أُسْدٌ وشيمتها الصمود

الفيلسوف (أمين المكتبة) مخاطباً فرعون :

مليكى : سمعنا الحوار المقولْ وشرح الحروب سجالٌ يطولْ



مليكى سمعنا الحوار المقول وشرح الحروب سجال يطول

(١) البنود : الأعلام .

وفى الحرب حار الفهيم الحكيم وفيها تضـــل عقول الفحول

فهـــذا يراها الدمار الحرام يحيل الرياض يباباً[1] يصول

وذاك يراها الصراط الحلال لإفراط ما تستبيح العقول[2]

فجُدّ باليقين مليك البلاد وحبِّذ لنرضى بأهدى الحلول

فهل هى عسف وجور وزور؟ أم الحرب أهلٌ لدق الطبول ؟

فرعـــون :

نطق الملوك شريعةٌ تقضى بغير مجادلهْ !

مهما أصرّح حجةً تسـمو بغير مفاضلهْ

فاترك سؤالك برهة لا تســــتزد بمحاوله

بل دع صحابك ينظموا حول الحروب مساجله

وانصت معى لنقاشهم فى حـــكمة متبادلهْ

ولنســـتزدهُمُ منطقاً فالرأى يكشف قائله !

اخـــنى :

الحربُ مطمعه الفلكْ ليزيد رقعة ما ملَكْ

والحربُ خـيرُ محققٍ حلم التطاول للفلك !

ليمـــو :

فإذا هوى بطموحه ماذا المنال إذا هلك ؟

اخنى :

العمر صدَّقنى قَدَرْ لو لفقوه فى الصرر

(١) يباباً : خرابا (٢) لكثرة ما تسمح به العقول .

والحرب ثورة ماجد يفنى لتحقيق الوطر
لو لم أقدس ثورتى ما صفت أزيان الصور
وأنا أخوض غمارها سعياً إلى لقيا القَدَر
ولئن سلمت مظفراً فالعمر سار وانتصر

الفيلسوف :

العيش فى دنيا الورى ميدانُ كلٌ يحدد سعيه التبيانٌ
من سائفٍ[1] أو عالم أو رائد هم باقة تزهو بها الأوطان
إنى لأفخر بالبيان وبالحجى فالنفع منها والعلا والشان !

ليمو (رئيس الحكام) :

أما أنا شيدت حكمىَ دوحة ليفىء فى أرجائها أقرانى
أرسيت فى ظل المليك رحابها فهى الملاذ لخائف أو عانِى

منظم الأمن :

أما أنا كرست للأوطان ما يُبقِى على نبْض الحياة كِيانَهُ
جندّت ما يبنى الأمان بروضها حتى يصون على المدى بنيانَهُ
فالأمن ينطق والسلام بماحوت أرجاؤها ، مما ارتقبتُ ضمانَه

اخنى فى (حنق) :

تتكامون كأننا فِرَقٌ تحزبَ سعيُنا
كلٌ يحبِّذ رأيه ويراه واحدة السنا
فالفيلسوف بعلمه يرقى العلا ويشدنا
ويشيدحا كمنا المُنَى فى الشاهقات وما بنى

---

(١) سائف : السائف هو حامل السيف أو الضارب به . كناية عن المقاتل الشجاع .

والأمن صُنع منظم ينفى عن العيش الضنا
ونسوْا زميل جهادهم وكأنه خصم جنى[1]
والله لولا الجند ما بات الأمان محصّناً
لولاىَ ما عم الرخا ء بما يمكّنا الغنى
وسَعتْ آفاق الحيا ة بغزو ساحة غيرنا
وضمنت للأوطان ما جلب الرخاء لأرضنا
فتوسعت أطرافها مما استفاض بغنمنا
فالحرب لولا مدها ما ارتاد مجدا حيّنا
هيهات نحيا دونها فى الحرب رفعة شأننا

الفيلسوف :

أقلل من الخيلاء — إخنى — واتئد واربأ بنفسك من مطامع تتقدْ
ما العيش حرب نصطلى بجحيمها فاركن إلى قمع الضراوة وابتعد
فالعيش أنغام السلام تجردت فى روضها الآمال ترتسم الأمد
يرقى بميدان العقول إذا سمت ترتاد آفاق العلا تبنى السَدَدْ[2]
وتعد للأجيال فائق مجدها بالخَلق والتجديد تبتدع العُدَدْ
والحرب تحسم مُنْيَةً وتحد من معنى التواجد[3]، الرغائب، والرَغد
شتان بين مُدمِّرٍ ومُعمِّر هل للمقوّض شأن من شاد العمد ؟
والفصل ما يقضى المليك بمنطق يهدى الرعية بالحصافة والرّشَد
وله الخيار ونحن رهن إشارة تعلِى البيان ، فيُستحبُ ويُعتمدْ

---

(١) جنى جناية .
(٢) الرأى السديد .
(٣) الوجد والهيام .

فرعون :

لى خطة رسمت فى الفكر واستترت   لو أرتضى نفذت، أو أرتضى هدمت

فالحرب من صنعى فضت أو احتدمت   والحرب إن أحسم مقضية قضيت

لى حيلة تسمو فى الحرب لو عظمت

اخنى :   رأى نقدسه فى الحرب لو فرضت

والأمر نفاذ فى الأذن لو سمعت   تقضى فرائضه فوراً كما رسمت

فرعون :

والسلم إن أرضَ حكم به يقضى   ماشئت أقدار ليست بها فوضى

إن تنفذ اجتازت كالسيف أو أمضى   يعنو لها شعبى لا يملك النقضَ

الفيلسوف :   بالحق جاء المنطق   فلنرتقب مايخلقُ[1]

رأى الملوك شريعةٌ   وهو السنا إذ يشرقُ

فاستروحوا بصوابه   فهو الملاذ المطلقُ

ولنحسم الخلف الذى   أشرى فكاد يمزق

والخلف كادشراره   يغدو سعيراً يحرق

كل يحبذ ما ارتأى   هذاره لا يشفق

ياحبذا نضج الحجى   لو نرتضى وندقق !

نغدو سماحاً لودعا   ذو الرأى حين يُوفَق

ويرى الجدال منارة   يرقى إليها الأليق

---

(١) ما يليق .

فرعون :

يا بوركت أنفاسكمْ يا بوركتْ أقوالكمْ
نعم القرارُ بلاغةً يشدو بها أمثالكم
سريت عن نفسي بما أفضى عبير نقاشكم
فالكل ذو فكر سما بالعلم في دوحاتكم
وإذا الدراية أوضحت ما شاق من أبحاثكم
فلتهنأوا واستمتعوا فاليوم عيد سلامكم
فاستبدلوا بجواركم أنس الجوار بآلكم

ثم يصمت قليلا ويقول :

والحق شرْعٌ محكمٌ أن يستريح المتعبُ
فإذا تفرّق شملنا فإلى لقاء نرقب
بوركتمو في حِلكم بوركتمو إن تذهبوا
وغداً بحفل نلتقي نجلو الصدور ونطرَبُ

وينصرف الجميع بترتيب جلوسهم ، ثم تدخل نفرين فتجد فرعون جالساً يفكر ، وعندما يلمحها يسر ويأخذها بين ذراعيه قائلا :

تعالى منية الروح تعالى وبثيني اللواعج في دلال
فبي شجو تحجر منه دمعي ومثلك في المواجع كان حالي
بربك هل وعيتِ نداء طيفي وكان نديمَ سُهدِكِ في الليالي ؟
لقد عزَّ الفراق على كلينا وما هانت أمانينا الغوالي
فعاهدنا القلوب على التفاني لنصرٍ واعتزازٍ بالمعالي

وأوفينـا العهـود لمجـد مصر وكان الصـبر ترياق الرجال
غلبنـا الدهـر فى إشراق يوم بعوْد للـديار وللجـال
فيا نفرين ذكرى البعـد خـلى وهاتى وَجْدَ قلبك لاتبالى
فيا لهف القلوب إذا تلاقت تئن من الجوى ومن اعتلالِ

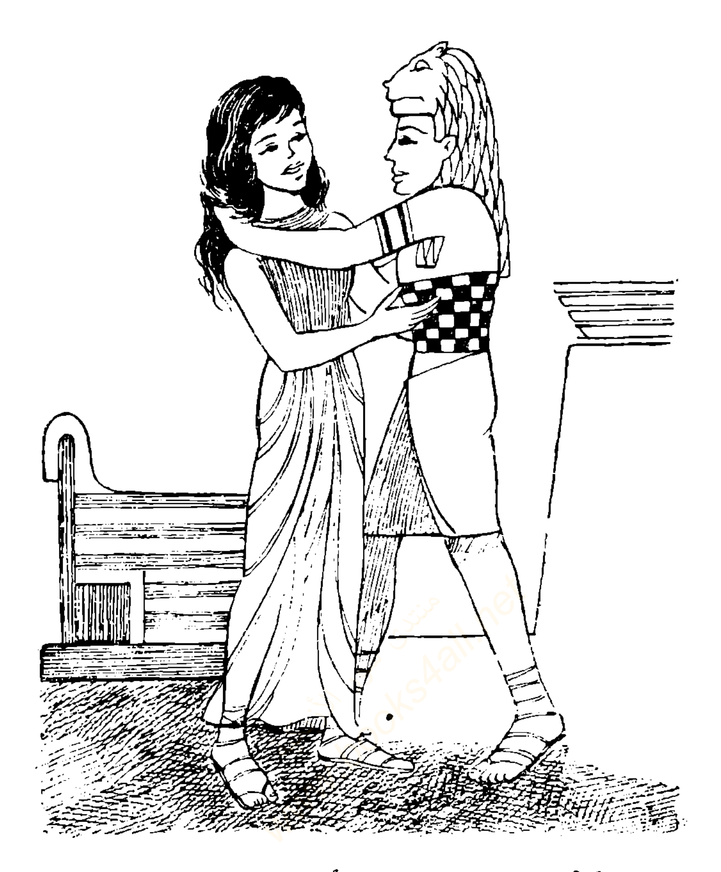
نفرين : أياسند البلاد وعزى واعتدادى
سكبت الدمع ذخراً لنصرك فى الجهاد
أم العين استفاضت بشكوى من سهادى ؟

يغلبها البكاء فيقول فرعون :

أفدى بِحَبَّةِ مهجتى مدرار فيض المقلةِ
هذى المدامع مذ هَمَتْ صهرت جمود صـلابتى
فعجبت كيف نديُّها كالسحر هزَّ دعامتى
نفذت سهامك فى الحشـا كى تستحث صـبابتى
فانساب ذخر مشـاعرى رنى لنجوى الآهة
وأمام سلطانِ الهوى يغدو الزمام لمنيتى
فإذا العواطف بى وَشَت تذرى رواسخ صولتى
قد أستلين بمرتجى فى أمنيات حبيبتى
ايصح من أحلامنا ما عز حين الفرقةِ

وترتاح الملـكة إلى صدره قائلة :

جفاف الشتاء مضى وانحسرْ ولحن الربيع بروضى انتشرْ



وكم أمسيات تقضى سدى أحالف سهدى ويغفو البشر

صحبنا الليالى على عدِّها كلانا صبور يروم الزُهر

وعشنا على همهمات الصدور وبين الأمانى نناغى القدر

وكم أمسيات تُقَضّى سدًى أحالف سهدى ، ويغفو البشر

وكم ضقت ذرعاً بوادى الدجى وذقتُ بعلقم سُهدى الأمَر

وما كان للعيش من رونق سوى نور صبح جليل ظَهَرْ

فيزهى الشعاع ويضفى الرجاء إذا ما أهلَّ الضحى من سفَر

تعاقب حسى مع الأزهرين(١) فكانت - لعَمْرى - حياتى صورْ

---

(١) الشمس والقمر .

فرعون :

نفرين امالك والهموم الشائكه ؟ هيا انعمى بشذى الورود الضاحكه
والتلبس الأيام كلاً بُرْدَهَا إذ رغبة الإنسان فيها الحائكه
فلترتضى الدنيا على علاتها بربيعها وشتائها متماسكه

نفرين :

لأنتَ ربيع الحياة فليت يطول مداه
وقربك ظل يفيء بكل ازدهار وجاه
وصوتك لحن الربيع فديتك مما عَدَاه
وبعدك طيف الشتاء فكيف أطيق لقاه ؟

فرعون :

ما هكذا يا منيتى تتقولين وبأى حق فى الدنا تتحكمين ؟
فاستمتعى بسنا الربيع وزهره واستنصحى[1] وخذى الشتاء بكل لين

نفرين(تهمس لنفسها) :

يا نَفسُ طيبى فى أمان مادام قد صلح الزمان
ماذا بوسعك إن جفا فى غير صفو أو أمان ؟
هل للزمان مجادلٌ ؟ فى كيف صار وكيف كان؟
هذا المكتوم بصمته يقضى بإعجاز وشان
والمرء رغم عناده ينساق طوعاً للبنان
فإذا تحايل ماردٌ يطويه طياً كالجبان

---

(١) اطلبى النصح

حتى تسانده قوى دفّاعةٍ فى كل آن
وأنا التى لا حول لى لابد أرضخ للهوان

يسمعها **فرعون** تتمتم فيقول:

نفرين فى ضنكٍ حزينْ ياروحَ قلبىَ تهمسين !
فيم الهـواجس ياترى ؟ أو ما فَرَغتِ من الأنين ؟
ياليت عتبك ينتهى وإلى الحجى تتنبّهين !

تتنبه **نفرين** وتقول موجهة حديثها إلى السماء :

ألا ياسماء بحق الخلود وحق التعاطف حيث يجود
هبى للمليك ولى صفونا أديمى الرضاء وصونى العهود
دعينا نجمِّل معنى الحنان ونعلى الغرام بأسمى الوجود
ونرتاد من سلسبيل الهنا ينابيع شهد الرضى والسعود
ونرشف مما يسيغ الهوى حلالا رضياً بغير حدود

يقرب **فرعون** رأسها منه قائلا :

عبير الجدائل مسكٌ وطيبٌ ونفحٌ لقلب المحب يطيبْ
منى الروح قدّك سحر الجمال بدنيا هوایَ ، وقدسٌ مهيب
تعبّد قلبى بمحرابه لطيْف الجمال وسحر الحبيب

نفرين :

ربى بصحوٍ أم خيالٌ ! أذنى تكذِّبُ ما يقالْ
يا دهر دعنا فى صفاء فى فرحةٍ نجنى الوصالْ
واترك لإلفِ ما ارتأى أن يستشف من الخيال

ليقيم صرح العيش فى كنف السعادة والدلال
فتتم أفراح القلو ب وتستقيم بلا ملال
ونقول قد لان الزما ن ولم يعد شىء محال

فرعون :

محال أن يخيب لك الرجاء فللأقدار يرتفع الدعاء
فلو يقظت عقولٌ من سُبات لكى يقف التقاتلُ والفناء
لأفسحت المجال لكل ساعٍ فيعلو بالمسالمة البناءُ
ويختال السلام إلى مداهُ ويعلو الحب ، والدنيا صفاءُ

نفرين :

كلامك حق وعلم يسود فمن لى بوعد يقيم العهود
وفى الناس بعضٌ لئيم حسود عنيد غشوم بغىٌّ حقود
عدو السلام رهيب لدود يدس العداء بغير حدود
يحاكى الخئون فعال الفهود فيرمى بضيم ضوارى الأسود
محال يفيق بقصف الرعود يعيش بحمق ويهوى الجحودْ

فرعون :

وصفتِ من اختال فى ملكهِ ورام السيادة فى شعبهِ
وعادى العدالة حيث انتوى يُشير ويفتى بآرابه[1]
يقيم ويقعد كيف ارتأى ويرخى العنان لأصحابه
وها قد أسرتَ العنيد الذى أطَحتُ بسطوة أربابه

---

(١) الآراب : جمع إرب وهو الدهاء .

فأصبح يحيا كَميْتٍ سَجَى حواه الظلام ليشقى به
يذوق مرارة ما رسَّبَتْ يداه نقيمـاً لأترابه

نفرين :

بحق السماء وقلبى الطهورْ وشمس بأفق الخلود تدورْ
أبين الصراع وقصف النصال وأنت تدك قلاع الغرورْ
تراك قمت رنين هوايَ وأغفلتَ حبى ونجوى الصدور؟!
وصدَّ فؤادُك ريح الصبا وكان رسولا لنشر الحبور !
وعشتَ تروّضَ طبع الليالْ لحرب الفوارس حين تثور
وشأن الأسود على سؤددٍ ربضت صبوراً لقمع الشرور
أيا ويح قلبى إذا استحوذت عليك الحروب ، وأغفى الشعور

فرعون :

صنتُ الهوى وتخذت الحب إلهامى أرعى عهوده فى تنسيق أيامى
كيف الحياة بغير الحب يا أملى فى القلب أنت وفى الوجدان أحلامى
بالأمس خضت غمار الحرب منتصراً فوَّفتُ فى قدَر الأيام أقوامى
ما كان غيرىَ فى الهيجاء ذا صَلَفٍ إنى لخير بلادى كان إقدامى
جيشى على الدهر تبقى كتائبه إذ فى الوغى أبداً لا تنحنى هامى(١)
قد كان طيفك فى الميدان لى سنداً يحصى مسالك خطو فيه إعلامى(٢)

---

(١) هام : هامة وهى الرأس .
(٢) إعلامى : يقال أعلم الفارس إعلاما أى جعل لنفسه علامة الشجعان .

نفرين :

عجيبٌ وحق السماء عجيب ! أنا للمقاتل ، أم للحبيب ؟ !
بطبع الملوك بطشتَ هناك كأن صراعك مرٌّ مذيبْ
وها أنت جنبى رقيق الشعور تلين وتحنو كغصن رطيب
فأنت المصور ، وأنت الوديع وفى ذا وذاك لأنت المهيب !
أقدّس فيك معانى الحياة بسيفٍ ورمحٍ ومسك وطيبْ
سلمت لمصر بمجد رفيع تصون حماها ، ونعم الرقيب
ودم لى حبيباً بقلب رءوف دعوت السماء عساها تجيب

ستار

الفصل الثانى

المنظر الأول

« يرفع الستار عن عرش ذهبى يتصدر قاعة الاحتفالات الكبرى بقصر فرعون ، وقد اجتمع فيها حشد كبير من المدعوين ذوى المكانة ، استعداداً لحضور حفل راقص » .

رامو (أمين القصر) :

بنور المليك وفيض سناهْ ... يعم السرور ويحلو صفاهْ

وفرعون مصر وروحى فداه ... تناهى لأذنى حثيث خطاه

فخَلّوا الطريق لعرش المهيب ... فها قد أهلَّ بروْع بَهاه

يدوم الكرام بأنس الحبور ... بصفو الزمان وطول مداه

ثم يدخل فرعون ويجلس على عرشه فيجلس الباقون ، ويخاطب قائد الجيش إخنى قائلا :

يا للطرائف من عِبَرْ ... كم ذا تعاقبت الصورْ !

بالأمس قد جمع الوغى ... ذخر المغاور للقدرْ

من كل حُرٍّ ضيغم ... خاضوا لظاها والسعر

واليوم فى كنف الهوى ... للأنس عادوا والسمر

فارقب صروف الدهر كم ... تلهو وتلعب بالبَشر !

اخنى :

مولاى ! إن يمضِ الزمان ... فلكل عائدة أوانْ

أحـداثها جـوابةٌ تختال فى حُـكمٍ وشانْ
بين التقلب سَمْحُها إن شاق يوماً حَزَّ ثانْ !
والمرء بين صروفها ودفوفها يرخى العنان
فهى الورود بشوكها فى بهجة ترضى العيان
فلنحذر الشوك الذى فى غفلة يدمى البنان

فرعون :

سنصحو ونحذر جد الحذرْ ولـكن إلىّ بداعى السمر
إلىّ « بينشو »[1] ربيب النغم سيشدو فننعم حتى السـحَر
وبالراقصات سنجلوَ الصـدور وتخلو الهموم فيحلو السهر
تدار الـكؤوس براحٍ حلالٍ فنرشـف منها رحيقاً عَطِرْ
على الدهر ليلتنا غرَّةٌ أهلّت تخط جليل الأثرْ !
سـنلهو ونطرب فى سحرها بدف ، وعود ، ولحن الوترْ

أمين القصر :

الراقصـات الفاتناتْ للأمر هن المذعناتْ
جئن الرضى مستأذنات

فرعون : أدخلن جمعاً آمنات

يبدأ الرقص فيقول أحد المدعوين للفيلسوف فى همس :

ها قد تمايلت الحسانْ يبدين فى الرقص المعانْ

---

(١) المطرب .

كل الرشاقة فى الخطى والفن تتقنه الحسان
كالزهر فى ريعانه فى سحرهن،وفى الحنان
بالتيه ينشرن الهوى فى نشوة ترضى العيان
زَيَّنَّ فى صور السنا حفلاً يُعَدّ على الزمان

فيرد عليه **الفيلسوف** هامساً :

بدت للعين متعة ماتراءى وما رقْصُ الحسان لنا وفاء !
أجيرات تخذن الفن مثوى لأشجان ، وأبدين الصفاء
فـكم يا صاح منهن ابتسمن رياءً ، ثم دارينْ الرياء
نصفّق إن تلوّين ابتهاجاً وكم من ذا التلوى ذُقنَ داء !
مسوقات لإسعاد وهن على بؤس يعانين الشقاء !
وكم عين تداعب وهى تخفى مدامع تستدر لها العزاء
هى الدنيا بأقدارٍ تأتت تدال من تشاء له الرخاء
فينعم وهو لاهٍ باختيالٍ فلا شكوى،ولا عرف البلاء
وفى مهج تسعَّر مِنْ أذاها لواعجَ تستحث لها البكاء
فيا دهر استبد بك التلهى بأقوامٍ بغيك كيف شاء
على بؤس المغلَّبِ شدت صرحاً لذى حظٍّ ، ووطدت البناء
ولم تأبه إذا الشكوى تعالت من الإعياء تستجدى الرثاء
كأن الحظ يقتسم البرايا فيُلقى السخط أو يُلقى الدعاءَ
وفى الحالين يصمد لا يبالى إذا قسم البلاءَ أو الدواءَ
فيا رب السماء قدّرْت حكماً فهبنا من مراحمك الرضاء !

ويسكت الفيلسوف ، ولـكن فى ركن آخر يهمس **اخـنـى** : لجار من صحابه قائلا :

طبول تَدُقّ لهز البطون وأخرى تدوّى لدك الحصونْ !



طبول تدق لهز البطون وأخرى تدوى لدك الحصون !

خليط لعمرى يرج الوجود بيسمة لهوٍ ودمع الشجون

وتحلو الحياة بهذا وذاك فَطرْس الحياة عجيب الشئون

هى الحرب وَلَّت وعادالصفاء يلاحق قلبى بسحر العيون

فدعنا إذا دارَ كأس الهوى ... نعبّ وننسَ ضحايا المنون

فيومك هـذا حَرِىٌّ به ... يداوى الجراح بهمسٍ حنون

ويخلى الأسى من حنايا الضلوع ... ويشجى القلوب بعذب الفنون

فذق من سويعاتنا حظهـا ... ودع للغد الشأن فيما يكون

وتتوقف الراقصات ويتوارين عن الأعين ، وتدار كؤوس الراح يتلقفها من يشاء ، ثم تعزف الموسيقى لتصاحب « ينشــو » وهو يغنى قائلا :

أمسيات اللهو عادت ... حافلات بالعجـابْ

كيف لا ننشدو نشاوى ... فى سويعات عِذَابْ

صفوها أنسٌ وطيبٌ ... للنُدامى والصحابْ

غافلوا الدهر وهبّوا ... فى حبورٍ مستطاب

وانعموا بالراح من ذا الـ ... كأس موفور الشراب

كلهم غنى لليـــل ... عاطر فى القلب طاب

إنما العمر الليـــالى ... رجعت لحن الشباب

وهى إن غابت تُوارى ... لا يواتيها الإياب

فاستفيقوا للمعانى ... عطرها فى اللحن ذاب

واملأوا الليـل دلالا ... بالأغانى والشراب

يا نديم الأنس صافح ... ليلنا قبل الذهاب

إنما الأفراح ومضٌ ... مثل أضواء السحاب

لمحة تبدو سراعاً ... ثم يطويها الغياب

ليلنا ناىٌ ودُفٌ ... فى رنين وانسياب

ليته فى الدهر خُلْدٌ ... لا يدانيه السراب

ويبدو فرعون ساهماً فى وجوم وهو ينصت إلى الغناء ثم يأذن للجاريات الحسان بالرقص وهن فى أحسن زينة ، فتنفرج أساريره وهن يتمايلن برشاقة على وقع الموسيقى ، وعندئذ يقول ليمىـ رئيس الحـكام إلى جار له :

الصفو حلم فى سويعات المنامْ والأنس طيف قد يلاقيه النيامْ

والصب يأنس فى أحايين الخيالْ بالمرتجى من شائقات المستهام

يخشى ملاقاة الصـباح إذا انجلى فهو المتيَّم بالدجى يهوى الظلام

كم ذا يود لو استطال خياله كيما يداعبه المنى وَفقَ المرام

لو حكَّموه على الزمان لما ارتضى أن يستفيق للحظة لولا الملام

لله ما أقسى الحياة إذا الهوى طَبَع الملوَّع بالبلاهة والهيامْ

لاخير يسدى للوجود بسـعيه لو راح فى الإغفاء عاماً بعد عام

يا لوعة الأيام ممن بات فى هذا التراخى ، لا نهوض ولاقيام !

هيهات يحسم فى الحياة بنافع يمتد فى أفق التقدم للأمام

هيهات يقدم للنضال إذا انضوى تحت اللواء بطفرة نحو السلام

لو شئت عدّ الحالمين بشملنـا فى ذا المجالِ لتاه فى العد الزمام

فلنتعظ فى دوحة عم الصـفا أرجاءها يسرى بتيهٍ وابتسامْ

وتطول فترة الرقص فيهمس أحد الجالسين إلى جاره :

القلب من شـدوٍ ومن لهو تدله فى ولعْ

يهتاجنى اللحن الشجىْ يحدو الخيال إذا ارتفع

يرضى الصـبابة بالطرب والذوق بالفن اقتنع

إن الحياة رهينـة بين المزاح أو الوَرَعْ

والمستهين بنزعة للفن فى العيش انخدع
يلقى الحياة عليلة فى ظلها البؤس انطبع

وينتهى الرقص ثم يعود ينشو إلى الغناء :

اللهو عاود بالوفا والسعد أشرق منصفا
والدهر مقتبل السنا لاقى الأحبة لاهفا
فى مجلس أجواؤه أنسٌ وبشرٌ قد صفا
والليل غرّد لحنه عذب الرنين ليُعزَفا
فانساب يحتضن الهوى بين القلوب تلطُّفا
والحفل أصبح نشوةً تشجى الهيام تعطفا
وغداً تغيب ظلاله ويصير عهداً سالفا
إن الغناء تذوُّقٌ يرضى صبابة من هفا
وعلى جناح خياله يرتاد ظلا وارفا
فى الأيْك أو فى روضةٍ تهب الجنىَّ المرشفا
ويُرى الهزَارُ بشجوه كمتيم قد أدْنفا(١)
وإذا الحمائم رجّعت بهديلها سر الجفا
يأسو لرقة ما بدا نوحاً وحسّاً مرهفا
والكون يصبح كله لحنا يطيرُ مُرَفْرفا
ما غير مفتاح الهوى يجلو الرموز لِتُكشفا

---

(١) ثقل بسبب المرض .

فالحب إشماع المدى يهب المريد تعرُّفا
فيراه لحنا شائقاً ينسيه شقوة ماعفا
لله ما أقسى الدنا دون المحبة والوفا

ينتهى الغناء فتدخل ممثلات يمثلن الدعاء فى المعبد على وقع نغم موسيقى خاص فيهمس **الفيلسوف** لجاره :

ألحان المعبد والقدس ليست لمصاحبة الكأس
فدعاء المعبد يا ويحى هيهات يُنَغَّمُ للأنس
حرمات المعبد أسرار من ذوب الروعة والهمس
هى للمعبود ضراعات تسمو بالرهبة والحس
وأراها اليوم علانية قصد الترفيه عن النفس !
وقلوب السادة لاهية تستبقى البهجة للرمس !
ليدوم الحفل بلا حَرَج فيعوِّض أشتات الأمس

وينتهى التمثيل ، فيقف **شاعر** ليقول :

يا أنس ليل بالصبابة والفنا وافى المتيم بالرفاهة والهنا
قد كنتَ حلماً فى متاهات النوى بالشوق تلهب أو بآهات الضنا
فغدوت فى ضوء الحقيقة روضة تزهو جلالا بارتسامات السنا
جَمَلْتَ آفاق الخيال فأينعت فى دوحة الآمال أطيافُ المنى
هامت قلوبٌ ترتجى برحابه دوم الصفاء بلا جفاء أوعنا
ياليل صعَّدْتَ الرنين بنشوة هزت جوانحنا وأزكت حبنا

فتراقصت مهج وهام متيمٌ ... كل على مضناه غَنى وانثنى

وتأودت أعطاف صبٍ لاهفٍ ... مستروح فى وارفات ظلالنا

يرنو لِرَىً من عذوبةٍ من شدا ... بهوى المشوق وبالحنان بروضنا

يارب هذا الحفل صار كمعبدٍ ... فتعلق المتصوفون بحيِّنا

يا ليتنا لا نستفيق على الدجى ... من بَعْد لألاءٍ ينصِّع ليلنا

لـكن على طبع الحياة سنلتقى ... بالغيب يلقى الذكريات لوهمنا

فى كل يوم بات مراً عَدُّهُ ... تمضى بنا الأيام تحصى عمرنا

وغـــــدٍ كلغز دائم فى روحنا ... يا سائق الأيام، مهلاً قف بنا

لذ بالحياة بيُمنِهَا متيمنًا ... كى يستديم الشدو فى أجوائنا

واغنمْ من الأيام رائقَ عدِّها ... إن السعادة من روائع حقنا

فاسعد بلون من كريم ورودها ... إن الأزاهر من صميم وجودنا

والقَ الزمان على رحابة بسمة ... واسأله أن يسعى على أهوائنا

واستحلف الأيام عوداً مشرقاً ... باليمن والإسعاد تقبل ههنا

وينفض الحفل فيخرج الجميع ويبقى فرعون مع عروسه فيمد إليها ذراعيه قائلا :

تعالىْ نَبِـع ما يشفى الفؤاد ... تعالى دوحة الحب الأثيل

حنانك روضة الفىء الأمين ... يُظلُّ سلامها قلب العليل

بقربك كل أفراح الوجودِ ... تفوق محافل الأنس الجليلِ

ومالى من سويعات الصفاءِ ... سوى ما ازدان بالإلف الحليل

نفرين (بدلال) :

أما أشجاك رقصٌ أو شراب ... وأسمـــار الصحاب الأثرياء ؟

وتطريب تجوَّدَ بالمعانى   وملء الكأس من فيض الصفاء؟
أما كان اشتياقك للجمال   وليلك قد تألق بالرواء ؟

فرعون (فى دهشة) :

ياويح ليلى من هواء تذكرينْ   ما زادنى من روعه غير الحنينْ
أما الجمال بحفلنا مهما ازدهى   فقت السنا ـ نفرين ـ بالحسن المبين
قد كان زيفاً كل حسن الفاتنات   أما جمالك فطرةٌ ، وهو اليقين

نفرين :

ملكى ، حبيبى مهجتى   أشعرتنى بمكانتى
هذا الوفاء لعهدنا   زاد الصفاء ونشوتى
فأنا المشوقة — درتى —   أهديك فيض محبتى

فرعون :

تهادى بالحنين إليك شوق   وفى الوجدان فاض هوى وعشق
ولى دين على الأيام وافَ   طلائع سعده لين ورفقُ
يوافى مهجة القلب اعتزازاً   بميسور التلاقى بمن ترقُ
فخلى نشوة القبلات تترى   بطيبٍ من حنينك فهو عبق

نفرين :

يا للسعادة لم تعد أطيافا   فهى الحقيقة أقبلت أضعافا
يالحظة تختال بيننا صافية   أنت الرجاء فأغدقِ الانصافا

فرعون :

نفرين ! يا روح الفؤاد تقدمى   يا بهجة منذ اللقا ، وتكلمى

عن ليلة جَمعتْ شتات غرامنا　فتألقت آبهاؤها كالأنجمِ
هى درة الأقدار يبقى ذكرها　كالومضة اهتاجت شجون المغرمِ
ياليت بالإسعاد طالت حقبة　بالصفو تخلد دوحة المحتمى

نفرين :

كم فى ذمام الدهر أفراح ثوت　والناس فى حضن المآسى ترتمى
والحب والإسعاد حَقٌّ للملا　والعدل يَقضى للجميع بمَغنم
ولكم يُسام الناس من جور الدنا　إن عُوِّقت أضواؤها بمُكتَّم
ولئن تداعبنا السعادة فينة　يا ويحنا إن عاودت بالمؤلم !

ستار

المنظر الثانى

«غرفة متواضعة فى القصر يبدو أنها مخصصة للوصيفات تجلس فيها أونوس مع زميلتيها مارا وتيموس ، وقد علمت أونوس للتو بمقتل خطيبها فى الحرب فتجلس نادبة قائلة » : —

أتيت ألاحق شدو الهوى　ولكنّ لحن هواى انطوى
وكنت أعيش على المرتجى　عساه يذيب غيوم النوى
فلا القلب صادف نيل المنى　ولا الدهر جاد بحسم الجوى
ولا الخل جاء يراعى الوفا　فماذا أعاقه عما انتوى ؟!
يكاد الصواب بعقلى يطيش　وبين الضلوع الفؤاد اكتوى
فيا قلب ويح نعاة الحبيب　وويلى بيومٍ نذير روى !

تنتحب بحرارة فتقول لها تيموس :

حنانكِ « أونو » بقلب غضوبْ   أفيقي ، وخلّى الصواب يثوبْ

متى كان يجدى الحنين المرير ؟   ومن ذا إليك بميْت يؤوب ؟ !

يقرّح جفنيك دمع سخين   وهيهات إما دهاك الهروب

وإنى أواسى بملء الحنان   ومما جزعتِ الفؤاد يذوب

أونوس :

كيف التصبر والعزاء لمحنتى   من بعدما كتب الشقاء لقسمتى ؟ !

مارا : من شاء صبراً وجده   حتى يلاقى رَشَدَه

أونوس :

لو أن فؤادى كباقى البشر   لخفت لواعج هذا الخبر

ولو جاد حظى بيوم التلاقى   لدك الظلام ضياء السحرْ

ولكنّ بين الحنايا اضطراماً   وآهات قلبى تذيب الحجر

تيموس :

إذا القلب حمل ما لا يطيقْ   من الحزن كيف ترَى يستفيقْ ؟ !

وماذا لو أن العذاب استبد   وآذاكِ حتماً بطول الطريق ؟ !

أونوس :

ألا إننى كالغريق استجارْ   وبحر الشجون عميق القرارْ

ولجة حزنى متاه مديد   أرى العيش فيه شديد المرارْ

فكيف التخلص من عمقه ؟   وكيف النجاة ؟ وكيف الفرار ؟

مارا :

أرى فى النصح مدعاة التداوى   فما لك تجنحين إلى التهاوى ؟

أونوس :

ويح الفؤاد أيا حبيبْ ‏ إنى عييت من الوجيبْ
يا للحشاشة راعها ‏ سيل المدامع والنحيب
كم صوَّرَ اللقيا الخيالْ ‏ يرجوك للعيش القريب
قلبى ينادى من أساه ‏ أوّاه هل لى من مجيب ؟
يا لى وآمال ذوت ‏ يالى إذا طال المغيب !

تبكى أونوس فتقول لها مارا :

خفنى أونوس من هذا البكاء ‏ أنت تنعين هباءً فى هباءْ
خبرينى هل سمعنا فى الدنا ‏ أن من يخبو سناه والضياء
يرتجى بين البرايا عوده ؟

أونوس ‏ ليته بعد النوى فى الحى جاء
ليت ما أطلقتُ أضغاث الخيال ‏ ليت ما منيتَ قلبى بالرجاء !

تيموس :

أفزعت الخاطر من دمعكْ ‏ فالقلب يُذوَّبُ من روعكْ
صبراً أختاه فيا ويحى ‏ فاقت أحزانك عن وُسْعكْ
إن الأقدار إذا شاءت ‏ لا يجدى ندبك أو دمعك

أونوس :

الناس حولى فى طَرَبْ ‏ نالوا المنى ! نالوا الأرَبْ
والحب شاع رنينه ‏ بين الأحبة ، يا عجب !
لمَ يا زمانُ رعَيْتَهمْ ‏ والقلب سُمْتَهُ باللهب
هل للمسائِل مقنعٌ ‏ يا موجعى هل من سبب ؟!

ماريا (مشفقة):

إذا اهتاج قلبك هذا العذاب   فشجو الفؤاد يُضيع الصواب
وهذا التبرم يذكى الشجون   وهيهات فَضّ الأنين الصعاب
فهـــلا أفقت لطبع الحياةِ؟   يحد الوجود ويطوى الرقاب
وبالخلق كأس الحمام يدور   يذيق المنون لكهلٍ وشاب
وللناس حيْنٌ يقاس مداه   وليس حبيبك فَرْدَ الذهاب

أونوس:

قد ألهب الشوق السعيرْ   يالى وقد عز المجـــيرْ
هيهــات فى الصبر العزاء   فالقلب أصــبح يستجير
والعمر رَهنٌ للشجون   والقلب للبلوى أسـير
يا رحمـــة بالمبتلين   فالحزن متلاف مرير

تيموس:

هيهات مداومة الأحزانْ   فالشجو تلاشيه الأزمانْ
والبلسم من نسج الأيام   كالسحر مذيبٌ للأشجان

أونوس:

يارب إن دعت الأيام للسلوى   قلبى بما رمت الأحزان لن يقوى
حُمِّلتُ قسوة ما أدمى جراحاتى   رغم الرضاء بما قدَّرْتَ من بلوى
يا للمغيَّبِ! من يدريه عن كربى؟   إن الزمان حليف الهم والنجوى!

مـارا :

أونوس مهلا وارحمى هذا الشباب لا تظلمى القلب المضيَّع فى العذاب

مافات وَلّى فاستفيقى وارقبى فجراً جديداً مشرقاً يجلو الضباب

والدهر بسَّامُ السنا يأتى غدا والعيش يزهو رائعاً حلو الإهاب

أونوس :

يا ويح قلبىَ من تصاريف السما هل أرتجى عيشاً يعـاود بالهنا؟

قلبى الضنين بذكريات فى المنى قد أغفـل الآمال فى دوح الدنا

تيموس

مهلا ! سيمر بك العمْرُ وتغـــيم روائعه الزُهْرَ

وحياتك تجـدب ذاوية ويحيل معالمهـا القفْرَ

فعلامَ العيش بلا هدفٍ؟ وعلام النقمة والذُعْرُ؟

أونوس :

ما عاد لى يا قلب فى الدنيا وطَرْ حتى تساوى الشوك عندى والزَهَرْ

عاهدت قلبى أن أعيش بعزلتى فى دُجيةٍ هيهات أرتقب السحر

سيان يلقانى الصباح بضوئه أو بالتجهم والسحائب والمطر

إنى مضيَّعَةُ الوجود كسيفة وَلَّى نعيمُ الحب عنى وانحسر

أصبحت مثلك يا حبيب فقيدة عيشى خيال زائل بين البشر

أنعى على الأيام ما منعته مما ارتجينا فى أفانين القـدر

لِمَ ياحبيبى ! لِمْ عصيتَ العودلى يا لوعتى أين الحنان المنتظر؟

عهدى بك المصداق يحدوك الوفا رعياً لعهد يوم أشهدت القمر

أقسمت باللقيا إذا انفض الوغى عدلى وشتّت كل مشئوم النذر

مارا :

مهما الدجى استشرى وثار لا بد من وضح النهار
أونوس كفى ! واحـذرى شؤماً يؤدى للدمار

ثم تناجى أونوس نفسها قائلة :

وداعاً بسمة الدنيا وداعا فقد غاب الحبيب الحظ ضاعا
وهيهات التحفظ من دمار إذا الآلام هدّتنى تباعاً
فيالى من صروف قد رمتنى بثائرة قد احتدمت صراعاً
فبات القلب لا يشجيه لحن سوى شجو شرى فيه وباعا
وأعيتنى غياهب مايغيب لجئت الدهر أسأل كيف راعا[1] ؟!
بربك يا زمان إلامَ تجرى وتنثر للبلى عمرى سراعا
أرى غيرى بأهداف يعلّى وفى العلياء يرتسم القلاعا
وأيامى فراغ لست أدرى لمَ أرضى لفحواها الضياعا
أأختصم الحياة على جراحى ؟ وأختم عقمها كيلا وصاعا ؟
سيؤثرنى بعطف كل غاد ويرمقنى بإشفاق يراعى
ألا إنى الشهيـدة يا زمانى أسائل كيف كسَّرتَ الشراعا ؟ !
وفى قيم الحياة رجوتُ خيراً وهيأت الروائع لى متاعاً
أيرضيك الغرور وقد تناهى مآل العيش شوقاً والتياعاً ؟

مارا تعجب من مفارقات الحياة قائلة :

شأو الدنا لعمرى قد حار فيه أمرى
إن تحسم السماء حكم الزمان يسرى

---

(١) أفزع .

إن أغضبت أهاجت بالمد دون حصرِ
إن القضاء حتمٌ مهما نخاف يجرى !
نرضاه دون وعى باليسر أو بعسر
تــلونٌ عجيب بالرغب أو بقهر
هيهات دام حزن أو بسمة لثغر !
تلك الدنا ! فسحقاً لو تلتوى بعمرى !..

أونوس (تنصت، وقد تطلعت إلى السماء كمن يسمع هاتفاً خفياً، أو همساً من الغيب):

رَعَى الأذنَ هَمْسٌ خفِىَ النداء فلا هو وَهْمٌ وليس غباء
هو الصوت يسرى بأعلا رنين بهاتف هذىٍ توافى السماء !
فيا قلب أبشر ودع ما يضيم سرى الهم عنى وزال العناء
فما بين أطلال عيش أهيم وهيهات عمرى يضيع هباء
سأحيا بمعبد رب الحيــاة سأحيا لأقضى عهود الوفاء
سأجثو أمام الإله العظيم أبثــه عمق خفايا الشقاء
ولله عطف على الحائرين يكفكف دمعى ويعطى العزاء
سأعبد ربى مع التائبين وأرجو الخلود إذا الحين جاء
وبعد التـأسى ونفى الحنين سألقى بمعبد ربى الرضاء

مارا (فى ذعر مندهشة من تغير الحال مع أونوس من يأس مرير إلى رجاء مفاجىء):

يا لها ! أونوس تهذى من شجَنْ إنمــا قالت هراءً من حزَنْ
من قليــل عولت تنفى الحياهْ أو تعادى الطير إن لاغى الفنَنْ

كذّبتنا حين قلنا الصبر دين وانبرت تدعو لخلف فى السنن

من قليل قرّحت جفن العيون من بكاء ، أو رثاء ، أو وهنْ

ثم عادت ترتضى العيش الرصين دون همٍّ ، أو عويل ، أومحنْ !

كيف يا رباه عادت للحياة بعد أن عافت جناها والمِنَنْ ؟

تيموس لمارا :

أمارا ! كلانا دهانا العجب فياليت ندرى خفىَّ السببْ

علام تعــول دون الحبيب وقد غاب طيف المنى واحتجب ؟!

أرانى أُجَنّ بمحض الشكوك ومن قولها «أمن عمرى استتب»

فكيف تغيَّرَ مجرى الحياة فأضحت تنادى بنيل الأرب ؟ !

أطاش حجاها لفرط الأنين ؟ ! وهدَّ الكيان عميم النَصَب ؟

فباتت تغمغم بالخافيات وتصغى لداعٍ بعالى الرتب

فهل هو طيف الحبيب الفقيد يحوِّم شوقاً إلى من أحب ؟ !

أونوس تسمع حوار الوصيفتين فتقول :

عــداء الدهر غيَّرَ ما ارتضينا وقد رُمْنا اللقاء فما اهتدينا

أرى الدنيا تهاجمنى بغبن وتقسو دون إشفاق علينا

ففيمَ العيش والإعياء أضنى بمهدور الرجاء وَما جنينا[1]

أرى المجهول خصماً مذ طواه وأودى بالمراد فما جنينا[2]

ألم نرجُ المؤنق فى التدانى لنرشف فى السعادة ما رعينا ؟

---

(١) لم نجن على أحد . (٢) لم نحصد شيئاً .

وهل يجلو الشقاء طويل عمرى وقد هدمَ المقــدَّر ما بنينا ؟
ففيمَ أيا حبيب أهيم شوقاً ! لتشفى لوعتى جفناً وعينا ؟
تعاهدنا نقدّس فى وفاء ذمامَ الحب مذ آوَى إلينا
وقد حصنتُ حبك فى فؤادى وصنت الحب لى ، إنا وفينا
وإن أرعَ العهــود لك التزاما كلانا للأمانة قد وعينا
وها دنياى قد رخصت وهانت كما هانت عليـك ، فما التقينا !

تيموس (فى شفقة) :

تناسىْ لوعة الصادى تناسىْ دهرك العادى
وهيّا فى الحمى نسـعى نجوب السهل والوادى
نحيـل الروض ألحاناً نحـيِّي طيره الشادى
نحـيِّي نضرة الغصن نحيي ورده النادى
وصونى القدَّ من شؤمٍ وخلى زهدك البادى
فـكل الخلق روّاحٌ وهذا الملك للهـادى

أونوس :

إن كنت أخلى القلب من سقم الجزعْ لا أرتضى إلا حياة فى الورَعْ
هيهات يشجينى غناء أو مرَح ما عاد للقلب ارتضاء المستمع
قد ولتِ الدنيا ، وعهدى بالهوى والعقل هيمان بزهدىَ مقتنع

مــارا :

عجيب وحقك هذا الـكلامْ وترك الرفاق استحق الملامْ

وكيف أهاجك حكمٌ يعمّ ... له الكل يعنو بغير انقسام

فما الناس إلا نسيمٌ يهبّ ... وهيهات يبقى لحيّ دوامْ

فأعمار قوم قصارٌ قصارْ ... وما طال منها يلاقى الختام

فياليت شعرى إلامَ المسير ؟ ... وعيشك رغد ببيت الكرام

أنوس تعالى وصونى الحياة ... بقصر المليك فيحلو المقام !

أونوس :

وعيتُ النداء إلى المرشد ... ووجّهَ خطوى إلى المعبدِ

ولذّ لسمعى الدعاء الخفى ... وقلت لقلبى : ألا فاهتدِ

وهبْكَ لِتوّك جئتَ الدنا ... بجدة روحك والمولد

فلذ بالمعابد تلقَ الهنا ... وهيّىء ميولك للسؤدد

مارا : (محتدة) :

ورب الجلالة هذا رياء ! ... فنور الهداية عفواً أضاء ؟

ولى كل عذر إذا الشك ثار ... يوالى اعتراضى صباحَ مساء

أنوس أفيضى صريح اليقين ... وللحق دينٌ على الأوفياء

لو أن هواك أصاب المرام ... وفى الظافرين حبيبك جاء

أما كان يوفى ذمام الغرام ... وللخل يقضى شمول الولاء ؟

لو أن الحنين طواه الحنان ... وطوّق جيدك حسن اللقاء

أما كان يبقى انسجام القلوب ... بدنيا الدلال، وطول اشتهاء؟

فيا للتدين كيف يساق ؟ ... وكل يلوّن كيف يشاء !

أونوس :

سقانى زمانى شقاء الفراق فمالى وبؤسى ، وكيف يطاقْ ؟
تغيَّبَ بدرى ربيب الكمال ولفّ طيفى ظلامُ المحاق
فلا تعجبنّ إذا العيش هانْ فقد هان قلبىَ يوم الفراقْ
ودون الأحبة هل من حياة ؟ وهل ترتضيها النفوس الرقاق[1] ؟
أأحيا كظلٍ شديد الوجوم أناجى الحبيب وأنوى اللحاق ؟
أم القلب يخشع وهو يفيق على همسات تذيب المشاق
وتهدى الرغائب صوب الجلال يصون العفاف بأسمى النطاق
وهذا لعمرى صريح المقال أتاه لسانى بغير نفاق

تيموس : (متأثرة وقد بدا عليها التصديق) :

وحق الإله كلام عَجَبْ كصفو الرحيق يلذ لصبّ
فأسمى الرغائب ضوء العلا ينير مسالك أهل الأدب
فلا التيه يطغى على من سعى لتبيان حقٍ ونيل الأرب
ولا بالتواءٍ تزل الخطى ولا القلب يفنى بشجو العطب
فيا للحقيقة من قوة تذيب الشكوك وتنفى الريب
وإنى لأخشع يا أختنا ويهتاج نفسى بليغ السبب
وما قد رويت هو المرتجى لبعث الحياة بأعلى الرتب

أونوس :

النفس مشاعرها التهبتْ ولحب الخالق قد نزعت
وأنا ضحيت بدنياى فيول النفس قد ارتفعت

---

(١) النفوس اللطيفه .

والحب تدفق مدرارا من فيض الله لمن وُهبت
والنفس تخلت عن قلقٍ وشقاء الفرقة قد نسيت
أفراح الروح تناجيها فعلى الأحزان قد انتصرت
والنفس يروق تطبعها بسلام الهدى إذا انطبعت
وأنا بالأقوم راضيــة توجيه الروح وما ذهبتْ
وأرى الأشواق قد ارتبطت **بفروض** المعبد واقتصرتْ
بالروح أهيم على أملٍ ارتاد الخلد إذا انطلقت
وهناك تحف بترحيبٍ روح المحبوب إذا رغبتْ

مارا (تخاطب نفسها فى همس):

لو أن العزيمة قد أذعنت لرأى الصديقة مذ عولتْ
قبيل الرحيل عساها غدا تحاجى المليكة عما ارتأت
فمنها التذمر من فرقة ومنها السماح إذا حبّذت

ثم تخاطب أونوس:

إقناع الحجة والمنطق أونوس لمثلك لم يسبقْ
وجدالك أصبح لايجدى وإعاقة سعيك تستغلق
فخذى الأيام بما رسمت بمبلّج إصباحٍ مشرقْ
فوراء الأفق أرى نورا وضاح الصورة كالمبرقْ
قد لفف قدك واستعلى فأضاء جبينك والمفرق
فتعالى نعلم مولاتى فلربَّ غيابك قد يقلقْ
ولو أن وداعك يضنيها ولطول الفرقة قد تشفقْ

ستار

المنظر الثالث

«غرفة الملكة فى قصر فرعون، وتبدو الملكة جالسة على سريرها تفكر ساهمة فى الأحداث الضخمة التى تمر بها، ثم تدخل **أونوس** وتوجه الحديث إلى الملكة»:

بإذن المليكة إن أنصفت أراعى الجميل إذا أنصتت

الملكة :

خيراً أونوس تكلمى

أونوس : دومى ، بعطفك أحتمى

الملكة : أقلقت فكرى ! ما بك ؟ !

أونوس : قولى تعثر فى فمى

خطبى الجسيم مروعى خلّى الفؤاد بمأتم

مات الحبيب مليكتى نلت البقاء ، ألا اسلمى

للحال غيرٌ منهجى ولذا أفيد لتعلمى

الملكة :

صبراً أنوس تجلدى فالصبر أنجع بلسم

أونوس :

نصح المليكة حكمة يسعى بها من قد رُمِى

والصبر موطنه العلا يهدى بعطف المنعم

فإلى منابع جوده ألقى جلال المغنم

الملكة : تنوين البعد عن الدنيا ؟ !

أونوس : هو ذاك ، وألجأ للعليا

الملكة هذى نزوات المكلوم ! !

أونوس : لا بل نفثات المهموم

لولا رشد العقل الهادى لقضيت بجرحى المشئوم

الملكة :

فبحق النور كفى هذراً فخيالك أس المفهوم

ضاقت أحوالك بالشكوى من فقد الحب الموهوم

واهتاجت ضائقة البلوى أشجان القلب المظلوم

فسمعتِ الهمس ولا همس فالهمس بعقل الموسوم

فأفيقى أونس[1] من يأس وكفى من هذى منظوم!

واعتادى الصبر مع التقوى وحذار نداء المحروم

وأعيذى النفس من الخوف أو صد العيشِ المقسوم

وارتادى الحكمة فى السلوى وارضى بالحكم المرسوم

فوحق الحب ألا أصغى لنداء الصبر المحتوم

أونوس :

عزيز وحقك نصح الأمين إذا ما ارتضاه شجى حزين

لنُصح المليكة أغلى سراج يضىء الحياة بهدْىٍ مكين

---

(١) تدليل واختزال « أونوس » .

سأذكر دوماً جميل العزاء يطوق جيدى طوال السنين

ولكن وحقك ما بى غباء ولا القول جاء بأفك مشين

فهمس السماء دعاء صريح وفحوى نداه بصحوى يقين

دُعيتُ لترك متاع يزول لأُعلى الوجود مع الراشدين

فهبهات خطٌّ بدنيا الغرور قويم السوىّ لدنيا ودين

وقلبي الشغوف يصون النقاء لتخلد روحى مع المهتدين

وسوف أقدّس عهد الولاءِ أؤدى الفروض مع العابدين

وأقسم أنى وعيت السداد وهذا ـ مليكة ـ صدق الضنين

وسوف أرتل آى الشكور إزاء التعطف إذ تنصتين

ولو شاء حبك لى مطمع دعاء الرضاء فهل تقبلين ؟

المليكة :

بحبى نصحت فيا غاليه لك الله فى ثقة عاليهْ !

أرى فى التزامك عهد الوفا شفافية الفطرة الصافيهْ

وعما رويت فهمس العلا ينصِّع فطنتك الواعيهْ

فخيراً إذا ما تبدّى الهوى لنبع الخلود ، وللباقيه

ورب ضياء ينير الدجى ويقصى معالمه الباليه

فصونى شبابك دون الورى هبيه لآلهة راضيه

وعند المشيب دعى الذكريات لتمحى مواردها القاسيه

وخلى الجوانح لا تستضيف سوى المستحب من الآسيه

ولله أنت وما تنشدين ونعم مقاصدك الراقيه

ورغم التباين لا تجحدى جميلا لعشرتنا الماضيه

أونوس (تبكى متأثرة) :

الدمع أفشى ما استكان بأضلعى وأهاج قلبى يا مليكة ما أعى
هيهات تنأى الذكريات مليكتى عن خاطرى يوماً وأنفاسى معى
فالذكريات إذا تنصّع ذكرها فلاذ فكرى فى حماك الأرفع
هيهات أجحد والنفائس منة در النصائح فى الكلام المقنع
قول يسجل بالعذوبة رنةً أنغامها أبداً تلاحق مسمعى

ويشتد بها البكاء لكنها تواصل الحديث :

رحماك ربى من مرارة فرقةٍ قامت تمزق من حنايا الأضلع
واشتد ما تخفى المحاجر فانبرت فى حسرة تهمى هتون الأدمع
والعمر أقفر من هديل هزاره ومرارة الأيام تقلق مضجعى
فإذا جزعت فمن فراق أحبتى وزفير بؤسى من فراق الموضع[1]
ما عاد يجدى أن أعاود ما انقضى فلكم سلام من مشوق مولع

ستار

---

(١) القصر .

الفصل الثالث

المنظر الأول

« فى قسم من معبد الكرنك ملىء بالأعمدة الضخمة والتماثيل الجميلة ، تدخل أونوس فى خطوات هادئة وتجلس على قاعدة أحد الأعمدة ثم تتحدث كأنما تناجى نفسها » .

أونوس :

يا قلب نلت ما يرام ويورد فاخشع لرهبة ما حواه المعبدُ
كانت تساومك الرغائب فى الدنا تغرى بأطماعٍ ترام وتنشد
حتى تجاوزت المحال بوثبة تقضى على ملل الركود وتسعد
يا قلب زدنى بانطباعات العلا فإذا التفوق بالمدارك أرشدُ
يا هول ما قاسى الفؤاد بيأسه فغدا ينوء بما يضيم ويجهدُ
فنبذت آمالا على حب هوى قد خلتُ أنه فى حياتى الأوحدُ
وخشيت أن أفنى بلاذع بلوتى والنفس مثل حبيبها قد تخمدُ
هذا الذى إن كان فارق مكرهاً دنيا المنون له النعيمُ الأمجدُ
وعليه كفكفت المدامع وانقضى عهد الشجون إلى سلام يقصد
لألوذ فى صمت التعبد بالذى منه العزاء لصابر يتزود
فلو أن أحباب القصور يروننى بين السكينة والرضى قد أحسد
هم فى مخادعة المظاهر نُعّموا وهنا النعيم لزاهد يتعبد
شاءوا المباهج والثراء تفاخراً هيهات بالأموال يشرى السؤدد

وأرى التجرد والتنازل ملهماً   أسمى المنزه من معان تنشد
فتهنئي يا نفس بالحزم الذى   قاد الخطى حيث السداد يؤيد

ثم تتقدم فى تؤدة خطوات قليلة فتجد نفسها أمام كاهنات وعابدات كثيرات فتقول لهن وللأم الرئيسة :

على أخـواتى مزيد السلامْ   وللأم أبعث ألف احـترام

الجميـــع يرددن :

على الأخت نور الرضى والسلام   خطرتِ ربوعا لأسمى مقامْ
يحاديكِ هدْى الإله العظيم   فصونى العهود لنيْل المرامْ

ثم تقول الأم الرئيسة لأونوس :

أراك بنيتى أشرعت بابا   يُرِى العيش المـكمَّل والصوابا
وها للنـيِّرات قد اهتـديتِ   فأنقذتِ المقاصد والشبابا
فهيا بدلى أثواب ضنك   بلائق ما يزين لك الثوابا

تذهب الرئيسة ومعها أونوس فتبدل ثوبها الأسود بثياب هفهافة ناصعة البياض ، ثم تنظر إلى نفسها قائلة :

تركت الحزن مـذ بدلت ثوبى   فشتت يا غفور سـواد قلبى
ومن بعد المـآثم والمعاصى   أثوب فيا إلهىَ هل تلبى ؟
فجدد يارحيم نقاء نفسى   وأشعـل بالحنين إليك حبى
إلهى قد دعوتك باشتياقى   فهيمن بالحنان فأنت حسبى
وكن لى فى علاك ملاذ روحى   وعـوذٍ بالرضى مكنون لبى

وكن عون المشاعر حيث تسرى ... وهيء لى السلام وأنت قربى

وحقق بالعبادة كل زادى ... ففى نجوى جلالك كل دأبى

وهنا توجهها الرئيسة إلى الاندماج مع العابدات . وبعد الفراغ من العبادة تقول **احدى العابدات** عنها لزميلة لها :

تبارك ربُ العلا والجلالْ ... تبارك بارىء هذا الجمالْ

يحدث نور المحيا المضيء ... بمسحة ماضى الهوى والدلالْ

لعل شقاء بسر دفين ... لمعبدنا قد هدى لاعتزالْ

تَحَصَّنُ مما يضيم الكيان ... وما اشتد من جافيات الليالْ

فنعم اختيار ، فهذا المكان ... محال يُرى الحزن فيه محال!

وهذا الجمال استحق بهاه ... عزيز حكيم هو المتعالْ

فمنه إليه الرشيق الكريم ... ومنه إليه معانى الكمال

وهذى أتته ترد الجميل ... وقربانها من حميد الخصال

فيا رب هبها حياة النقاء ... لتضمن عندك حسن المآل!

وتتحدث عنها **رئيسة الكاهنات** للكاهن الأعظم قائلة :

تراها إذا ما استقام الدعاءْ ... تؤدى الصلاة بعمق الصفاء

وبعد العبادة صمت بليغ ... خشوعُ الوقار يشيع الضياء

وضوح السلام على وجهها ... ومسحة حزن تزيد البهاءَ

وتبدو كمن تستشف الغيوب ... إذا الطرف سُرِّح يغزو الفضاء

تطيل التأمل فى نشوةٍ ... تسوق المشاعر نحو العلاء

فتصبح روحاً تناجى الإله بأنغام شكر يقرئ الوفاء
غدت كالملائك فى روضة بكل العفاف وكل النقاء
تهيم وتصغى إلى همسة توافى بوحى يعز الرجاء
فتقوى العزيمة فى قلبها وتسمو بنسك ينير الخفاء
ففى السر والجهر قد أينعت بما تستحق عليه الثناء
وإن أسمعتك إذا كلمت فنطق بما يعجز الحكماء
ففى الصمت والنطق قد حققت كمالا يفوق حجى الفهماء
وإنى لأكبر من شأنها حبتها السجايا بأنقى رداء

الكاهن الأعظم :

أرى الأيام قدمن العجابا وقد سن المآرب والصوابا
وهذى الأخت فى نسك وزهد لنور الله قدمت الشبابا
أراها أبرمت عهداً نزيهاً كعابدة ، لتحتسب الثوابا
وكم من شقوة بين البرايا بواطنها ترى للهدى بابا
وها «أونوس» هدتها الليالى فجرعت السآمة والعذابا
فلم تسعد بدنيا الناس عيشاً وكانت بينهم تلقى اغترابا
فآبت للقويم تهيم شوقاً إلى المعبود تنتسب انتسابا
وفاقت كل عابدة سواها وتاقت للكمال ترى اقترابا

وتستعد أونوس للعبادة فتتقدم نحو الآلهة ، ويقول **الكاهن الأعظم** للرئيسة :

تهادت بالصفاء وقد تسامى جمال الروح يعتصم الزماما

رنت بالحب فى عمق تجلى على القسمات نوراً وابتساما

وما فى العالمين يفوق طهراً كعشق للإله علا مقاما

وفى هذا أرى أونوس فاقت وعاشت فى عبادتها هياما

بنجواها تقدست المعانى وعشق الروح توجها السلاما

ومن قلب تدله بالمعالى تداوم الاتصال والانسجاما

وتصغى للخلود وللخفايا تناجيها وتسمعها كلاما

يحاديها جلال فى خشوع يحتّم أن نكنّ لها احتراما

فياسبحان من أوحى إليها بأن ترضى بمعبده المقاما

فبين العابدات غدت مثالا بكل فضيلة تقضى التزاما

ثم ينصرف الكاهن الأعظم تاركاً أونوس وزميلاتها ، فتجلس اونوس على قاعدة أحد الأعمدة وتتحدث كأنما تناجى نفسها :

كرهت المنام وغمض العيون وطوعت ليلى لسهد الجفون

أرى الليل مسرى الخيال الرفيع يناجيك ربى قبيل المنون

بروحى أهيم لأوج السماء ففيها سيبقى نزيل القرون

ويرتاد فكرى جلال علاك بوعى شغوف لمرأى الحنون

فبالقرب منك محط الرجاء فأنت الإله العظيم الشئون

وأخشى على القلب من فرقة إذا العين أغفت وساد السكون

فإن طال نومى سأبكى المآل وحرمان روحى بدمع هتون

فياليلى هبك حرمت المنام ستقضى الشغاف بفرط الشجون

ففى النـوم يطوى خيال المشوق وفى النوم كل عناء يهونْ
فيالوعتى لو رضيت المنام ويا حسرتى لو تطول السنون

ثم تتجه إلى أحد التماثيل الضخمة تناجيه قائلة :

إلهى أقدّس فيك الخلود أقدس أقوى معانى الوجود
سأقضى حياتى بقلب أناب للقياك أنشد يوماً أعود
فما عدت أرضى سواك حبيباً وروحى وقلبى علىّ شهود
هو الحب غير مجرى الحياة وبدّلَ شوك الضنا بالورود
أناجيك بالروح فى لهفة فما عاد بين كلينا سدود
وهبت العبادة لى منة وإنى ببيتك ألقى السعود
إذا طاف قلبى بباب حماك يسائل هدياً توافى الردود
وأصبحت يشغل قلبى رضاك فأنت المهيب وأنت الودود
وبالحمد جئتُ أوفى الجميل وأدعو المراحم دوماً تجود
فتنطق نفسى بمكنونها بفيض الوفاء ورعى العهود

* * *

ثم ترى زميلات أونوس عليها الفزع وهى تخاطب نفسها فى المعبد بصوت مسموع فيدعون رئيسة الكاهنات لتستمع إليها وهى تقول :

إلهى القلب أصبح فى هواجسْ تـكاد اليوم تقتله الوساوسْ
فهوّن من ظنونى يا مجيرى وكن لى إذ دعوتك خير حارس
ففى أذنى رنين من بعيـد كأصداء تردد صوت هامس

وتهب واقفة ثم،تقول (وهى مذعورة) :

لقـد وضح الدعاء ترى من ذا ينادى ؟ !
لعل الصوت وهمٌ تسرب فى رشادى!
أفى صحوى ووعيى أهلَّ نداء شادى ؟ !
يردد ذكريات عفا عنها فؤادى ؟ !

صوت من الغيب :

أونوس يا حبيبتى هل ترهبين لقيتى؟
بالروح جئت لاهفاً هلا تصان لهفتى ؟
عاودتكِ مناجياً يالى ! ويالرجعتى !
لى دعوة عجيبة هيا انصتى لدعوتى
لا تجزعى بريبة ليست تريب وقفتى!
وافيتك مشجعاً كى تستبينى فرحتى
أرعى القداسة التى أعلت مقام مُنيتى
فالروح إذ ترفعت أحيت سلام مهجتى
حقاً لأنت من لها فضلٌ أحقّ عودتى
فلتسمعى رسالة تعلى شئون نصرتى

أونوس (منزعجة) :

مهلا صدى أنغام حبى الغابره خفف رنين الذكريات العاطرهْ!
رنات صوتك قد ألفت سماعها حقاً ، وكانت فى العذوبة نادرهْ
قد كان طابعها الحنان وها هى قد عاودت فى الأذن تعلَن ظاهره

إن الظنون تـكاد تذهب حجتى وأذوب رعباً بالمخاوف حائره

إن كنتَ ترياقاً لسقم مشاعرى وعلى عزاء القلب روحك قادره

بعد افتراق كيف عدتَ لحينا ؟ قل: كيف عودك من غيوب الآخره؟

هل أنت فى دنيا الخلود مسرّح ؟ أم أنت أوهام الخيال الساحره ؟

صوت الروح :

أهدى الهوى للروح من وجدانهِ عبقاً يطيب الخلد من تبيانهِ

نجوى تهيم على المدى دفاقة تمسى وتصبح فى دنا أخـدانه

فى لحهـا ومض الشهاب مبلج كالنور يبعث من ذرى أعنانه

يغزو قباب المشرقين تعطفاً يأسو لصبٍّ فى لظى أحزانه

أفشى الحنين مسيل دمع صانه فارفضّ من توقٍ ، ومن أشجانه

والروح ينطق بالعجاب مواسياً قلب الحبيبة . راثفاً بكيانه

يا قلب قد حكم الصدا فى وجده فغدا أسير اليأس فى كتمانه

أشجاك سهم بالضنا حزّ الحشا والسهد يرثى النوم فى أجفانه

يا هارباً من شائق العيش الذى يستمتع الأحياء فى ألوانه

وانسقت تشكو طالعاً ساءت به عقبى الأمانى فى دجى أزمانه

قد كان ظنك أننى عبر المدى أدرجت فى هونٍ ، وفى أركانه

فانظر لقاءً ما حلمتَ بطيبه فهو الوفاء يتيه فى إمكانه

كم ذا جهدت لـكى يرصّع روضة بالحب أزهر من علا أفنانه

أونوس (منزعجة وعاتبة) :

يالأمى ما الذكريات وما الهوى إلا مذاب الصبر يسكب بالنوى

كم بالأحبة يستبد سعيره   يذوى الحنايا من لظاه فتكتوى

فترى اللواعج والصبابة لوعة   ملأت كئوس المستهيم وذى الجوى

وتسوم الآهاتُ حيلة مرتضٍ   بالصبر إن ملَّ الزمان بما حوى

فاترك معاتبة الحنان وشجوه   فالقلب من فرط الجوى فقد القوى

لا أرتضى عوداً لومضة ما انقضى   فلقد خبا ومض الرجاء وقد هوى



لا أرتضى عوداً لومضة ما انقضى   فلقد خبا ومض الرجاء وقد هوى

صوت الروح :

يا حبـــــة القلبِ يا أقـدس الحبِّ
يا قبـــلة الروح فى البعد والقــرب
وافيت للنجـوى لم آت للرعب
بالروح جـوّاب أختال فى الدرب
أصبحت كالطـير حرا مع الصحب
هيهات لى سـلوى مذ ضمنى ربى
إلا منـــاجاة بالقلب واللب
قدسية المـرمى خلواً من الذنب
من أجلها أسمى بالسهل والصعب
حتى أوافيـك من دون ما عتب
كى أشرح الشكوى من لهفة الصب
فالحـــب لايفنى أوّاه من حبى !

أونوس (عاتبة):

صه يا حبيبى ! ولا تنبش مآسينا فالحب ولى ، كذا الدنيا وماضينا
أقصرْ ملاماً فإن العتب يتلفنى واكتم هواك فشجو الروح يضنينا
ما عاد لى فى الهوى قصد أؤمله فالقبر قـد غالنا أغلى أمانينا
والقلب أغفل ذكرى غاب باعثها منذ اعتصامى بتلك الدار تأوينا
صار اعتكافى بدارى منهلا عذباً فادع التقى فى ضياء البرِ يحمينا

وأرقب مجيئىَ يومَ الحين يطلبنى   وارجُ الإله لدار السعد يهدينا
فى دوحة الحب نُجوى بها زهر   فى جنـة الخلد يسمو تلاقينا

صوت الروح :

حسْبُ المحبوب ويسعده   أنى أدعوه وأنشده !
فى لقيا الروح لعـابدةٍ   ما الحب العابث مقصده
لـكن للروح رسالتِه   وجميل النسك يؤيده
يدعو الإنسان إلى هدف   بالنهج العفّ يخلده
فالروح الهادف للجُلّى(١)   أمجاد الخلد تعضّدهُ
ياليت المرء إذا يصغى   للروح العائد يرشده
ألفى فى الرجعة فائدة   تحيي الإنسان وتسعده
والآن تحية ناسكة   ترضى الرحمن وتعبده

أونوس (متوسلة) :

يا روح حبى الأمثلِ   رحماك لا تتعجلى
نجواك من دار الخلو   د ألفتها ، وأحب لى
أنت النبيلة مقصداً   أرجوك ألا ترحلى
إنى سأرقب رائفاً   يهدى الرسالة من على
فهى الحياة لمن يعى   وهى اليقين لمجتلى
فاسمح غداً برسالة   يسمو بها مستقبلى

---

(١) للأمر الجلل .

الروح :

يا منيتى حتما أوافيكم غدا فلتقبليني حارساً أو مرشدا

نور الوجود يظل لقيانا التى فيها السعادة والسلام تجددا

وحديثنا قد يستحب ، ومثله فى العالمين لكم أقام وأقعدا

فى حكمة تجلو الغموض عن العلا وطدت عزمى أن تكون المقصدا

فإلى غد إن شاء من رفع السما تصغى لروح ما أتتك توددا

لكن بشجو من مآتم أرضكم أشفقت ، ثم أتيت فيكم منجدا

فمن استقام على هدى بدراية عما وراء الحجب فاه مسددا

هذى لعمرى يا مناى رسالتى ما شئت فيها بالبيان ترددا

تلقين فيها بالمناعة بلسما إن تستجيبى للمعرّف بالهدى

ولك السلام ، سلام روح يانع فى روضة الأبرار منذ استشهدا

وتذهب الروح ، وتأخذ العابدات فى الانصراف .

ستار

المنظر الثانى

« قدس الأقداس من نفس المعبد يقف فيه الكاهن الأعظم مع مجموعة من العابدات يتوسلون إلى الآلهة، وتدخل عندئذ **الرئيسة الكاهنة** موجهة الحديث إلى الكاهن الأعظم» :

أبى سأعلمك العجب ولموقفى هذا سبب

الكاهن الأعظم :

أنت المصون بحرمة هاتى اليقين بلا عتب

الرئيسه : رأيت اليوم أعجوبهْ وقولى دون أكذوبهْ
أنوس خاطبت روحاً من العلياء موهوبهْ !

الكاهن : لعل كثرة النسك دعت أونوس للإفك !
فعن ماذا تحدثنا أما فى الأمر من شك ؟

الرئيســة :

ما جئت أعلن ما بمنزلة الدجلْ يعلو مقامك عن أساطير الخطل

الكاهن :

قولى إذن ما ترغبين والحق أنك تصدقين

الرئيسه : الروح جاء محجبا «ولأون»[1] كان مخاطبا
حيا بلهفة واله يدلى الكلام المعجبا
ظنته «أونس» لاهياً يهفو مشوقاً معجبا
صدته فوراً فى وجل تخشى اللقاء المرعبا
لـكن وأقدس حكمة فى القول كان مؤدبا

الكاهن :

باسم الذى أعلى السماء بنورها هل أعلمتها الروح قصد حضورها؟
هل أفصحت فيمَ الرسالة ياترى ؟ وهل اختفت للتو بعد ظهورها ؟

الرئيســة :

كانت رسالته هداية من يعى ما زال منها ما يرن بمسمعى

(١، ٢) اختزال وتدليل لاسم « أونوس ».

واستأثرت بمشاعرى بحنانها فوعيتها حتى استفاضت أدمعى

وانسابتِ الروحُ الجليلةُ ترتجى من يستعد لحينه المتوقع

فإذا سمحت أبى غداً فى المعبد شرِّف تجد «أونو» وأترابى معى

تُصغى إلى قولٍ ؛ وتوقن كنهه ولقد تُسائل ، أو يجيب الألمعى(١)

ثم يطوف **الكاهن الأعظم** بصفوف العابدات ليبخر للآلهة ، وعند مروره يقول :

يا عابدات الروح طاب صباحكنْ بالنسْك والتسبيح زاد صلاحكن

وتقبلت منكن آلهة السما ء سجودكن بخشعةٍ وصَلاَتكنْ

فازددن زهداً تستقيمُ أموركن وبعفة يبقى النقاء سلاحكن

العابدات : طاب الصباح بحضرتكْ والنور فاض بطلعتك

والفرح عَمَّ ببهجتك وشدا الجلال برفعتك

الرئيسة :

أسديتَ نصحاً يا أبانا مِنَّة فغمرتنا فضلا ، ونلنا نعمةً

زوّدتَ أرواح العذارى حكمةً ليفُقن زهداً فى الحياة وعِفَّةَ

وبعثت من تقواك فينا لمحة وضاءة يا شُعلةً قدسيَّة

الكاهن :

على البركات أقمن العبادهْ فإن العبادة سر السعاده

فمن جعل النسك نهجاً وعاده أعدَّ لروحه فى الخلد زادَه

(١) تقصد الروح .

وتقوى النفوس تديم الإشاده ومن دون تقوى تشيع الإباده

وزهدٌ وبِرٌّ دليـل الإفاده فللعابدات هـدىً واستفاده

وينصرف الـكاهن ليمكث منتظراً على مقربة حتى يسمع صوت الروح عند ظهوره، فتقول الرئيسة :

كلامه عَبْق كطيب البخورْ وكم من نصوح يريح الضجورْ

وبين الحنـايا يشيع السلام فتهدأ ثورة ما فى الصـدورْ

فهيا بنـاتى نؤدِّ الصلاة فحبُّ العبادةِ للروح نور

ثم يؤدين الصلاة ، وتحضر أونوس وتجلس مناجية نفسها بجوار أحد الأعمدة :

ترَى، للوعد يُنجِزُ أم سَلاَهْ ؟! وبى شـغف التزود من هُدَاه

فيا روح الحبيب ألا تَعال وعرِّف ما الخلود ، وما مداه !

وبالإيضاحْ جُدْ نَلْقَ الصوابْ وبالتبيان أفصحْ ما الحياه ؟ !

فـكم ساعٍ من العرفان خالٍ وكم لاهٍ عن المضـمون تاه !

فياليت الغيوب لنا تلينُ وأسمع صوت آتٍ من علاهْ !

صوت الروح :

بروحى فديت الشغوف الودودْ فإنى وفىٌّ حفظت العهـودْ

ورنة صوتى عجابٌ ، وقد أتيت لأعلن سر الوجود

ألستُ المغيَّب تحت الـثرى وبينى وبين البرايا سدود ؟ !

أما قيل أفنى المنونُ الـكيان ؟ أما قال عنى الورى . قد أبيد ؟ !

وقالوا : شهيد بروحى أجودْ وما قيل إنى بروحى أعودْ !

ولكنَّ حبّكِ أقوى رباط وأصبحتِ منّى كطيب وعُود
ورغم فراق سيبقى الوفاء شذياً قوياً يفوق الحدود !
وآتى دواماً أنير السبيل أحادى خطاك لأوج الخلود

أونوس :

لك الله شهماً بدنيا ودين وإنى لأصغى بفيض اليقين

صوت الروح :

للدارجين على البسيطة مولدُ للسعى فى دوح الوجود ومقصدُ
كل يمثل فى الحياة رواية ! وعلى التصرف ما يُعَدُّ ويُنقدُ
من يرتضى سطحية لكيانه هيهات يغنم من رواء يُحصَدُ
يلقى الوجود متاهة يقضى بها عيشاً رخيصاً شذّ عما يُحمَدُ
يضنيه إذ يبدى السراب تمنعاً عن رى صاد يَستحِثُ وينشُدُ
فيضيق ذرعا بالخيال محجباً عين البصيرة عن قويم يُرْشِدُ
أما الذى تشجيهِ أنغام الهُدَى فبيقظة الوعى الحكيم يشيّدُ
يحيا على رعى الحقيقة باحثاً عما يعوق سبيلها فيعبّدُ
ولئن يقود النفس عبر طريقها يخشى الضلال وما يُضِيمُ ويفسد
فيقيم للفهم السديد منافذ للنفس تنصر ذاتها وتؤيدَ
مستمسكا بوجوب تهيئة الجنى حلو المذاق لما عساه يزودَ
فى حكمة ينمى حميد خصاله بين الورى ، فيمدهم ويعضد
ويؤازر الملهوف طاقة جهده فينصعُ المضمون شأن من اهتدوا
هيهات يعرب عن يقينه أنه حى بروحه للكمال ينضدُ
فالجسم يفنيه الممات إلى بِلى والروح يرتسم البقاء ويخلد

اوئوس :

شغلتَ اليقين بفحوى الحياةْ　　فزدْ من بيان لـكل اتجاهْ

صوت الروح :

ورغائب الأحياء فى الدنيا عجبْ　　تتباين الأهواء فيها والأربْ !
أشقت عقولا فى تعرف كنهها　　مما تبدّى فى التطبع والوَهَبْ
أترى التمتع والمطامع نَبْتُها　　غرسٌ وإرث بالتسلسل والنسب؟
أمْ كل ساع بالفعــال منمق　　من وحى روحه، وهو حق مكتسب؟
هُوَ ذا التواجد مظهرٌ لذوى الحجا　　كل يؤدى بيّنات تُحتسب
إذ كل بادرة تعرف مَعْلماً　　ينبى عن القيم العلية والرتب
والمرء بالإسهام فى أهدافه　　يبدى البيانَ عن القرائن والسبب
فإذا تنزه عن معاثر فعــــلة　　طبع الحياة بما يجير من العَطب.[1]
وأهاب بالأزمان تحرز حكمة　　يلقى بها حُسْنَ الجزاء المرتقب
فيسجل الفحوى ضياء نيراً　　سيان منها ما أشاع، وما احتجب

هنا يتقدم **الكاهن الأعظم** من مكمنه فيحيى ويقول للروح :

عفواً بنىَّ إذا دنوت لأرتوى　　من منهل العلياء والعلم السوى
أعلنت بالبرهان حكم عـــدالة　　يقوى الضعيف بها، ويرتعد القوى
فبحق من واتاك إعلام الهدى　　أتمم رسالة ما نَشَرت وما طُوى
فأفيق كيلا أستحى بجهالة　　والفرض أنّ لىَ المعارف تستوى

---

(١) العطب التلف .

صوت الروح :

أأبى! سلامٌ، لا عليك من الوَجَلْ إنى ابنك المطواعُ من جُندٍ أُوَلْ

الكاهن الأعظم :

نوه بُنىَّ عن المطامع والغَبَنْ قل عن ضحايا البغى ما حكم السنَنْ ؟

أتدقُ أعناق وتزهق أَنْفسٌ مرضاة مرتقِبِ المغانم والمِنَنْ !

وتَحِلُ أشلاء الشباب مُبَارَكا للنوق، أو دوس المطوق بالرسَنْ(١) ؟

وتفيض من قانى الدماء مناقع تلغُ الكلاب زكيّها قبل العفَنِ ؟

ويلاحق المأفون وهو مغامر أرواح أعلامٍ تعد على الزمن ؟

فإذا الحظوظ تعثرت أودى بها مسترخصاً قيم الألى فاقوا الثمن !

وبأى حقٍ فى الملا تتحكم أهواء يأنف من سرائرها العلن !

أهواء زيغ تستبد وتعتدى وتدك أطواد السلامة بالفتن

صوت الروح :

ياويح أرواح الورى لو أُنشبت فيها المظالم من رعونة طاغيهْ

نهمٌ يساوم فى سبيل رغيبة بالأرباء ذوى الشئون العاليه

ويرى الحروب إذا الخواطر أعلنت شرعاً حلالاً والمشاعر ساهيهْ

يلقى إلى الأقدار صفوة من سعوا بين الخلائق بالجهود الساميهْ

ويزجهم طعماً لنيران الوغى وكأنهم أعواد قشٍّ ذاويه

وهمو الحياةُ بأوج ما شاءت لهم سُبْل التنافس فى نطاق العافيه

لكن يراهم فدية لميوله وفقاً لأهواء العناد القاسيهْ

(١) الرسن : ما كان من الأزمة على الأنف، والمطوق بالرسن كناية عن الدواب والخيل.

قسماً بمن رفع السماء عن الدنا ... وبحق من جعل العدالة قاضيه
يوم المداينة الرهيب فعاله ... تغدو كأشباح الهلاك الفاعيه (١)
أبداً يطارده الشهيد بذله ... بالوصمة النكراء، أية داهيه!
فلقد جنى فى إثرةٍ وشراهةٍ ... قتل العباد بخبث نفس باغيه
وأباح مِن هذْر الدماء جريرة ... عُدَّت لروحه علة للهاوية
تلك الحقائق يا أبى نادت بها ... كل الشرائع والطقوس الهاديه!

الكاهن الأعظم :

من لى بمتعظٍ يفيق ويرعوى ... ويعير هذا القول أذناً صاغيه

صوت الروح :

ليت الإنسان على وَعْى ... يصغى ويوازن أبعادهْ (٢)
يثنيه العقل ويدفعه ... لسواء يكفل إسعاده
ويقدِّرُ أياماً تقضى ... ليصون الحق وأمجاده
ويلوِّن عيشه بالحسنى ... ليوْم الخلد بما شاده

الكاهن الأعظم :

حدثتنا عن قلة فى الحاكمين ... هم فى الضراوة وصمة تُندى الجبينْ
أسهب وزدنا بالبلاغة مفصحاً ... عما يجىء بهِ فُرادى الحاكمين

صوت الروح :

كلٌّ لنهجه فى الحياه يسجِّلُ ... غِرٌّ يشوِّهُ، والحكيم يجمِّلُ

---

(١) الفاضبة، المزبدة .
(٢) حدوده وطاقاته .

بين اعوجاج واستقامة مسلكٍ شُعَبُ الارادة فى الوجود تحوَّلُ
ولـكل نفس ما تروم وما تعى وعلى البصيرة والرضاء يُعوَّل
فجشّمُ النفس الصعاب لتُصقل يسمو بقدرة قادر ويكَمَّلُ
يأبى السهولة فى مُرُوق زمانه فله الدقائق عِبرَةٌ وتأمُّلَ
إن لم يزودها برأى فاق عـمّا كان فى أمس يقال ويعمل
بات الضمير مؤنباً ومحاسباً فهو المقصّر فى الحقوق مُعَطّلَ
وإذا التمثل بالكمال خواطر ترجو الغداة ففيه عيش أفضلُ

الكاهن الأعظم :

جئت الحقائق طافيه للروح مبعث عافيه
هذى قطوف دانيه وافت وكانت نائيه
زدنى بُنَىَّ بشافيه فالأذن نحوك صاغيه

صوت الروح :

قل هكذا يسمو الوجودْ بين الأزاهر والورود
تلقى الحكيم المستقيم قد تُستحبّ له الجهود
لقياه فى البلوى صديق بعزيمة التقوى يقود
ليكون بالغوث الرحيم يعطى الغوالىَ إذ يجود
يسعى لتغليب الصواب فالحق فى عدل يسود
فى الحب مضمون الوفاءْ رمزٌ لتتميم الوعود
إن شاء صوّب للكمال من دون شرط أو قيود
دوماً لآلهة شكور فى وقفةٍ أو فى سجود

إذ يرتجى حسن المآب في صالح ، حيث الخلود

الكاهن الأعظم :

بمن مثل هذى السجايا يُميَّز خير البرايا

صوت الروح :

مثل هذا للعلا تمشى خطاه شائداً للنفس إعزازاً وجاه

لاتوانٍ أو تمادٍ في المسير أو ضلال في متاهات الحياه

فهو يحصى ما سيلقى من مصير وهو أدرى بالمهاوى من سواه

عالم أن الوجود للزوال وهو ظل ليس يُستقصى مداه

هكذا يخشى ويسعى للنجاه يرتجى خلداً بعلياء الإله

ثم يستعد الكاهن الأعظم — بحضور أونوس والرئيسة والعابدات — لكى يتلقى رسالة أخرى من الصوت الخفى .

صوت الروح :

أقدار اليوم مواجهةٌ فيها الأحداث ملاحقةٌ

الكاهن الأعظم :

شغلتَ البال بهذا المقالِ تراه بخير لنا أو وبال ؟

وعندئذ يفد رسول من فرعون وينحنى للكاهن الأعظم قائلا:

أبتِ فرعون يناديك فاديتُ الداعىَ : هل أدعو ؟[1]

يرجو استئذانك فى حرب هيهات يقاومها الردع

كم فى المستعلن من أمر أخشى : لا يجدينا القمع

---

(١) فاديت بمعنى فدى أى أعطى فداءه فأنقذه .

الكاهن الأعظم :

علمت شكوراً مقال الرسول وسوف ألبّى الندا بالمثول
فبعد الصلاة أحيّى المليك لأعلن رأى السماء المقــول

ويرفع **الكاهن** يده آمراً بالانصراف ، فينصرف الرسول ، ثم يعود إلى الروح قائلا :

أرى الأقدار تعبث فى حمانا ولا يلقى الســلام هنا الأمانا
وها فرعون شرّع مسـتبدا نشوب الحرب مقـدورا يعانى
فهل نشقى بمظلمة النضال؟ ونرتقب الهزيمـة والهوانا ؟
أم الأمجاد بالنصر القريب تلاقينا وتهدينا الطمانا ؟
أياروح الشهيد لأنت أدرى أنغنم بالحروب علا وشانا ؟

صوت الروح :

إذا ما الحرب قدرت اضطرارا لتوقف دون غيه من أغارا
فيبذل بالنفيس وكل غالٍ ليُصلَى الغادرون لظى ونارا
وفى درء المهانة كل نبل به الجندىّ يرتقب الفخارا
وللأوطان أقداسٌ تُفَدّى بأرواح تعدّ لها انتصارا
وتلتزم الـكرامة كل جهد يصون على الدوام لها ازدهارا
وقربان الفـداء همُ الضـحايا بالاسـتشهاد يحمون الديارا
ولـكن تلك معركة أثيرت بلا داع يبرّر أن تثارا

وإشباع المطامع فيه جرم إذا فرعون أشعلها شرارا
سيلحق بالرعية كل شؤم وللأبطال يجتذب الدمارا
وما ينبيك عن ضير الحروب كمن شهد السعير غداة ثارا
وفى سفك الزكىّ من الدماء يرى فرعون تجريحاً وعارا
فبئس الحرب إن تضرم غباء وبئس البادرون بها القرارا
ستضنى الأبرياء بكل غبن وإذلال إذا الشر استطارا

الكاهن الأعظم :

أراك بنى تحزنك الفواجعْ إذا بطشت بشعب دون رادعْ
فلو نزل الوبال بأرض مصر ترى بالروح تشعر بالمواجع ؟
فهل بالحق تعلن ما بغيب وما فى أرض مصر عساه واقع ؟

صوت الروح :

أرى المقدور حاصله السلامهْ ولم يكتب لفرعون الملامهْ
سينجو الشعب من شعواء حرب ويبقى الجيش موفور الكرامهْ
فشدد بالنصيحة لا تبالِ وحذر ، ثم دعه لما أقامه !
وإن تسأل فلى روح وفىٌّ وبى حبّ لمصر أرى التزامهْ
ويأسو الروحُ لو ضرٌّ رماها فحب الأوفياء إلى القيامهْ
ولو خُيِّرتُ فى الهيجاء أسعى أطوّع للفداء بلا ندامهْ

الفصل الرابع
المنظر الأول

« فى قاعة العرش التى ظهرت فيما سبق يجلس آمو فرعون مصر وحيداً مكتئباً » ثم تدخل نفرين فتسائله قائلة :

بحق الحياة ، بحق السماء ، بحق الحنان ، بحق الوفاء
عبوسك فيمَ ؟ وفيمَ الشرود ؟ وماذا يكدر طيب الصفاء
أرى فى اكتئابك شيئاً يريب وحوم حول الوداد الجفاء
فما عاد يشجيك عبق الورود ولا للأزاهر حسن اجتلاء
فكيف استحال ربيع الحياة بطرفة عين ، وفض الرواء ؟
بروحى فديتك من ذا الوجوم عبست فغام بعينى الضياء
وتاه الدليل وعز الصفاء وما عاد يجلو الهموم دعاء
فهلا بسرك فاض اليقين فديتك مما يثير الشقاء !

فرعون :

طغى شوق تأجج للنزالِ سرى فى النفس كالمرض العضاز
وعاودنى الحنين لشن حرب وإن القلب قبل اليوم سالى
وإن تُعلِ مقاصدها الملوك فقد أعليتُ أهداف النضال
وصارت عزتى أقصى منالا من النجم ، وكم فى النجم عالى
وبى حزم الجبابرة الضوارى لتندك المعاقل فى الرمال
ولى سهم تَعَهَّد حيث يرمى بصائبةٍ يطوّحُ بالرجال
وفى البطحاء أو فوق الروابى وفى بطن السهول أو الجبال

سيحصد مِنجلى الأعداء حصداً وأسحق من تصدوا للنصال
سيملى الدهر من سلطان مصر على الآفاق مفخرة القتال
فيا نفرين فى عمق التروى دعى الأيام تنسج للعوالى
فما تُجدِى الذريعة إن ضرَعت! وما تثنى العزيمة عن نوالى!

نفرين :

ألم أخشَ المقدَّر أن يؤاتى بفاجعة النوازل بافتئات؟
أما بين الهواجس عاش حبى وكم وجهت قلبىَ للثبات؟

فرعون :

أما ترضين للملك اتساعاً؟! وبى شغفٌ لأقتحم القلاعا
وأرتقب انتصاراً حيث أشقى لأخضع ما أشاء له انطباعا

نفرين :

قد تنبتَ الحربَ أفكارنا العنس[1] لا الحكمة ارتادت كى يزهر الغرس
أو نزّهت حقاً ترضى به النفس فالحرب أوهامٌ، والوهم كم يقسو
والحرب ميدانٌ ما زانه الأنس بل ساح أهوال ما فيه ما يأسو
كم هدَّ رواداً يذرى بها اليبس ياويح فحواه قد عافها الحس

فرعون :

أنفرين مهلا فهذا الكلام جسيم يحق شديد الملامْ
فعيش الملوك رهين النزال وما الملك حبٌ، ونجوى هيامْ!
وهيهات أرضى لحكمى انتقاداً فصونى الرشاد، وصونى الوئام

(١) الجدباء .

نفرين :

الحربُ يا مولاى مهلكة الأُسَرْ ... كم من فواجعها قلوب تعتصر
نيرانها كم ذا تقوض شاهقاً ... والهدم والتدمير منقصة البشر
أبْقِ الحياة بأرض مصر كريمة ... تعلِ السلامة فى مناقبها الغرر
ما عاد بى جَلَدٌ يواجه فرْقة ... وأنا العروس بىَ البعاد لكم أضر

فرعون :

نفرين يا روضَ الحياةِ ونورها ... هيهات نهرب من تصاريف القدرْ
إن شاءت الأقدار حرباً فلتكن ... فتقبّلى الأوضاع شأن من اصطبر
وإذا افترقنا فاللقاء بنصرةٍ ... والنصر أقدس ما يزين من افتخر !

نفرين :

يا ويلتى إنّ ارتحالك فرقة ... إن عاودت تشقِ الفؤاد بغصَّةِ
ما كدت أشفى من ضراوة مارمتْ ... حتى يلاحقنى الضنا ! ياويلتى
فيمَ المطامع والبلاد بأمنها ... لاذت بلألاء الغنى والعزة
إن دان لى ملك البسيطة مغنماً ... أفدى به قرب الحبيب ومنيتى
هيهات أرقب فى المعارك رفعةً ... فالملك أن يقوى زمام سعادتى
ولأنت أقدر من يقدس واجباً ... يرضى القلوب لتستديم هناءتى

فرعون :

أأبقى على الدرب أرعى الهوى ... أبِلَّدُ نهجى وأشقى البلادْ ؟
وهل ترتضين لمثلى الخنوع ... وغيرى بقهر الممالك ساد ؟
وكيف أخلّد ملكى العريقَ ... إذا الدهر ساءل : ماذا أشاد ؟

أليس الأسود الضوارى تسود ويرهب سطوتها كل عادْ ؟
وإنى مهيب ، وليث أخوض غمار الحروب قوى العتاد
وجيشى كفيلٌ بنصرٍ عزيز يؤازر عرشى بكل اعتداد
غداً قد أجمع حولى الوجوه[١] وُنْمِلى البيان جلىَّ السداد
ونقضى بحربٍ وغنم وفير يصون الرخاء لخير العبادْ
فيا مهجتى أنت أقوى نصير بعضد تاجى بمجد يُشاد
وعهد كلينا لو العمر طال سنرضى الحروب بحسن اعتياد
وللتاج والعرش نبقى الجلال لعزٍّ وجاه لأقصى امتدادْ !
أليست لمصر عليكِ الحقوق تؤدَّى بتضحيةٍ فى رشاد ؟ !
نفرين : إنى محيَّرة للمشاعر ثائرهْ وامل ذا جعل المطالب جائرهْ !
فرعون : لا تثورى أنى يازهرة السكون فاتزان الرأى للعقبى يصون
نفرين : اقطع برأيك ما تشاءْ يا سيدى يا ابن السماءْ
فرعون : بوركت بالرأىِ السديدْ وكذا بعنوان الولاءْ

تخرج الملكة، ويدخل عظماء المملكة ووجوهها فيجلسون، ثم يوجه **فرعون** إليهم الحديث :

أكابر مصر أحيى الكرامْ بخير صباحٍ وأوفى سلامْ

الجميع :

سلامٌ مليك البلاد سلامْ وَرَدْنَا الفخار بهذا المقامْ

---

(١) الوجوه : الاعيان .

فرعون :

فروض الحكم أعباء جسيمه ... تعليها رعايتنا الكريمه
وإذ كنت الولىّ بأرض مصر ... وقوّاماً على النظم العظيمه
فقد آليت أن أسعى لحرب ... تزكيها التدابير الحكيمه
فللشورى بآراء غوالٍ ... أقيموا الرأى بالحجج القويمه
وأنتم أهل عرفانٍ ونورٍ ... لكم فى الحرب آراء سليمه
وكلّ بالمفاهيم الذكيه ... توافينى نصيحته الفهيمه

اخنى (قائد الجيش) :

أتى يوم البسالة والنضالِ ... ومعمعة الفوارس والرجالِ
ويوم النصر بالأمس القريب ... ومفخرة العلا هلّت بنالى
فأكرم بالمليك ونعم رأى ... وأكرم بالبطولة فى النزال
سأحشد للوغى أُسْدى الضوارى ... بواسل بالسهام وبالنصال
يوافون الزمان بمجد مصر ... ومجد النيل موفور المعالى

فرعون (مبتسما) :

أحب الرأى إخنى واستطابه ... وللحرب ارتضى يهدى شبابه
فماذا الفيلسوف تراه قائل ؟ ... أيهوى السيف أم يهوى كتابه ؟

الفيلسوف :

أحبذ ما يخلده الزمانُ ... وما يعليه فى الأجيال شانُ
فإن تَدْعُ الحروب إلى الدمار ... فما لى والرضاء بها مكانُ
ومبتور العلوم أراه شراً ... ويؤذى النقصَ إن يُرخَ العنانُ

ولكنَّ الموجِّهَ للعـــلاء تخلِّده المكانة إذ يصانُ
هى الدنيا بعلمٍ أو بحربٍ يقدِّسها الورى أيان كانوا !

فرعون :

يوفِّى(١) الحكيم بكل فخارْ لعلم وحربٍ بغير عثار
ولم يبدِ آياً لمسرى هواه وحاذر كل جدال يثار
وهذا لعمرى سبيل العلوم فلا لليمين ولا لليسار
إلينا « بليمو » يعلِّى اليقين ويحسم رأيه ضمن الحوار

ليمو : (رئيس الحكام) :

أنا للبلاد بما تسلكهْ وكل الزمام أنا أملكهْ
وحكم القوىِّ بجارى القدر بحربٍ وسلمٍ يدى تمسكه
وإنى كفيلٌ بهذا وذاك إذا انحاز رأيى فقد أهلكه

منظم الأمن :

قوام البلاد دوام الأمانْ بيقظة وعىٍ لكل زمانْ
ودنيا السياسة حالٌ عجاب فللحرب آنٌ وللسلم آن
وسيان عندى تقوم الحروب أو السلم وافى بكل مكان
فإن النظام سبيل الحياة وليس بغير نظامٍ كيانْ

فرعـــون :

تداولتم بصائبةٍ وحكمهْ فما جاء الحوار لنا بوصمهْ
فيا نعم الخواطر قد تجلت محصنة الجناح بكل عصمهْ

(١) يوفى : يعطى الشىء حقه .

وما دام الحوار بدا صريحاً وما رسم المقدَّر فيه قسمهْ

فلجؤنا لراوية السماء لكاهننا العظيم زوم حكمهْ

وهنا يحضر **الكاهن الأعظم** ويحيي قائلا :

سلامٌ يا ابن آلهة السلامِ ومفخرة الفراعنة العظامِ

فرعون :

سلامٌ كريمٌ على المهتدينْ

الكاهن الأعظم : سلام يعمُ على الحاضرينْ

الجميع : (يردون التحية) :

سلامٌ كاهن العليا الكريمِ سلامٌ حجة الرأى القويمِ

الكاهن : (لفرعون) :

مليكى ! تشرفنى وقفتى فجد لى بما رمتَ من دعوتى

فرعون :

ما بي من الهيجاء خوف عائقٌ فأنا لها وأنا الضمين بنصرها

وأعلق الآمال إن خضت الوغى أقوى على صد الخطوب وقهرها

لكن دعوتك أستنير بما ترى فلأنت أعلم بالغيوب وسرها

الحرب أجدى للبلاد وشعبنا ؟ تعلى المقاصد أم نُسامُ بضرها ؟

يشير **الكاهن الأعظم** إلى الجالسين قائلا :

وما رأى السراة وما أشاروا وهم فى قمة الشورى منارُ ؟

فرعون :

توقف دون رأيهم السراةُ فما نصفوا المشورة أو أفادوا !

الكاهن :

الحرب حق إن يخضها مكرهٌ في صد عادٍ كي يحصِّن عرشهُ
لكنّ في خلق الحروب جريرة ولأنت عن هذى العيوب منزّهُ
أو ليس مختلق الحروب مغامراً يجنى على شعب ويفسد عيشهُ ؟

فرعون :

لكنّ ملهاة الملوك تفوّقٌ ! وتنافسٌ في الظفر فهو الأليقُ

الكاهن :

ما الحرب ملهاة الملوك بشؤمها لكن مطامع تستبد بظلمها
تنساق بالطغيان تهدم عزة بنيت على حق الحياة وسلمها

فرعون :

فيمَ إذن يقضى الفراغ المرتذل ؟ إلا برؤيا الخلق ، قاتلَ واقتتل !

الكاهن :

فرعون مصرهاتِ أذناً صاغيهْ أسمعك ما نقم الحروب وما هيه

فرعون (في غضب) :

ماذا أبى ؟ أنسبت للحرب النقم ؟

الكاهن : بوركتَ واسمع ما أقوله : أى نعم

فرعون :

قل يا أبى فحوى المنن في الحرب مع ما ترتهنْ

الكاهن :

يا ابن السماء أتتك آلهة السماءْ ... بمسوّغات الحرب فاسمع للنداءْ

فالحرب إن قامت تبيد الشائنات ... أعلت بنعمتها فخار الارتقاء

والحرب نُعمى فى مقاومة الفساد ... لتقوِّم الأخلاق حفظاً للنقاءْ

ياليت فى قمع الملاذ المهلكهْ ... تُعلى المعارك يستقيم بها البناءْ

والحرب ضد الظلم والطغيان حَق ... يوفى ضماناً للترفع والبقاءْ

لو فى مقاومة الهوان تسعَّرت ... تبقى على الإنسان أنغام الصفاء

فيعيش حراً بالعدالة ناعماً ... يبنى لمجتمع الكرامة فى إخاء

تلك الحروب هى المقول بنشرها ... فى كل نفس ضد ما يبدى الشقاء

تقضى على فوضى الحياة ونقصها ... بمقوماتٍ ، نصرها يحيى الرجاء

فرعون :

نِعَم لعمرى فى جهادٍ لو جرت ... فكمالها بالحرب ضد الغى جاءْ

الكاهن :

حقا إذاً نِعمُ الحروب توفرت ... ضد المفاسد والمهالك والعنَتْ

فتحت مغاليق الكمال بنصرةٍ ... للفضل والتوفيق حيث استعلنت

فرعون :

أفصحتَ عن نِعمَ الحروب الفاضلهْ ... هلا تعرف شأن حرب قاتلهْ ؟

الكاهن :

إذا اشترع الملوك قيام حربٍ ... يوَالى الأمر حتماً دون عَتبٍ

وإن أنقدْ فعفوك لى أمانٌ ... فقد أقسو بحقٍ دون ذنبٍ

فما أدلى برأى من يقيني بل الإيضاح من مكنون غيبِ

فرعون :

يا كاهن الأفداس أفصح ماالخبر؟ فالرأى إن يعلن سديداً يُعتَبَرْ

الكاهن :

ما دمت تلمس فى النصيحة عصمة أدلى اليك صريح مضمون الخبرْ

الحرب أهوال تلطخ بالأذى وأوارها بالراشدين لكم أضرْ

وإذا المعارك بالمظالم روِّعت فمؤجج العدوان يلحقه السعر

تصلى النفوس بكل رامية الردى فيسوَّم الأحياءُ شراً ، أى شر

وإذا تهاوى الأبرياء بصرخة واستشهدوا من دون حق معتبر

حــق الرثاء لكل قلب هزَّه هول الفجيعة من شقاء من احتضر

فترجِّعَ الأصداء أنَّة موجعٍ يقضى شهيداً ، أو جريحاً قد قهر !

شاءوا المراحم فاستحالت قسوة من جور سلطان تجبر واقتدر

مستمرئاً أنْ للشهيد غنيــمة تهديه للجنات فى لمح البصر

فيطوِّح الأبطال صوب حتوفهم قسراً لخلدٍ فى النعيم المنتظر

والخلد إن يلقَ الحشود مؤاسياً رحباته كادت تضيق ، فهم كُثُر !

تحكى شـــكاواهم مظالم معتد أعلى الحروب بكل جائرة العِبرْ

أشباحهم حتماً تلاحق من بغى بجيوشه دون اعتبارٍ أو حذر

هيهات ينسون الشباب وقد ذوى كالعقد منفرط اللآلىء والدُّرر

فرعون :

يرعى المسيطر فى الحمى سلطانهُ حتى يقود لمأربٍ أزمانَهُ

يلقى التحكم فى العباد رغيبة والأمرُ يلزم إن دعا أعوانَهُ
أوَليس للملكِ المهيمن إمرة والجيش يبدى بالرضى إذعانَهُ ؟
والجيش من زهر الشباب عماده بالروح يفدِى والدما أوطانَهُ
فإذا الطوارىء أرغمت كانوا لها كالحصن شدَّ بقدرة بنيانَهُ

الكاهن :

أوار الحرب يا مولاى شرٌ وفقدان الشبيبة فيه خُسْرُ
وفى ثكل الحرائر كل ضيمٍ وفى يُتْم الطفولة ما يضرُ
وما يزهى الحياة سوى الشبابِ همُ الأزهار ، أيفاعٌ ونُضْرُ
وهل تحلو الرياض بغير زهر فلمْ لا يُجتلى فى الروض زهر ؟

فرعون :

الزهر حقٌ للملوك رواؤه ليزيِّن العرش المهيب لواؤه

الكاهن :

ذو قدرة لو يستبد بسطوته سَحَقَ المراحم واستهان بقسوته
والحرب لو نَشَبَتْ بدون مسوّغ شعواؤها تضنى قلوب رعيتهْ
فعلى المسيطر أن يحاذر جاهداً شن المعارك أن تثار لمتعتهْ
وليتّقِ شراً يهبّ لهيبُهَ بعد اندلاع لا يعاق بحكمته

فرعون :

مبادئك برنات عجيبهْ بدت فى مسمعى حقاً غريبهْ
تراه الغيب ينهى عن حروب وفحواها إلى نفسى حبيبهْ ؟!
ففيمَ يا أبى يُقضى زمانى وبى حزمٌ تسانده الشبيبهْ ؟

الكاهن :

مولاى هل تلهو بقذف الموقعِ ؟ ويسرُّ قلبك من مسيل الأدمعِ ؟
أرى الحروب لمجد مصر وسيلة تبقى العلا ، ونسيت كل مروّعِ

فرعون :

قلبى المعلّق بالحروب وشأوها هيهات يرهب مابشائك شجوها

الكاهن :

إن كنت تهوى الملك أو مايرفعُ فاحذر عواقب ما يضيم ويقمعُ
الحرب مجزرة بغير جريرةٍ كم ذا تعربد فى الحمى وتروِّعُ !
تقضى على أمل الحياة بضربةٍ ولكل ما يعلى الشئون تزعزع !
الحرب يا مولاى شر دعامةٍ يُبنى عليها المشتهى والمطمع
ما كانت الحرب الغشوم ذريعة يرجى بعقباها الفخار المزمع
بئست حروب يصطلى بجحيمها من كان يمرح بالأمان ويرتع
فإذا المعارك نستبيح قدومها شؤم الردى من بعد عيش يسطعُ
فالحرب عقباها الدمار لأمةٍ عدوانها بادٍ ، وفقر مدقع
فاقمع رماحك إن يلوِّح نصلها واخشَ المغبة من سهامٍ تلمع
واحذر من الأقدار إذاً[1] داهماً يقضى على ما كان مجداً يرفع

فرعون :

أعلنتَ ما شاءت الأقدار والغيْبُ والرأى يقضى بألا تنشب الحرب
يا ويح نفسى تداعت كل غاياتها مذ عُوِّق السعىَ والجهدُ والرغبَ

---

(١) خطبا .

لمْ قاومَ الغيب ما داعبتُ من مجد   قد كان يرنو إلى عليائه اللُّبُّ

الكاهن :

إعلم لـكلٍّ من الحـكام طاقاتٌ   إن لم تُسَرَّح ينال النفس إعصارُ

فانهج سواءً بأهداف لها شانٌ   يعلى المناقب فيما الفضل يختار

واجعل جهادك حفظ العرش من ضَيْمٍ   تحصدْ سلاماً ، وكم للسلْم أنصارُ

فهو الذخيرة والمقدام واجـــده   حصناً لعيش ، وفيه العدل قهّار

والعدل نبع وللصادى بهِ أمــلٌ   كم سيم ذلاً بغير العدل أحرار

فاركن لعدلك إنّ العدل ذو قِيَم   تحمى مبادىء دون الحق تنهار

وارسم لشعبك أمناً فيـه عزته   واخشَ الخبىء ، فللمقدور أغوارُ

فرعون :

ويحي من الدهر والأزمان قد غدرت   لِمْ مَنَّعَتْ بغيتى بالعمد أقدارُ ؟ !

كم داعب الحلم عنـد الحرب نصرتنا   قدَّرْتَه صـولةً يعنو لها الجارُ

ملّـكت فيه فؤادى الحلو من أمل   يجتاز أعلا العلا ، والخصم ينهار

وانسقت فى الوهم يرتاد المدى آملٌ   يرنو إلى مغنم يرضاه مغوار

يا نصرة صاغها وعيى وأتقنهـــا   فى هالة زانها ضوءٌ وأنوار

كيف ارتضائى بهذا الصد ؟ وا أسفى   كيف التخلى وسيف العزم بتّار ؟ !

الكاهن :

لو المرغوب بالعـدوان يُقضى   لَعمَّ العيش فى البلدان فوضى

فلا تركن لهدم السـلم يوماً   فإقرار السلام أتاك فرضاً

ومن حق الشعوب أمان عيشٍ   فعن جور المغير تُراكَ ترضى ؟

ومن يرمِ بسهم دون ذنبٍ   أصاب السهم إيذاءً ونقضا

فرعون :

ياليتنى أقوى على قمع الهوى   والقلب تغلبه حلاوة ما انتوى

فالحرب صارت بالدوافع جذوةً   هيهاتَ يخمدها التصدى للقُوى



فالحرب صارت بالدوافع جذوة   هيهات يخمدها التصدى للقوى

فهى النداء المستحب وغيتهُ   للمجد مُرفاةَ إذا النصر استوى

الكاهن :

أيا مولاى مصر بخير وادِى فحصنها لتأمن شر عادى
وحاذر من خطوب قد يضيق بها ذرعاً ، ويُرْهَقُ كل غادِى
ووطـــد بالأمان مصيرشعبٍ حباه الجيش عزاً فى البلاد
وقل للنيل إنّ بشاطئيك سلاماً يستحب لـكل شادِى
وصُن عبق الرياض بأرض مصرَ يفوح الزهر طيباً وهو نادِى

فرعون :

أَبتَاه فى الأعماق نصحك قد طبع والوعى بالدر الفرائد مقتنعْ
لـكن أرى وَلَعَ المغامر شعلة وضاءة ترنو لبأسى المنـدفع
كم يستبيح من المعارك قِنْيةً[(١)] تزهو بها آفاق مصر وتتسعْ
وأرى انتصاراً للفيالق حيثما جازت تقيم لواء مصر فيرتفع
أفلا تبارك يا أبى أهدافنا ؟ والرأى فى أوج العزيمة قدشرع ؟

الكاهن :

أبارك يا مليك بعمق روحى تحاديك العناية فى الفتوح

وينصرف الـكاهن فيقول **فرعون** لإخنى :

لم يا ترى قد أبطأ المستطلعونْ ؟

اخنى : مولاى أخشى أن تساورك الظنونْ !

فرعون : (ينظر من النافذة)

هوِّن عليك فتلك آثار الغبار تنبى بعودة من بعثنا من عيون

---

(١) قنية : ما يقتنى أو يكسب .

وبعد قليل يحضر الرسل الموفدون ويجيء أحدهم فرعون ثم يقول له :

مولاى أَمِنّا، سلمتَ من الخبيء

فرعون : لا بأس مهما القول كان به رديء

هاتِ الصريح بموجزٍ يعلى اليقين

الرسول : جيش الأعادى يا مليك غداً يجيء

ما الكمّ ينطق صادقاً عن كنههم فالعدُّ دفاق بسيلهم المسيء

فرعون (متعجباً) :

أيغير من شئنا استباحة أرضهم ؟ من بعد حسبانٍ لسرعة قهرهم

سنواجه الأخطار مهما استفحلت صور الضراوة ، جاهدين لفضهم

الخـــنى :

سنقطعُ الأوصال تلحق بالرقابِ ونحيلهم أشلاءَ تنثر فى الهضابِ

فرعون (حانقاً) :

ويح الممالك من طموح الحاكمين يسمون فى خلق المطامع ظامئين

يعلون فى أوج السماء ذرا البروج من وحى ما يملى خيال الحاكمين !

كلٌّ يشوقه التوسع فى الحدود لو بالتعدى فى نطاق الآمنين !

ينقاد للأوهام فى جبروتها فيرى النجوم لتاجه تحنى الجبين

ويظل فى الآمال يسبح هائماً ويراود الأمجاد فى مسرى السنين

حتى يفيق وقد تحطم مابنى من واهيات صورت لهم اليقين

ولكم توسمتُ البطولة فاتحاً حصناً أراه اليوم مأوى المعتدين

أوّاه عزّ المرتجى من مطمعى فعلىّ أن أسعى لصد الغادرين

وأقر للأقدار صولة حكمها وأعيش كالنبراس للشعب الأمين

بالفكر أهدف لاستقامة مجدنا أعلى الحمى فى ذروة الأمن المكين

ثم يخرج فرعون للقتال ورد الأعداء .

ستار

المنظر الثانى

« فرعون (يبدو عليه السرور بعد تراجع فلول الأعداء) جالساً فى قاعة العرش وموجهاً الحديث إلى الكاهن الأعظم» :

حاولتَ عرقلة النضال المدخر ونصحتَ أن نقىَ الديار من الخطر

فكأنما الغيب استباح لك الرؤى فاسمع أبِن هذا القرار المختصر

ما كاد يفصح عن بواطنه القدر حتى انتصحنا ، ثم قررنا الحذر

ما عدت أرضى أن أكون مناوئاً فاليوم حقاً نال نصرته القدر

الكاهن :

أرانى الغيبُ حكمته الصريحهْ وعلمُ الغيب مدرسة فسيحهْ

فجئتَ القول أرتسم النصيحهْ لعل تعى مداركها القريحهْ

وإن أيقنتَ معرفة صحيحهْ تدبّر فى نتائجها المريحهْ

فرعون :

بخٍ بخٍ[1] هاتِ المزيد أفضِ بياناً بالسديد !

الكاهن :

وُهِبتَ العرش مولانا هديهْ أتته من السماء يد خفيهْ

فهلا تجعل الأوطان تزهو بموفور الحصافة والرويهْ

---

(١) تعبير يقال عند المدح والرضا ويشدد أولا يشدد .

ليصبح عصر مُلكك خير آيٍ يوطّد في رعايتك القويه
ويبقى حصن مصر ملاذ أمنٍ بأمجادٍ بها باتت حَرِيه

فرعون :

أرى الإعلام نوه بالمعانى بتوجيهٍ بخلد قَدْرَ شانى
فإن أصغُ لداعية الغيوب أشُد لمجد مصر عرى الأمانى
وأعلن بالتصرف كيف أُعلى شوامخ مجدها عَبر الزمانِ
سأختصم التجاهل فالدعاء يعرِّف ما الجهود ، وما التفانى
فيا أبتِ نصحت فصنت عهداً يبرر ما وعيت من البيـان
فإن يُزكِ الجهادُ مصير أمرى فللتخليد ترتقب الأمانى
فإنى نسل آلهة الخلود إذا ما الأرض بادت لستُ فانى
ولـكن كم يشوق القلب علمٌ أللأفراد مثلىَ من ضمان ؟ !
وهـل تحيا الرعية فى الخلود كما يحيا الملوك ذوو المـكان ؟
ترى العلياء تـكشف خافيات عن الأوضاع فى غيب الزمانِ ؟

الكاهن :

أطال الله عمر مليك مصر وجاءتك السماء علا ونصرا
أرى العليا تطالب كل حى بمضمون الجهاد ، وكيف أشرى
وما كانت لتجحد أو تحابى مناهج تقتضى للروح أجرا
فمعتنق التفوق خـيرُ ساعٍ مثوبته الخلودُ مدىً ودهرا
وفى التقدير هيهات التساوى فذو قِيَمٍ يفوق أخاه قدرا
وما البانى كمن دكّ الرواسى وليس كنافع من قد أضَرّا
فإن يهدف بخير أو بشر على فحوى الفعال يُحق أمرا

ويا مولاى للمجهود عقبى   يخلد فورها للروح مسرى
إذا ارتقت العقول أو استنارت   ترحب بالممات تروم نشرا
وما الألقاب والأنساب تعلى   ولا تمحو عن الإنسان وزرا
وما يجدى ابن آلهة الخلود   سوى ما خط فى الأيام برا
فكم أرواح أفراد تعالت   على الأحساب ، والإنصاف أحرى
فمالهمُ الشواهد دون غبن   تحـد مصائر الأرواح طرا
وما يبدو بدنيا الناس سراً   على ملأ العلا سيشاع جهرا
ولا يشقى كمن ظلم الضحايا   إذا سيقوا إلى الأهوال قسْرا
سيشكون المظالم من قساة   أذاقوهم من الإيذاء مُرا
ويا مولاى نهجك قد تزكى   وقد شمت السلام يعم بشرا
وقد وطدت عرشك دون ضيم   وذدت عن البلاد ردى وخُسْرا
كذا أيدت خطوك فى أمان   فخذ حذر الزمان يصنك دهرا

فرعون :

لله در العلم كم ذا قوّما   كم ذا أفدتَ وقد أبنتَ المعْلمَا
ولسوف يا أبتاه أرجو المغنما   بسديد فعل يستحث المُنعِمَا
نعم النصوح إذا الأمانة أحكما   إن الجميل لمن أفاد وأعلما

الكاهن :

أرى مولاى يرتسم الكمالا   ويرقب فى مناقبه الجلالا
ويوقن فى النصيحة كل مجد   يؤاتيه من النعم النوالا
فوجّه بالتدبّر كل فكر   لما يعلى المكارم والخصالا
وقل ما العيش إلا وحى روح   لتفسح بالرشاد له المجالا

عسى يهدى إلى سلسال نبعٍ　　من العلياء يلتزم الجلالا
هى العلياء موطن كل صادٍ　　يداوم بالحنين لها السؤالا
ولا يقعدْك عن فهم الحياة　　بحكمتها وإن ضنّت دلالا
فمضمون الحياة بخير سعْيٍ　　لترتاد الحقيقة ، لا الخيالا
وحقق للمشاعر كل نُبْلٍ　　ولا ترضَ عن الحلم اعتزالا
فبالصبر الجميل حميد عَيْشٍ　　بفى العقبى بما يعلى المآلا
فيا مولاى لُذْ بالعلم يُبدِ　　رموز الخافيات، وما استحالا
فإمعان التعرف ليس يأبى　　على الملهوف عرفاناً يُوَالى
هو الإسعاد يحتضن الحكيم　　إذا الغيب استوى علماً حلالا
وأفصح عن خلود الروح فيضاً　　من التبيان لا يبقى الجدالا
فنُقب يا مليك عن الغوالى　　من الأبحاث وارغبها اقتبالا
وعلمُ الروح أقوم مستَحبٍ　　لملهوفٍ جفا دراً ومالا
فقد يؤْتى الكلامُ إذا المشوقُ　　أعد العيش كى يرتاح بالا
فوثقْ منْ مساعيك الوفاقا　　ترَ الدارين جَمَّلتا المنالا

فرعون :

سأرعى الأمانة حيث أسوسْ　　وهيهات أشعل حرباً ضروسْ
سأبقى السلام لأمن النفوس　　بهذا سيهنأ قلب العروس

« ستار الختام »

تحية لعلم الروح

بعد أن فرغ روح أمير الشعراء من الرواية كلها أملى القصيدة الآتية تحية منه لقرائها ولعلم الروح الذى سمح بإملائها على هذا النحو : —

بنصر الله بث الروح فتحَا وقد أوحى الجلال رضى وسُنْحا
دعاء قد نَذَرتُ وحيث يسرى بنى الرواد تبياناً ونصحا
وبى ولَعُ المحَّجب عن صحاب يطارح بالنظيم هُدى وشَرْحا
فما للروح حيث الخلد مأوى سوى صرف المعارف صار منحا
ومن فيض الحقائق يارفاق أُنسق من رياض العلم دوحا
وما يشجى الحكيم كشرح راءٍ سديد الرأى شاد الحق وضْحا

* * *

لمن شاء النزود والرواء لإدراك الحياة أقول « مرْحى »
إليك القول من غاليه صِرْفا من الرقراق دفاقاً وسمحا
تضمنه الكتّيب كالرحيق لذواقٍ يعبُّ ضُحى وصبحا
فإن أشجاك من ينبوع نظمى سلاف الشعر مما الروح أوحى
فصرِّحْ باليقين لجــــد علمٍ من العلياء تولِ الخلد سِبحا
ومن يعلِ الصريح هدَى خطاه بوحى الروح حيث الشك يمحى

* * *

ومن بالتيه فى وديان شكٍ يحث الخطو ميقاتاً وردحا
لسوْق الروح فى مجهول سعى فشؤماً فى ترديه وقبحــا
فقد حقت على الملأ الشكاوى بما يطوون فى الأعلام قدحا
فيخفقَ كل قلب فى أمانٍ تناصره السلامة حيث أضحى
فذوقوا يا رفاقَ روعَ نظمى ولو قدرتموه لكان ربحا !



الباب الثالث

قصائد من روح أمير الشعراء لم يسبق نشرها

تمهيد

فى يوم أغر من أيام اكتوبر سنة ١٩٤٩ طلبت لوسيطةالفاضلةحرم الدكتور سلامه سعد من بعض أرواحها المرشدة أن تجعلها على صلة بروح أمير الشعراء أحمد شوقى لعله يمليها شيئاً يقنع المنكرين والمتشككين، خصوصاً فى ذلك الوقت المبكر الذى لم تكن فيه الحقائق المذهلة المروحية قد طرقت بعد أسماع الكثرة الساحقة ، حتى من بين صفوة المثقفين .

وكانت السيدة الوسيطة — من قبل — تتلقى رسائل عادية من أرواح كثيرة ، وأزجال جميلة من صهر وقريب منتقل كان يحب كثيراً صياغة الأزجال قبل انتقاله .

وبعد بضعة أيام أمكن لروح شوقى أن يتصل بوعيها ، وكانت أول عبارة قالها :

« سأملأ الدنيا ألحاناً وأوزانا إلى أن أرى يوم الوسيطة حانا » ! ثم أضاف مستدركاً « بعد عمر طويل » . وقد برّ شوقى بوعده هذا فأخذ « يملأ الدنيا ألحاناً وأوزاناً » منذ هذا التاريخ إلى الآن متحيناً المناسبات العامة والخاصة لإملائها فى تدفق عجيب الشكل ، ومن تلقاءِ نفسه فى أغلب الأحيان .

وكثيراً مايسبب — بسرعته الشديدة فى الإملاء وبطول بعض قصائده — إجهاداً مفرطاً للسيدة الوسيطة ، بل إعياء حقيقياً قد يقتضيها ملازمة فراشها بعدها لبضعة أيام . . . وهذا كله تتقبله راضية ، شاكرة ، مقدرة عظم الرسالة التى تقوم بها ، وخطورة أثرها من جميع جوانبها . . . رغم أنها لا تعلم هى نفسها شيئاً عن أسرار الوساطة الروحية ، أو لماذا تجىء هذه الأشعار متدفقة غزيرة عن طريقها هى بالذات ، وسواءً بطلب منها أم بغير طلب ؟ ولماذا لايرى الآخرون شيئاً مما تراه ، ولا يسمعون شيئاً مما تسمعه ومما يجرى فى وضح النهار بين السمع والإبصار ؟!

وهذا كله بالإضافة إلى انعدام كل صلة بينها وبين الشعر والنثر الفنى ، بل كل صلة بينها وبين اللغة الفصحى ومجاهلها وأسرارها التى لا تحصى ، ناهيك بانعدام كل صلة بينها وبين كل ذكريات الروح ، وميوله الفكرية ، والأدبية ، والروحية ، واللغوية ، والعاطفية ، وسائر الميول والاتجاهات التى تميز كل إنسان عن آخر .

ومما هو جدير بالذكر — بالإضافة إلى ذلك كله — أن الروح الكريم حاول أولاً أن يملى رواية « عروس فرعون » على نجل للسيدة الوسيطة ، يعمل مثل والده طبيباً ناجحاً ، وأملاه فعلا أسماء الشخصيات ومقدمة الرواية ، لكن هذا النجل رأى — بالنظر إلى ضيق وقته وكثرة مشاغله — التخلى عن مشقة تلقى هذا العمل الضخم للسيدة الفاضلة والدته ، فقامت به خير قيام ، وهذه واقعة مؤكدة تثبت بين حقائق أخرى كثيرة — صحة المصدر الروحى لهذه الأشعار .

* * *

ولا ريب أن أمير الشعراء ما كان ليقبل هذا الإقبال كله على إملاء الشعر ، لو لم يجد فيه إشباعاً لنزعة متأصلة فيه ، كان يتوق إلى إشباعها حتى وهو فى عالمه الجديد ، قبل أن يعرف طريقه إلى وعى هذه الوسيطة المقتدرة التى وهبها الله تعالى موهبة وساطيـــــــة عالية فريدة فى نوعها ، ناهيك بنبل أخلاقها ، وإنـكار ذاتها .

وهو لا يرضى الآن نزعته الشعرية فحسب، بل إنه - قبل كل اعتبار آخر - يجد فى الشعر الذى يبعث به تعبيراً كان يتوق إليه عن حنينه الدفين إلى ذكرياته البعيدة والقريبة ، وعن عواطفه الزاخرة المتدفقة التى تفيض — كشعره — رقة وعذوبة نحو وطنه ومواطنيه ، وقارئيه ومريديه ، ونحو آله وأصدقائه . .

ويجد فيه أيضاً متنفساً يرد به على حاسديه وناقديه،ويناقشهم الحساب العسير عما يتقولون عليه ، ويستوى فى نظره الـكبير مع الصغير ، والقوى مع الضعيف. ولذا فهو كثير الإشارة فى أشعاره إلى هذا النقد الجائر الذى كان حساساً له جداً عندما كان يعيش بين ظهرانينا علماً على البلاغة المتدفقة والبيان الجميل . ولعل هذا التدفق فى البلاغة والبيان يعلل بذاته يقظة حاسديه وناقديه فى تسقط مآخذ جائرة عليه . أعلبها من صنع قصورهم وعجزهم هم عن المجاراة أو المباراة !

وقبل كل اعتبار آخر فإن روح أمير الشعراء يجد فى هذا الإملاء تخليداً لذكراه يفوق فى أثره كل أسلوب آخر من أساليب التخليد كما قرر هو بنفسه كما يجد فيه تأييداً للحقائق الروحية التى أصبح يشعر أن من رسالته فى عالم الروح تأييدها عن طريق هذه البينة التى لا تـكاد تعدلها بينة أخرى يمكن أن تقدم للناطقين بالضاد فى كل وضوحها ، وجمالها ، وقوة أثرها ، وعمق أسانيدها .

* * *

والحقائق الروحية ليست عبارة عن مجرد وجود عالم روحى يواصل فيه الإنسان حياته بعد الموت متحررة طليقة — وهى فى ذاتها أخطر حقيقة وضع العلم الوضعى يده عليها لغاية الآن — بل هى أيضاً — وقبل كل اعتبار آخر — عبارة عن قيم خلقية نبيلة لازمة للارتفاع بالروح لزوم الماء أو الهواء للإبقاء على الجسد، أو أكثر .

ويقع فى الأساس من هذه القيم تثبيت معنى الإخاء الإنسانى العام، وزحزحة كل ما يعتمل فى نفوس بنى البشر من عقبات كأداء من الأنانية الضارة ، ومن الادعاء الكاذب ، طالما وقفت عقبة فى وجه ازدهار هذه القيم ، وبالتالى فى وجه التسليم بهذا الإخاء العام الذى يعد التسليم به شرطاً لا غنى عنه لازدهار الحياة ورقيها فى ضمائر بنى البشر .

ويقع فى الأساس منها أيضاً محاولة تفهم نواميس الحياة الخلقية والروحية على حقيقتها ، وبالتالى تصحيح الكثير من تقديرنا للأمور، ولموقفنا من أنفسنا ومن ضمائرنا ، هذا الموقف الذى لن يصححه أحد لنا ما لم نتولَّ تصحيحه بأنفسنا ، والذى يمثل فى واقع الأمر كل شىء فى سعادتنا أو شقائنا ، وفى نجاحنا أو إخفاقنا فى الحياة الدنيا أو الأخرى .

لهذه الاعتبارات مجتمعة لا ينبغى أبداً أن يأخذنا العجب كثيراً عندما نجد روح أمير الشعراء حريصاً على الإملاء فى تدفق وغزارة، وعلى الدفاع عن الحقائق الروحية ، والذود عن كل القيم الخلقية النبيلة المرتبطة بها وثيق ارتباط ، والمحيطة بها من كل جانب ، وعندما نجده سعيداً بالإملاء كل السعادة ،مهتماً كل الاهتمام بمتابعة ما ينشر من أشعاره ، وعنها ، وعنه ، وعن الموضوع برمته .

* * *

ولذلك أيضاً لا ينبغى أن يأخذنا العجب كثيراً عندما نجد أن ما أملاه روح أمير الشعراء لغاية الآن يملأ ديواناً كاملا — وربما من جزئين — فى حجم الشوقيات المطبوعة ، وذلك بخلاف الرواية الرائعة المنشورة فى الباب السابق .

— هذا وقد نُشرت طائفة لا يستهان بها من أشعار الروح فى أعداد كثيرة من مجلة « عالم الروح » التى كان يصدرها فقيد الروحية العلامة الكبير المرحوم الأستاذ أحمد فهمى أبو الخير ، وكان النشر فى فترة تقع بين عامى ١٩٥٠ و ١٩٥٩ .

— كما نُشرت طائفة ثانية — وجلها من أشعار النفس الطويل والحكمة البليغة — فى كتاب « الإنسان روح لا جسد » الذى يجد به القارىء أربع وعشرين قصيدة من إملاء الروح ، منها خمس قصائد أمليت خصيصاً لتنشر فيه تعضيداً وتأييداً كريماً من الروح ، كما يجد به الكثير من آراء العلماء الكبار والنقاد فى الأشعار المملاة بتفصيلاتها وأسانيدها الكثيرة .

— وننشر فيما يلى طائفة ثالثة من الأشعار المملاة قديماً وحديثاً لم يسبق نشرها ، ويتناول بعضها الأحداث الفادحة الأليمة التى تمر بها بلادنا العزيزة منذ سنة ١٩٦٧ ، والتى انفعل بها الروح أيما انفعال ، لأن شوقى ليس شاعر الوطنية فحسب ، بل إنه شاعر الحق والعدل الذى طالما كره الظلم والعدوان وندد بهما فى أشعاره المنشورة فى الشوقيات .

ونحن إذ ننشر لأول مرة هذه الأشعار الجزلة الجديدة على القراء إنما نحقق للروح الكريم رغبته الملحة المشروعة فى حفظ الصلة وثيقة بينه وبين مواطنيه تحقيقاً للنضال لأجل هذه الأهداف النبيلة التى يتوخاها فى عزم وإصرار ، فلعل فى النشر عبرة لمن يعتبر ، وذكر فإن الذكرى تنفع المؤمنين . . .

ر . ع .

١ — صوت من الغيب

(أول قصيدة أملاها الروح وهى بتاريخ ١٦ / ١٠ / ١٩٤٩)

الروح أظهره المعاد[١] فجدِّدى يانفس عهدك بالمحب واسعدى
نبع القريض بفيض ربك هاته رقراق من صفو البيان لمقصدى
هيهات أنشـد شهرةً لمقنَّعٍ أزرى[٢] بمجد العالمين وسؤددِ
ما عدت من تغرى الحياة بزهوها فهو الزوال لمن يحق ويهتدى
ما صنت غير الذكريات مهدهداً لحن الوفاء لعاطرٍ من محتدِ

* * *

أحنو على عهد الروائع لاهجاً بالأوليات ، وما يشوق المقتدى
والأدعيات الشائقات ترصعت عقداً لجيد النيل فهو مخلدى
ترعى العناية فى منابعه لوفا دوماً بأنعام السماء وتفتدى
فهى العيون بها الرياض تجملت تنساب بالخيرات يا دنيا اشهدى

* * *

يامصر يا مهداً تلقف شاعراً يُسقى ابابك سائغاً من مولد
كم فى ربوعك قد وُهبت كرامة أكبرتها شأناً ، فزاد تشددى
والحر يجذل للمديح مقدِّراً نصر المجدِّ على هراء مفندِ
جزتَ الزمان على الصبابة فى الحجى أودت بلائمة الحسود المعتدى
آفاق مصر تضوعت «بمصنفى»[٣] فاسترعت الأطياف نشوة منشدِ

---

(١) المعاد : الآخرة.

(٢) أزرى : أنكر شأنه وهون منه.

(٣) الإشارة إلى « الشوقيات » الدنيوية .

سهّدت عينى فى شواغل حبها والقلب يلهج داعياً لمسهّدِ
فالسهد للولهان معبد لائذٍ ما كفّ إلهام القريض بمبدى !

* * *

إن كنت فى أوج الخلود مردداً حبى لمصر ، ففى ثراها مرقدى
يا مصرُ جوزيت السلام ملاحقاً كم كان عطفك رائعاً فى مشهدى[1]
إلفٌ مضى ، وتداومين تعلقاً بالذكريات ، و بالصمود لحسّدى
خلت النوى حتماً يفرق شملنا بعد التغيب فى شعاب موسدى[2]
فيذوب فى سمع العروبة ما انطوى من عهد « شوقى » والفناء مهددى
والمهد إن يغش الضباب حفيرتى تجب الروائع حيث أسقط فى يدى

* * *

لكن إليك الروح رُدّت تحتفى بالمستحب من القريض ، فرددى
ما عاد يشقى الروح أى تباعدٍ هيهات تخشى الروح منجل مبعدى[3]
فالروح حرٌّ ، والخلود مناصر يعلى الرغائب فى رواء تودد
فإلى الصفىّ أعيد يا مصر الهوى بين الربوع لأستزيد ترددى
أشدو بأنغام الخلود مناجياً وعياً تنزه عن جموح مهددى

* * *

إن المندد بالحقائق هائمٌ أرثيه حياً فى شِغاف تنهدِ
فاستيقظوا ! من لا يفيق لمقبل فيه العقاب يفوق سطو مهند
ولتشحذوا همم الضياغم ، قائلٌ كل لروحه جاء يوم تخلدى
حيث النعيم لآبدين بجنة يسمو بذروتها الهناء لتسعدى

(١) فى تشييع جنازتى . (٢) من وسدنى فى القبر . (٣) كناية عن ملاك الموت .

٢ — ذكريات

(أمليت فى سنة ١٩٥٠)

آب الزمان لمرتع الإقبال مترفقاً بمسيره المتقالى
يدنى لروحى الغارات ويالها ! بيض الليالى تراقصت بخيالى
ينثرن زهراً فوق أشواك الثرى والذكريات تدلهت[١] بالخالى
صوّبتُ سهم الفكر للدار التى أبداً تُفدّى بالنهى والمال
ضيق الصدور تحمّلتْ ورحيبها وتلونَتْ باليأس والأمال

* * *

يا دار إن شط المزار فخفقى فىّ الوفا فى الحل والترحال
روحى يطارحكِ السلام مناجياً فيك العلا يا دوحة الإقبال
يا « كرمة »[٢] بين الصروح تشامخت وبدت بزىٍّ الظافر المختال
هدهدتِ قلبى فى ربوعك مذ حنا ما كنت عنك العابر المتسالى
فى مهجة الولهان شوقٌ فائض أبداً ، ولو بتباين الأحوال
يا دار ما للذكريات تبوأت فوق الشغاف[٣] بتاجها المتلالى
تتلو الصحائف من مكامن لوعتى تُدوِى[٤] الضنا بصباحةٍ[٥] وجلال
يا دار كم أمضيتُ ليلىَ ساهراً صارعت دهرى ناظماً أقوالى

---

(١) تدله : ذهب قلبه من هم . تحير .
(٢) الإشارة إلى كرمة ابن هانىء وهو اسم داره بالجيزة .
(٣) غلاف القلب . (٤) تعالج .
(٥) بجمال .

كم طاب عيشى والأحبة سُمَّرى ... يطرون شأو(١) الشاعر المثالِ

كم بتّ أرعى النجم فى أوج الذرى ... وأرى اليراع مسامراً ، ويغالى

كم سطّرت يمناى أقوالاً سمت ... ونظمتُ دراً عقدها ولآلى

وسبحتُ فى أفق السماء مسائلاً ... فيمَ سعيت ؟ وما هوى أمثالى ؟!

واستطلعت بجواد أسرار الدجى ... بالعـــــين أرنو باحثاً بسؤالى

علّ المدارك تشبعنّ درايتى ... فأخط شرحاً ضافياً بمقالى

. . .

أشرعت(٢) باباً للخيال مُباحثاً ... ورأيت عقلى حافزاً لجدال

سرّحت طرفى فى كمين سطوره ... وتلفف(٣) الامعان بالإمهالِ

وبدا شعاع الهدْى قيد أناملى ... وكأن نجم « المشترى » دلّالى

فرفعت رأسى للكواكب هاتفاً ... أنبئننى سر الحياة الغــــالى

فتطلعتْ أختُ النجوم بغمزة ... وتلتْ بأخرى فكّكت أوصالى

فى نشوة السحر الحلال رمقتها ... قلت : الحقيقة عندها ، فتعالى

لتفيضَ شرحاً للبيان بحجة ... فتمنعّتْ بصـــــدودها ودلال

وتصدعت من فرط جهلىَ عزتى ... والفكر أمسى فى لظى ونضال

والرأس مالت فوق بسطة راحتى ... والجهل حيّا ، قاصداً إذلالى

والعين ألهبها التطلع فانبرت ... أشباح يأسٍ قاتل بملال

سحلن همـــــاً للفؤاد وصيحة ... إذ بات الاستكناه(٤) بالمثقال

---

(١) شأو : سبق أو مكانة أو علو شان (٢) فتحت . (٣) اشتمل بثوبه

(٤) استطلاع أصل الشيء وكنهه .

فعجزت عن فهم الحياة وكنهها　　وبدت كلغز موصد الأقفال
والأمر أشكل والجهالة جسمت　　صرح التشكك جاثماً كجبال
عيني سجوم [١] من شقاء مغلب [٢]　　أضناه بحث في ضحى وليالي
والنفس في أصفاد جهلي روّعت　　جزعاً تهاب مرار الاضمحلال

* * *

ويحي إذا طمس المعالم [٣] ضارح [٤]　　وشكا هشيمي [٥] ضحكة العذالِ
أترى سأذوى كالأجنة [٦] في الثرى　　تخفي رفاتي كومة الأطلال ؟
أبظلمة القبر الرهيب نهايتي　　وأتوه طيّ مكامن الأجيال ؟
ناجيت ربي في خشوع ضراعتي　　هبني شعاع الهدى يا متعالي
وامحُ الجهالة إنها قد حطمت　　وعياً تقصى [٧] بغيتي ومنالي
يسّرْ أموري ، ثم جدّدْ نشوتي　　واطرد جمود الفكر والبلبال
رباه إني للهداية سائلٌ　　كيما أجول الأفق باسترسال
يا حكمة ضمن الوجود رأيتها　　بالسر ضنّت طيّ برج عالي
من لي بدوح العلم فيه أحتمي　　فأنال منه فيئة استظلال ؟
من لي بسر الخافيات المرتجي　　يقضي لبانة حائرٍ بسؤال ؟
وطدت عزميَ أن أغالب شقوتي　　أترى سأحيا طعمة لزوال ؟
أترى سأحيا مثل طفلٍ صاغرٍ　　وأنا المعلّى قدره بفعالي ؟
صارعت يأسي والصغار [٨] وصيحتي [٩]
وصدفت عن أحبولة الجهّال

---

(١) ذارفة الدمع . (٢) مغلوب مراراً . (٣) محا الأثر . (٤) الذي يطرح الميت في القبر .
(٥) النبات اليابس المتكسر والكناية عن جسده الفاني . (٦) كالمقبورين .
(٧) تتبع الأثر . (٨) الضيم والذل . (٩) صرخة عذابي .

صمدت شكّى ، واليقين رجوته ... وتخذت تواً صبغة الجوّال

والقلب شام مخايل(١) البعث الذى ... قاد الحياة وسعيها لعوالى

والروح أرشد للخلود وجنة ... بشماع هذى باعث لعوالى

ضؤل التشكك فى الحياة وسرها ... فصرعت(٢) جهلى مؤمناً بمآلى

ما ثُلّ(٣) عرش للحياة وخلدها ... فالروح يحيا آبد الأجيال

* * *

تلك الحقائق بالتقى عوذتها ... فإذا يقينى رقية(٤) استبسال

ولمست فى نهجى القويم حصافةً(٥) ... وغدوت صعداً فى مدى استدلالى

وبدا شفيفاً ما وراء منيّتى ... وتقشعت إطباقة الإظلال

والطرف أنهى ما عساى بلغته ... فالسهل خلف نجادها وتلال(٦)

وهنا ركنت إلى القريض وصفوه ... متـــذوقاً من صرفه السيال

وغدوت روحى من رحيقٍ سائغٍ ... مستخلصاً رياه بالمكيال

فجّرت سيل النظم من ينبوعه ... فانساب عذباً فائضاً ، وحلا لى

نفسى تغنت بالسلام ويقظتى ... ورعيت حق المتّقى بجلال

راقبت حظى فى النعيم ونوره ... لأصيب قسطى من رضا وجمال

ما حدت يوماً عن قويم صراطه ... فخطرت سهلا فى حمى المتعالى

---

(١) تطلع نحوه ببصره . (٢) غلبت . (٣) ذهب عزه .
(٤) تعويذة . (٥) إصابة فى الرأى .
(٦) عيناى أوضحت لى ما وراء الموت ، إذ وجدت السهل خلف الهضاب والجبال .

٣ – حنين الذكريات

مستأثراً بالذكريات مواليا أحيا شغوفاً للروائع داعياً
بيني وبينك يا زمان رغيبة يالي إذا رُدَّت ، سأنعم راضيا
في جعبة الأيام صنتُ قوامها درأ نظيماً يستفيض تساميا
أودعتها الأحلام بعد تداولٍ بالأمس في شوقٍ ، وكن غواليا
ما عاد من ألحانها ورنينها إلا صدى يهتاج وعياً صاغيا
يحيي حنين الذكريات مدلها يدني اشتياقاً كان مثلكِ نائياً
فارتد ما بالشجو بات محصنا والقلب جذلان تصايح : ياليا !

* * *

ما ضمّه التاريخ شائقـه انبرى والفكر أقسم أن يصونه واعيا
يسترجع الأيام في ريعانهـا هيمان في أفق الحوادث حانيا
يستعذب النهل الغزير محققاً إزهار ما بالأمس خيِّلَ ذاويا
في صفحة تتلى بشائر ذخرها من أعجب التبيان صادف راويا
يا طيب ما استشرى عبيره دافقاً طلق السجية بالمكارم وافيا
فالأمس أشرق بعد فضٍ في الدجى كالطيف يبتدر الصحاب مناديا
ما غير أطياف الخيال إذا انقضت تستحدث العود الحميد تواليا
والقلب يختلق المعاذر لاهفاً يرنو لإبقاءِ الخيال مؤاتيا

* * *

فالذكريات هي الخيال منمّق بالشوق يدرج[1] مستحباً خافيا
كم يا خيال الذكريات تألقت فيك الحقيقة تستهيم تعاليا
والوعي يأنس لاجتلاب محببٍ مما بأمسٍ قد تشامخ ساميا[2]

(١) يدرج : يمضي لسبيله . (٢) وهو شعره الأرضي .

من كل ما خط النعيم بروضةٍ   خلانها كالزهر نسّقَ زاهيا
أحباب ذى القربى يجمّع شملهم   صفوٌ تناهى بالوفاء مناغيـا
كالبلسم الآسى حنان ودادهم   إن كنت من وَهمٍ أشاء تداويا
والقلب إن يشكُ الحنين تكاتفوا   بالحب يقصون الشجون ، ومابيا

* * *

يالى ومالى الذكريات من الأسى   والبعد بالحرمان أصبح قاسيا !
فاليوم لى عينٌ تلاحق ظلهم   والدمع للهجران يذرف داميا
شوقٌ وشجوٌ واستعادة لوعةٍ   فى مهجتى ، والصبر أصبح عاصيا
إن أسمع اليوم الأحبة زفرةً   تنساب فى الآفاق تشرح حاليا
لارتدت الأصداء صوب جوانحى   تأسو بأنغامٍ تزيل شقائيـا
فلتستفق يا قلب وارأف من ضنى   إن صوّب الشجو السهام مواضيا
ما عاد يجدى أن تذوب تذكراً   من دون ماصبر يصونك شافيا
فاترك مثار اللغو فى نهجٍ مضى   ذى سَنة التاريخ يمرق ماضيا
لا شىء يبقى من شمائل أينعت   غير الذى تأبى العقول تناسيا

* * *

فابقوا على عهد الوفاء أحبتى   ولتسندوا شمل التقارب راسيا
صوغوا على الماضى القريب طلاوة   من مستحب الشائقات كما هيا
ولتذكروا الماضى تكمّل بالسنا   ولنقضِ للرحمن حكماً ساريا
واستشعروا دوماً بأقدس مابقى   صَرحاً بنينا بالمحبـة عاليا
دمتم ودامت ذكريات طفولتى   ذخراً مصوناً بالروائع باقيا

٤ ـ تحية وعرفان

(أمليت في سنة ١٩٥٨ بمناسبة مرور ٢٦ عاماً على انتقاله إلى عالم الروح)

بروحي[١] الحفيُّ[٢] هفا واذكرْ وكالَ الوفاء وأطرى السيرْ

فبين الحنين وبين المديح تبث الليالي عطور الفِكَرْ

هي الذكريات تثير الشجون وسنحٌ[٣] كصفو العبير انتشر

وتدني القصيَّ لشرح الصدور وفي الذكريات شهيُّ الثمر

ونجوى التفنُّن بلحن الفخار تحث المحق لنيل الوطر

إذا المجد دوَّى بفحوى الخلود يضيء السراج ويحيي الأثر

ويومٌ على الدهر هذا سناه يضم الصحاب ليوم أغر

ترف النسائم طاب شذاها بنفح الورود وطيب الزَّهَرْ

* * *

وأهل الأمانة هم منصفيّ بأصدق ما في قلوب البشر

وهيهاتَ ضيعة ما قدَّروه فروحي بما كرموا قد شعر

ورغم التخفي أرى الأمناء فلست قصياً بغور الحفر

أطوف وأصغي لمدح النديم إذا ما ترحم، ثم اعتبر

وأحصي على الناقدين خطاهم أحيي النزيه مجيد الحذر

وأرثي لحقدٍ وقذف يضير وما في تراثي نظيم أضر

(١) أفدى بروحي . (٢) العارف الشيء . (٣) سنح : يمن وبركة.

فيالوعة الروح من معرضٍ ... يقوِّض ركناً جميل الصورْ

* * *

إذا المنصفون أجادوا الثناء ... فشاهد روحى نظيم الدرر

فكم فى المديح استهام الفؤاد ... وكم ذا رثيت وقلبى انفطر

وأعليت شأناً يصون القويم ... لتلقى العروبة مجداً ندر

وقلت البيان فكنت النصوح ... ومن نسج بردى الأريب ادَّثَرْ

يَرَاعى النزيهُ أزاح الدجى ... وأبدى الحقائق ضوءاً بهر

وهيهات فيما سطرت مشين ... نصرف النقاء نسيج القدَر

برئت(١) من الحانقين الألى ... أهاجوا الشكوك بآىٍ أخَرْ

فرغم التقول روحى تجوب ... لرعى الرصين، وروضى ازدهر

* * *

فيا يوم عدت تصون العهود ... وتُهدى الجميل يفوق الظفَرْ

وليست تغيم رموز الوفاء ... وبين البرايا بعيد النظر

برى الحق فى كل سطرٍ يرام ... يعرِّف روحاً طليقاً ظهر

فيبدى السماحة من أوجها ... ويعلن للخصم أنْ قد غُفر

وهذى التحية منح لخلٍ ... يصون الوفاء لمن قد عبر

دواماً سأهدى نظيم القصيد ... أهازيج حبٍ لشدو الوتر

برَّياه روحى تذوق الشهاد(٢) ... وفيض الرواء، وأشهى الثَمَرْ

ومنه الشميم بمسكٍ يفوح ... يضوع(٣) خلدى بما قد نشر

(١) برىء: سلم من العيب أوالدين (٢) جمع شهد. (٣) يضوع: ينشر الرائحة الزكية.

٥ — خواطر

(ربيع أشرق ثم غاب)

ركب الزمان أبيًّا خَطِر[1] ربيع الحياة يحيِّي البشر
يمد الوجود بإشراقة كضوء الضحى واكتمال القمر
كفيل بأبهج ما يرتجى من الأمنيات ونيل الوطر
يقود الرغائب صوب العلا ويهدى الجِدّ إذا ما اقتدر
فتسمو العزائم فى قدرةٍ توالى التدافع نحو الظفر
وهيهات يخبو الكفاح الذى يشق الطريق لجنى الثمر

* * *

وكم للصبور يلين العصىُّ ويطفو الخبىء بعمق القدَر
هو السعى نزّه عن عثرةٍ ينيل المرام بأبهى الصور
ويضفى رواءً نضير السنا بعجبٍ يصافح من قد ظَفَر
ألا فالربيع شباب الدنا سويعات حسن تروق الفِكَر
وصفو الربيع يشوق الورى أريج شذاه إذا ما انتشر
فتشدو القلوب بأهوائها وتبدى الحنين قلوبٌ أُخَر

* * *

وكم بالنقاء تسامى الهوى بهمسة نجوى تذيب الحجر

---

(١) مشى يهتز معتزا بنفسه .
(٢) عارف بالشيء حق معرفة .

فتنأى الشوائب حيث الرضا يجيز السماح بما يغتفر

وبالصفح يبعث نور الوفاق بسحر الربيع وقلبٍ غفر

فتطرى الحياة بريعانها(١) وعشقٌ بدوم الوداد ازدهر

فليت الربيع يقيم حياة بفيض النضارة لا تعتصر

فتشدو البلابل فى نشوةٍ لإلف يراقصها فى حذر

عطوفاً يضوّع ريح الصبا ويشجى الحمائم فوق الشجر

فتغزو الغصون طيورٌ هفت لشمل يصعّد لحن السمر

وتدنو الفراشة فى لهفةٍ وشوقٍ تقبّل ثغر الزَهر

* * *

فتلقى الربيع كصبٍ رنا بزهوٍ يلاحق طيباً ندر

تهادى يداعب فى همسةٍ وروداً يطيل إليها النظر

مشوقا يبوح بنجوى الهوى فتشتد حمرتها فى خفر

وترنو الورود إلى نرجسٍ وفلٍ ، وأزكى عبير نشر

ولليا سمين والأقحوان وكل الزهور تزف الخبر

تنادى الرفاق : هلم أرقبوا نصير الجمال فتياً حضر

وحيّوا الربيع نديم الصبا بطيبٍ يدوم ولا يقتصر

* * *

وتدعو النديم فلا يرتجى فأين الربيع ونفح البِدَرْ ؟(٢)

---

(١) ريعان كل شيء أوله وأفضله، كريعان الشباب .

(٢) البدر : جمع بدرة وهى المال الكثير . كيس المال كناية عن ثروة الطبيعة فى الربيع.

أيا للورود ! وبئس الضنا   توارى الربيع ، مضى واندثر
وقدَّ النضير كعشبٍ ذوى   وكل الورود شذاها انحسر
وأودى الذبول بطيب الشذى   وهدَّ الأزاهر شؤمٌ وشر !
فأين استفاضة زهر عطر   ولمْ لا يصافح طيف السَحرَ
وأين النضارة مذ أينعت ؟   بفقد الربيع علاها الضرر
زهورٌ ، طيورٌ ،وغصنٌ رطيب   طواها الفناء فباتت سِيَرْ
فلولَ لعمرى بشجوٍ قضت   وقلب الرياض عليها انفطر

* * *

شباب الحياة كطيفٍ عبر   وغاض الجمال كلمح البصر
أيا للربيع غـداة انطوى   سيبكيه خلٌّ إليه افتقر
وكم فى الصدور قلوب غدت   بفقد الربيع قشوراً تذر
فليس الربيع سوى شعلةٍ   بأضواء عهدٍ يقضَّى الوطر
يسير الوجودُ كعمر الندى   وبعد الزوال يغيض الأثر
ويبقى الجفاف نزيل النهى   به الحى يندبُ حظاً عثر
ويشقى بفرقة عزم الصبا   وبعد زوالٍ يدبُ الكبرْ
فتلقى الصحائف فى حسرةٍ   كريح تمر مرور العِبَر

٦ ـ مأساة التفرقة العنصرية

(قصيدة أمليت فى سنة ١٩٥٨ بمناسبة ما نشر حينئذ فى جريدة الأهرام من مأساة أول فتاة زنجية قبلتها مدرسة «شارلوت» فى ولاية كارولينا الشمالية ، وكيف أن الطلبة البيض رموها بالأحجار ، وضربوها ، ومزقوا ثيابها ، فقامت الروح من تلقاء نفسها بإملاء القصيدة الآتية) : -

يا عاذل السمراء قف دون النزق　　أو لم تكُ الأجناس صنواً من علق ؟

أرجفت عسفاً ضمن قوم فرّقوا　　بين العناصر بافتراءٍ مختلق

جئت الحماقة عادياً ومروعاً　　سكران تقذف بالسلام إلى الغرق

أشعلت فى قيم التعايش فتنة　　وقفت بها الأخلاق فى أدنى الطرق

يا ويح من رجم البريئة أو رمى　　سهم المسبّة والتعاير وافترقْ

ما سمرة الهيفاء عارٌ يزدرى　　والعار فى خُلُقٍ كبومٍ قد نعق

* * *

حر الضمائر لن يؤيد غاشماً　　يأتى على حق الملوّن بالرَهَق[1]

سمراء « كارولين » عذراء الفدا　　لا تجزعى ممن رماك وما شفق

إن العناصر فى الخلائق منحةٌ　　من ساحة الوهاب ، جلّ بما خلق

أهدى الخليقة فى نطاق عدالةٍ　　حساً وفائض متعة مما رزق

والله أرسى العالمين مضمّناً　　سوداً وبيضاً فى إخاءٍ يعتنق

للكل حقٌ فى الحياة عزيزةً　　والطيش قد أعمى المفرِّق فانزلق

* * *

يا شعب أمريكا المدال بالهوى　　الخلق من هول التحزّب فى أرق

(١) الرهق : الظلم

همتم بتفرقة العناصر فما كتوى شمل الأخوة بالتطاحن واحترق

هذا التحكم فى المواطن مجحفٌ يشرى الضغينة والتقاتل والزَّهَق[1]

بالغى عثتم فى المقام وفى الحمى تلقون بالزنجى فى جوف الغسق

تأبون أن يلقى الضياء كأنما أتلله فيكم وحدكم صبحاً فلق

تبغون هذا الكون للبيض الألى يرجون لو غاب الملوَّن وانطلق

أغضبتُمْ الرحمن بالظلم الذى سجلتموه على المشيئة بالملق

تبغون محو السود، والمولى ارتأى أن يستبيحوا العيش خلواً من قلق

لو شاء فيكَمْ الانفراد بملكه أبقاكمُ، والسود أزهق أو محق

* * *

يا ربَّ نسقت التلوُّن واهباً صور الخلائق روح حب فانبثق

أرسيت للأجناس سعياً لائقاً حقاً لأسود فى الحياة فما سرق

يا ربَّ إن كان ارتضاؤك صائباً فانظر لأبيض للحسام قد امتشق

يهوى على أم الرؤوس محطِّماً ومعذباً سر الوجود، وما رفق!

يا مرهق الأجناس فى طغيانه مسترخصاً فى السود إزهاق الرَّمَق

ليس التلون فى الجلود مهانة والعيب فى وعىٍ تدهور وانسحق

كم ذا يشين البيض سودُ قلوبهم والجلد كم ضمَّ الملطخ وانطبق

بيض الحوائط لو أزيل طلاؤها تؤذى النواظر من خفايا لم تطق

* * *

تبّاً لفأل البيض يوم توهموا فى العيش غُنماً حظهم منه السَّبَق

---

(١) الزهق : الموت . الهلاك .

فالعيش فى حكم المهيمن راسخٌ للسود مثل البيض حقٌّ متَّفَق

والليل قد سبق النهـار ، وحسبكم لولا قتامُ الليل ما فجرٌ بَرَق

والعين حتماً لو يغيب سوادها لاستنـكر الرائى النصاعة وانصعق(١)

وبدت عيونٌ لا جلال يزينها وغدت وجوه البيض تدعو للفرق(٢)

وانساب يغزوها البياض بشؤمه يسرى ويعبث مثلما يسرى البهق(٣)

* * *

مرحى بأسود فى البرية إن سعى فهو المداد يزين إشهاب الورق

ما ناصع الصفحات فى مدلوله من حكمةٍ ، لولا السواد وما نطق !

واقرأ نداء الله فى أحيائه فالعدل يجزم بالقضاء لمن وثق

والعيش لن يلقى العبادُ رغيده بسوى المحبة ، والإخاء إذا استبق

فارغب لندك فى الحياة صفاءها فالدين حبٌ فى اعتناق من اعتنق

---

(١) النصاعة : البياض . (٢) الفرق : الخوف .

(٣) البهق : بياض يعترى الجلد يخالف لونه .

٧ – تحية إلى دمشق

(أمليت فى سنة ١٩٥٨ بمناسبة إعلان الوحدة بين مصر وسوريا)

يارب هديك فى الخلائق معجبُ   كالغيث يعصم من هجير يلهبُ
والهدْى فى عمق السرائر همسة   إن شاقت الوعى استقام المذهبُ
والهدْى إيقان بكل مقوّم   يسمو بأهداف ٍ تروق وتعذب
يهتاج وجدان الحكيم إذا رنا   ويكيل قسطا من أمانٍ يُرغب
يسرى فتوحاً يستهام كأنه   ريح الصبا فى الوارفات محبب
والهدى مرفأ من يكافح جاهداً   لو أنّ عوداً فى الكرامة أصلب
للحق يدعو الراسخين بيقظةٍ   ويطيل إحكام المدى ويرغّب
لولا اهتداء ما ترسمت الخطى   أممٌ تناضل للعلا وتنقّب
فعلى ضياءٍ والسبيل منمق   تُبنى الحقوق وتستقيم وتقرب

* * *

وعُرَى الهداية فى تجاوب من وعى   قيمَ التضامن، وهى حق يُكتَسَب
قيماً توطد للعروبة وحدة   تبنى الصفوف قوية لا تُغلب
وتقيم ميثاق التضامن ناصعاً   بين الأليف وراغب يتقرب
قيماً هى العيش الكريم لنابهٍ   ولكل حرٍ ، فهى عهد موجِب
وذوو الدراية بالتجاوب أيدوا   دعوى التضامن دون أن يتهيبوا
عقدوا الروابط فى صريح مودةٍ   لبناء جمهورية ، وتأهبوا
غرسوا النواة ، ومخلصين تعهدوا   سقى النماء بطيبات تعقبُ

جهدوا لضم الراشدين بدعوةٍ ... تحمى العروبة من شوائب تغضب

وتعيد إزهار الحضارة كالضحى ... فى المشرقين بلا مريب ينقب

أصواتهم هزت ممالك وانتشت ... بالدعوة العظمى شعوب ترقب

وإذا الحقيقة بعد أوهامٍ سرت ... وعلى التكاتف كل حُرٍّ يحدب

* * *

يا رب قدّرتَ الغيوب سويّةً ... فأتت بما يرضى الصدوق ويعجب

يا نعم نائلة تساق كريمة ... كانت على الأزمان توقاً يرغب [1]

ها مصر نادت والشآم بوحدةٍ ... قشعت غياهب ما يضيم ويرهب

فأهلّ عيد الظافرين بروعةٍ ... بمآثر التوفيق باتت تعرب

فى كل رابيةٍ وكل خميلةٍ ... عرس تلامسه القلوب وتخطب

ودعا الشمال أخا الجنوب لموكبٍ ... والأهل فى مصر سراعاً رحبوا

والمجد أقسم أن يؤازر حجة ... بالنصر تزحف للأمام وتغلب

* * *

والشام جمّعتْ الإخاء على هُدىً ... فتوافق الخل الوفى الأقرب

أرسيت للوطن الكبير دعامة ... ولكل بنّاء ثواب يكتب

ناديت فى الشرق الحليف، وفى الهوى ... ربط الديار، فرحباً يتقرب

والنيل فى سَنَن البناء معانقاً ... نحوى الدعاء هو الرفيق المعرب

حيّا ربى بَردى [2] السرى [3] مؤاخياً ... قد مد باعاً للبناء ينصّب

---

(١) توق : اشتياق .

(٢) نهر بردى بسوريا . (٣) السرى : صاحب المروءة والسخاء .

هذا وذاك بوحدةٍ بنّاءة لمس المفضل فاستمال يرحّب
وعرى التضامن إذ تقام وطيدة ينساب فى الأفق الشمول الطيب
كالشمس والدنيا ودورة بدرها فى وحدة تبنى الوجود وتدأب
والدأب يمحو المستحيل مؤيداً عزم الطموح إذا تسامى المطلب
والعزم فى طوق البطولة مارد يقضى على وَهنٍ يجور ويحصب[1]
ويعد للأجيال فاتحة العلا بقوى السواعد تستضىء وتقشب
ويصد دهم العاديات مدعّماً شورى التكاتف كى يسير الموكب
فتقام فى البلدين أفراح المنى ويلوّح العلم الفريد المعجب

* * *

عَلَم على هام التضامن يعتلى ويتوّج الآفاق حيث ينصّب
يختال فيه الكوكبان بساطعٍ يسمو وينشر حكمة تستوعَب
علم بنور الفرقدين[2] مبصرٌ عرباً وأعواناً لكى يتوثبوا
كمنارة فى الخافقين ترفعت لتعيد يقظة شارد يتهيب
وتخط فى سبل الرفاهة خطة حيث الحماة تواثقوا وتقربوا
يا وحدة العلم الرفيع استيقظت فيك الكرامة شعلة لا تغرب
جمّعت رابطة القلوب بثورةٍ هدفت لكل كريمة تتسرب

* * *

بالروح يا علماً توحد فانبرت مهجٌ تحيك لك الجلال، فترهب

---

(١) يحصب : يقصى ويباعد .
(٢) الفرقدان : نجمان قريبان من القطب .

أنت المقدس شأن كل مُنزهٍ   والروح يرخص فى هواك ويوهب
أنت المحبَّبُ فوق كل حبيبةٍ   وقوى الحصانة فى رحابك تحسب
أنت الحياة إذا الحياة تقومت[1]   ودعاة مجدك فى الأمانة أسهبوا
لله ضوعةَ ما مددْت به الحمى   من نفحةٍ ، لتعز من يتنسب
وتصون كالدوح الظليل من احتمى   من لهفـةٍ تهتاج من يتغرب

* * *

يا زينة الأعلام وقيت الأذى   دُمْ بالمناعـة سالماً لا تعطب
أنت الخلود السرمدىّ على المدى   فانشر لواءك سائداً لا يُغلَبُ
يارنة الإسعاد إذ يشـدو العلا   أنت الحنين بكل توق يعذُبُ
فى مصر ذكرك يا رفيع المجتلى   نَغم الطروب إذا هفا[2] يستطرب
نغم يردده الهزار على الربى   فيهز أوتار القلوب ويجـذب
وبكل أغنية تهوّدُ رجعها[3]   ينساب لحنٌ فى دمشق فيطرب
لحن أهاج الروح عبر حجالها[4]   فى شاعرية من يرق ويعجب
ولمست فى العلم الموّحد عصبة   فى قوة غلابة تتشبب
فتلاحقَ الوجدان ينظم مادحاً   عقبى التضامن ، واستفاض المأرب

* * *

إنّى لعهدك يا دمشق محافظٌ   أحنو بنزعة هائمٍ يتحبب
لى فطرة بهوى الشآم تأصلت   بين الجوانح يا دمشق تُحجَّبُ

---

(١) تعدلت .
(٢) هفا : خفق الفؤاد فى أثر الشىء .
(٣) رجع صوتها فى لين، غنى، من هود يهود تهويداً .
(٤) حجال : جمع حجلة وهى البيت يزين للعروس .

بى ما بروحك من تجانس عاطفٍ رغم النوى(١) أهفو إليك وأقرب

يسحو على مسرى الإخاء رواؤه دون التحيز ، حيث طاب المشرب

هاتى دمشق يد الطهور وصافحى يد كل مصرىٍ يعز ويرغب

ويشد فى اليوم العصيب على يدٍ يقوى بها ، وبه البناء ، ويصلب

فالندُّ فى أفق الكنانة قد وعى فحوى الإخاء بحانيات تحدب

وتقاربت وجهات كل بصيرةٍ وسعى المهيب إلى المهيب يرحب

الحق ألف ، والميول تجانست فتبددت سحب تغيم وتنشب(٢)

وبدت بشائر الاتحاد كشعلةٍ وهاجةٍ أخذت تصول وتعجب

فتطيّر المتشائمون بحقدهم متخبطين بلوعةٍ وتعذبوا

• • •

ويح الزمان أيا دمشق وما رمى من ذكريات بالفواجع تصحب

بالأمس أحكمتُ الرثاء مغالياً والعين من عسف المظالم تسكب(٣)

تهمى(٤) على بردى الأبىّ بلوعةٍ والعجم توقع بالذميم وتقضبُ(٥)

عانوا التأزم(٦) ، والنوازع فى لظى من فرقة كانت تحز وتنكب

ومن التأزم كم تذوب حشاشةً تطوى على شجنٍ يهد ويعطب

---

(١) البعد

(٢) تنشب : يعلق فيه ولا ينفذ .

(٣) الإشارة إلى القصائد التى كتبها الروح عن سوريا تحت حكم العثمانيين .

(٤) تهمى : تسكب الدمع .

(٥) قضب : قطع الأواصر . (٦) التازم : الشدة أو الضيق .

فالأمس روّعك الدخيل بما افترى ... فى شقوة تمحو الأمان وتسلب
فاستُلّت القنيات[1] دون ميمم ... شطر الديار ، وناشب يتعقب[2]
فحماكِ أُسد من وقيعة من بغى ... واستنزفوا جهد الغريم وأرعبوا
والمجد حيا الظافرين بنصرة ... تحمى الديار منيعة وتحجب

* * *

واليوم تبتسم الربوع كريمة ... زهراء يعصمها[3] الرواء فتخصب
وتخط بالعقلاء لائق منهج ... لتحولَ دون خصومة قد تنشب
ياويح مندس كسائمة الفلا ... منبوذ دار حيث سار يؤدّب
هيهات فى الأوطان يسلم من بغى ... فحمى الليوث يفر منه الثعلب
خلّى دمشق العابثين فما وعوا ... عقبى الضغائن كم تشقّ وتصعب
ياويح داعية لبث خصومة ... وعلى فساد ينطوى ويخرّب
ما كان أجدر بالمناوىء لو يفى ... دين الأخوة راغباً لا يهرب
ويسالم الأيام بين عشيرة ... ألأهل منهم ، والأقارب ، والأب

* * *

فاليوم يوم العاملين بيقظة ... ولكل فرد ما يعد ويحسب
وإذا الجهود تكتلت شمخت بها ... فوق الشعوب عروبة تتغلب
فمن اهتدى دعمَ الإخاء مسالماً ... وهو المعضد للحقوق الأنجب
واليوم جمهورية العُرْب انبرت ... يبغى السيادة شرقها والمغرب
لتعيد مجد الغابرين جماعة ... والله بالمأمول سوف يحاسب

---

(١) القنيات : جمع قناة وهى الرمح .
(٢) عدو يتتبع . (٣) يعصم : يمنع من الجوع .

٨ — تحيــة الشهداء

(أمليت عقب أحداث يونية ١٩٦٧ بأيام قليلة)

مصر الأبية والخطوب تسودها   والعسف فى محن الصروف شديدها
زفت إلى العلياء من تركوا الحمى   واستشهدوا ، وهمُ الحياة وعودها
حيوا بما يسمو بماجــد قَدْرهم   واستُودِعوا الجنات ، حيث مديدها
دوماً على الأيام ما وسع المدى   تطربهمُ ، والعاطرات نشـيدها
تعلى البطولة للبواسـل مذ هَوَى   دون اعتراضٍ ، للفداء جنودها
فليُكْرَم الشهداء دون ترددٍ   فى الحق فالأقدار ساد تليدها[1]
تهب البطولةَ فى الوغى لمجنَّدٍ   أهدى الحيـاة ليستقيم خلودها
فالروح إن هانت ببسمة لائذٍ   بالنصر للأوطان فاق شهيدها
ورضاء ربك والمراحم نفحة   تهدَى الشهيد إذا استقام يريدها
فدعوا الشهيد بطهر روحٍ ناعماً   مُذْ بان فى دنيا الكفاح وحيدُها

* * *

وذرى الجهاد تفوق كل كريمــةٍ   بالبينات لتستقيم عهـودها
وأجلّ من فى الراقدين مجاهدٌ   أهدى الحياة لمصر ، وهو سنيدها[2]
لمَ لا يطوّق جيد مصر بوقفة   شماء يكبر فى الرواة مجيدها ؟
والحر يرقب فى المعارك مرتعاً   للتضحيات ، وفى الكرام عديدها ؟
مستصغراً لقيا المنون برقعةٍ   جرداء لا يؤتِى البطولةَ جودها
ويرى الأرائك لا تحصّن فانياً   يخشى قوى عزريل ، كيف يذودها ؟
ما كان يَثنيه القعود على المدى   إن فينة حَلّت ، وحُدّ مديدها

---

(١) عريقها .   (٢) صيغة مبالغة من سندها .

أوَ لم تكن روح الشهيد لساعةٍ فيها الوفاة إذا استحث مريدها ؟

* * *

والموت غازٍ في ملاحقة الورى تعنو له الآجال ، وهو يقودها
يطوى الخلائق لو بساحة دورها والشيخ يذعن ، والفتى ، ووليدها
فالكأس إن مُدت تلوّح للألى يستمسكون بها يصب صديدها
وهى المنية بالمذاق توحدت حباتها ، مهما التوى عنقودها
أكبرْ بمن يأتى الشهادة راضياً مهما تَمَنّع عائفٌ وعنيدها
فالكل يخشع للقضاء إذا انبرى يعلى المشيئة كى يسود وجودها
والسعى يوقفه النذير إذا انطوى سفر الرغائب شينها وحميدها
وأعز من فى العالمين إذا انقضت أيامُ سعيٍ صار يُنشر عودُها[1]
فالحَين[2] إن فض الملامح مارقاً تُبلَ وتُطمس فى المداد حدودها
يأبى الهروب عن الوثير فراشهم ومن احتواهم فى الفلاة سدودها

* * *

ذى سُنّة الأيام فى قَدَرِ الورى سَعْىٌ ، ويرجع للسجوف[3] وفودها
والأهل لو أدموا العيون ومزقوا ثوب الرزانة ما استلان جمودها
فالأرض مرقدُ سائرٍ لقرارها حيث الموسَّد تحتويه قيودها
لايستجيب من الحفائر قابعٌ للنائحات ولو أهاج عديدها[4]
هل من عويل الأقربين ودمعهم للروح تُرْسٌ[5] فى الحِمام يعيدها ؟ !
أم فات أهل الأرض حيث توافدوا أن المسيرة لا يدوم سديدها ؟
فإذا تهدّج[6] فى الركاب مودِّعٌ نبْذَ الحياة ولو شجته وعودها

---

(١) نوع من البخور زكى الرائحة . (٢) الهلاك . (٣) للقبور .
(٤) الندب والبكاء .
(٥) صفحة من الفولاذ للوقاية من السيف .
(٦) تقطع فى ارتعاش .

هيهاتَ عودة نازحٍ بحفيرةٍ تبقيه ، حيث على الدوام ركودها
والنفس عن غيب القضاء لفى عمى عن بقعة المثوى ، وكيف خمودها ؟
فلتتركوا شأن المغيّب فى الثرى فهو الصحائف للزمان مجيدها
ليهبّ شعبٌ من متاهة شاردٍ يصلى العدا ناراً تئزّ رعودها

☆ ☆ ☆

فالنقد فى ضيم الحياة وشؤمها بالهون يقعد إن وعاه عبيدها
ما كانت الأحزان منبر شائدٍ يعلى الكرامة فى الشعوب رشيدها
إن الحياة هى الحياة تداولا تُطوى وتنشر لا يُفل حديدُها
تبدى الصلابة فى تشامخ قدرةٍ بالبأس تومئُ أن يسير حشودها
والحر من لا يستكين للوعةٍ فيصارع الأهوال وهو مبيدها
يلقى العزائم للثقات ذخيرة ويرى الشجاعة فى الجيوش تقودها
فبكل ما يفدى السلام ويقتنى تعلو الجدارة ، والصمود يسودها
فعلى الشهامة مجد مصر معوّلٌ كيما يُقلّد بالمهابة جيدُها
مهما يغالى الثأر وهو مساومٌ بالتضحيات رنا إليه مزيدها
يهدى الثمين إلى الجحافل باسماً والمجد يهرع كى يُجدَّدَ عيدُها

☆ ☆ ☆

والنصر يوقد للشهيد منارةً ينساب كالطود الرسىّ جديدها
والفخر يُكبِر للعروبة رعيها ثأراً يصان فتستفيض جهودها
ولإذا رحيق النصر بعد مهانة يسخو فيرتشف العذوبة صيدها[1]

---

(١) علية القوم

لا فض يوماً ما يحصن شعلة　　بالثأر تسطع والجهـــاد قصيدها
فالموت والأقدار رغبة خالقٍ　　مهما تحجّب فى الدنا مقصودها
خط البداءة والنهاية منحة　　فى العائشين مدى الدهور يزيدها
والحى يعصمه التحفظ من أسى　　عند النوازل كى يحدّ وعيدها
والصبر فى فحوى المقدّر خشية　　ترضى القدير له العلا ورصيدها
ليميـــذ من لاقى القضاء مطاطئاً　　هام الخشوع ليستلين جمـــودها[1]
والحزن ينأى ، واللهيب ، وحرقة　　وعذاب نفس إن أهاج جحودها

* * *

فلتسمعى يا مصر قاطبة معى　　إن العلا للمفتدين نضيدها[2]
والخلد يسخو بالرياض رحيبة　　فهى الملاذ ، لذى الرجاء عتيدها
والمنتهى نصب العيون وجنة　　والمستحب لدى النجيب رغيـــدها
والمتقون بعدّهم وعديدهم　　يخشـون يوماً أن يضيم صـدودها
فتعاف متعتهـا النفوس وترتضى　　نُعمى التحرر ، لو يكفّ وريدها
والروح ترتقب المنال بخالقٍ　　حيث النعيم جزاؤها وسـعودها

* * *

فاسـتهدفوا الأمجاد يقبـل نصرها　　والنصر فى دنيا الجهاد فريدها
وادعوا الجيوش لصد غائلة العـدا　　وعلى البسالة فليمدّ صمودها
وليستعرْ ثأرٌ لأقدس غايةٍ　　يعـلى اللواء إلى العنان أسـودها
فالشرق فى الحرب الضروس مغامر　　رغم الفواجع ، والشـهيد وقودها
والثأر أجّج للتأهب شعلة　　بين الحنايا ، والحماس عميدها

(١) جود الهام أى الرأس .　　(٢) المنضود بعضه فوق بعض .

٩ - ثورة الجهاد

(أمليت بعد أحداث يونية ١٩٦٧ لاستنهاض الهمم)

فلك الجهاد أخا العروبة معتَصَمْ فاركن إلى حصن العزيمة والهمم

واجعل ملاذك بالقدير مناصراً فالعدل طوفان سيهلك من ظَلَمْ

ما خاب فألَ إن تريث ثائرٌ فاصبر على جور الزمان إذا اختصم

وارقب غداة تثور ثائرة الوغى تحيى البطولة للأمين إذا اعتزم

والثأر أقدس ما يلوِّح داعياً نجبَ الفوارس للنضال إذا احتدم

* * *

يالائما ، وصروف دهرك قلَّبَ خلٍّ الملامة والعقوبة والندم

لا كان هَوْنٌ يستذل من اعتلا متنَ المهابة والأصالة والكرم

فالحر يكتسح المغير بوثبةٍ تبنى وترفع للشوامخ ما انهدم

والشرق من جلل النوائب قد صحا واشتد فى محو البغيض من النِقم

نادَى الأخوة فى العروبة هاتفاً جرح الفواجع بالتضامن يلتئم

فلتسبروا غور الزمان إذا اعتدى واستخلصوا الحق السليب من الضيم

لاتجزعوا، شدوا السواعد وحدةً تجتاح غمة ما أحاق من الظُلَمْ

أعلوا اليقين بأن مصر على المدى ردت على العَقِبِ المغيرَ لتنتقم

* * *

أرض الكنانة يا حفىٌّ بمجدها أطوالها أبداً مقابر من صَدَمْ

هيهات ذرةُ من رمال سهولها يوماً تهون وفى الحمى قطرات دَمْ

هُبّوا ليوثَ النيل إن عرينكم   يعصى اقتحامه إن توهم من حلمْ
أنتم جبابرة الزمان فحكّموا   ظفراً ونابا فى رقاب من اقتحم
صونُ الكرامة والشهامة واجبٌ   وقفٌ على آل العروبة يُلتزم
فاليوم فى ركب الزمان حضارة   بالعزم تخلد ، والبطولة والشمم
والشرق يفخر والعروبة وحدة   إن التفوق بالتضامن قد رسم
والشرق قد أعلا اليقين بحكمةٍ   سارت هداية من تظلم واحتكم

* * *

سرد المظالم للخلىِّ مذلةٌ   فلتحذروا مسرى التأوه والألم
والله حقٌ ، للمغلَّب منصفٌ   يرعى بناة السد فى أرض الهرم
فاستمسكوا بالنصر وهو حليفكم   واستبسلوا بالجهد كى يُعلى العَلَمْ
فوق السليب من المقادس[1] والحمى   عَلَمٌ يلوّح بالصدارة فى القمم
واتثأروا آل العروبة تمّحِ   ويلات غدرٍ أمطرتنا كل هم
هبوا إبثورة مستميتٍ يفتدى   أرض العروبة من معاثر من دَهَم
والثأر نارٌ إن خبت بلهيبها   فغداً يثار أوارها كى تحتدم
والثأر عهدٌ لا يهون وفاؤه   كل النفوس له الفداء بلا ندم
تالله لن نرضى الهزيمة إن بَغَى   خَرِبُ الضمائر ، فالمغير له العدم
صونوا الزمام محصناً بنيانه   صونوا فلسطين الحبيبة من وَجَمَ

* * *

يامصر ما جرت الكوارث فى الوغى   فالحرب ما رسمت ولا أرست قدمْ

---

(١) الأماكن المقدسة .

لـكن أغار المعتدون بغدرهم ... ألقوا بصاعقة الخيانة كالحمم

بالريبة الرعناء حِيـك تآمرٌ ... سراً تركز بالمهانة فى الذمم

لو أعلنوا الحرب الجهار لأيقنوا ... ما فى العروبة من فوارس تُحترَمْ

ولأيقنوا أن الجنود ببطشهم ... كلٌ كشمشون القوىِّ المنتقم

لـكن وحق دم الشهيد مقدّساً ... أو من تغيّب فى الحفائر بالسَدَم(١)

حتماً سنسحق بالصواعق عادياً ... ونقول : ذا شأن القضاء وما حَكَم

فالـكأس علقمها المميت لمن بغوا ... ومَنِ استهانوا بالنوازل فى الأمم

* * *

والدهر -إسرائيل- يقسم فى الورى ... إنا على حقٍ ، ويمعن فى القَسم

واُلبطُلُ فيـكم بالمظالم شائعٌ ... فلقد بُليتم بالخيانة من قِدَم

يا آل صهيونَ الذين بغدرهم ... فى خسَّةٍ عادوا السلام لينعدم

للآدمية قد أساء وجـودكم ... جاوزتمُ الأفعى ، وشيطاناً رُجِم

خلقٌ تدهور فى الخبال كيانه ... حتى تناثرت المـكارم فى الرَطَمَ(٢)

أنتمْ كأمسٍ ، والضمائر لم تزل ... فى الغى سادرة كأشباح العدم

عاهدتم الطغيان يعبث مثلـكم ... بالأمن فى مهد السلام فلم ينم

أجليتمُ الأفواج عن أوطانها ... دون اكتراثٍ بالرضيع وبالهَرِم

يا هَوْلَ ما أصليتموهم من لظى ... ويل لـكم ، ماحنَّ قلب أورَحِم

كانوا بأمنٍ سالمـين بدورهم ... هم أبرياءٌ ما جنوا شراً وصمْ

---

(١) السدم : الغيظ مع الحزن .

(٢) الرطم : الوحل .

صانوا الترابط بالاخاء موحداً يوحى بحبٍ بالتراحم يلتحم
فليشهدوا موسى الكليم بغدر مَن خانوا الشريعة والمشرع والقيم
واستمطروا اللعنات فوق رؤوسهم فالغدر باستهتارهم جَلَبَ النقم
فقلوبهم بغلاظةٍ قد حُجِّرت والقسوة اختطت لسمعهم الصمم
واستمرأوا سطواً يبيح محرَّماً فى القدس، فى حرز المناعة والنعم
فالقدس محراب لطيب عبادة بالحق تُنطِق بالأمانة كل فم

* * *

لا والذى رضى الجلال بقدرة تسمو بطهرٍ فى العبادة والنَغَمْ
إن العروبة بالتضامن أقسمتْ للثأر تقـــدم بالجهاد المنتظم
والحزم يشهد للنضال بيقظةٍ بين البواسل للتمسك بالقَسَم
والشرق يرقب بالغداة بطولة إعجازها يقصى المرارة والسقم
والعلقم القاضى[1] يُصَبّ لمعتدٍ فى الكأس يلعق ما يرسّبه النهم
واليوم يقرب يا غزاة لتوقنوا أن العـروبة بالتفوق تتسم

* * *

وعلى الأصالة فى الشعوب وعمرها ترسى القواعد كى تسود وتنتقم
ترنو إلى ثأر يؤجج حملة تسمو بقدرة من تيقظ واعتزم
كالسهم يطلق بالبسالة ناقماً مستعذباً حتى الخطورة والألم
يبنى على أمل يؤلق المدى نظر الحق لبعث نور من ظُلم
والروح ترخص والنفيس وذخرها يُعلى ويصلح بالجدارة ما هُدِم
يفنى ليخلدَ للعروبة مجدها والغيب يهدى الحق نصراً يقتحم
فالنصر أصدق ما يلوذ بثائر يرمى الحقوق قوية لا تنهزم

---

(١) القاضى : القاتل

١٠ – ثورة الزنوج

(أمليت بمناسبة ما نشر فى الجرائد المصرية بتاريخ ٢٩/٧/١٩٦٧ (عقب النكسة بثلاثة أسابيع) عن ثورة الزنوج فى أمريكا وإشعالهم الحرائق فى عدة أماكن فى « ديترويت » و « واشنطون » وغيرهما احتجاجاً على التفرقة العنصرية ، وكان زعيمهم يدعى ستوكلى كارميكل) .

الله أكــــبر والميزان قد نُصبا ... يرمى العدالة فى الآنام لا عجبا

بالأمس «جونسون» قدآذيت من أمنوا ... واليوم دهرك سام العسف والنصبا

من « دترويت » أتاك الرعب من حمم ... ألقى الزنوج بهـــــا عمداً لتلتهبا

بالأمس عشت على الإتلاف فى أممٍ ... لا غاية فهموا ، أو أدركوا سببا

فالغدر شيمتـــك الرعناء فى صلف ... ترمى وتوقع فى الأشراك من نشبا[1]

كنت المبرر للغايات إن عَسُرَت ... تدنى الوسيلة باستبداد من رغبا

كم ذا نصبت شراك اللؤم فى خدَع ... تُغرى وتوقع فى المحظور من قربا

والهمّ عندك لو يعصاك ذو شمم ... يهدى الكرامة للأوطان منتسبا

تلْقَى الزمام لدرء الغيظ منطلقا ... والكيد يقذف ما يبدى به الغضبا

كالذئب كشّر عن أنياب مفترسٍ ... إن خاب مقصده لاهتاج وانقلبا

* * *

« جونسون » وأقسمُ بالرحمن فى ورَع ... بالأمس شئت لوادى النيل منقلبا

من غدرك السُعُر الفتاكة انتشرت ... تصلى الديار ، فبات الشعب مضطربا

---

(١) علق به أو وقع فيما لا مخلص منه .

(٢) السعر : النار.

قد كان فألك أن الشعب فى فزعٍ ... يلقى السلاح فيؤذى النيل والعربا

شئت المهانة كى يرتدّ ذا خورٍ ... بين الصفوف يقيم الرعب والشغبا

دبّرت للنيـل ظلماً ضربة رسمت ... تقصى الإباء ليبقى الشعب مغـتربا

قد خاب فألك فى الأيام إذ هرعت ... كل الشعوب تحـيّى المجد كى يثبـا

لن نستـكين وفى الأحرار حافزةٌ ... تهدى الفوارس عزماً كان مرتقباً

* * *

شئتم لمصرَ الذى أحقـادكم وسعت ... والشعب أدرك ما فى غدركم فأبى

عثتم فساداً على أرضٍ محرمـة ... والشعب يرفض أن تقصى وتغتصبا

والـكل أقسم أن يحيا لنصرتهـا ... ما فى العروبة من بالنـكسة اضطربا

فالمجـــد فى شمم حيّا وعاهدنا ... بالنصر ! أ كد أن الموعـد اقـتربا

جونسون أفق ففعال المـرء عائدة ... يوماً عليـه تحط الأصـل والنسبا

بغياً جنيتَ وجئت الشر عن كثبٍ ... والحق عنك وعن أرجائك احتجبا

ما كان ظنك والأيام غادرة ... أن الأمان يفوق الدر والذهبا

ما بال شعبك «جونسون» ناره اشتعلت ... تجتاح بالثورات القش والقصبا

أنت الملوم وقد مزقت أفئدة ... بين الزنوج وما راعيت من وهبـا

* * *

هذا اعترافك والأقوال شاهدةٌ ... طىّ الصحائف والإعلان ما شطبا

فرقتَ بين جلود الشعب وأسـفا ... والظلم صـوّر فى أحيـائـكم شُعَبَا

أشعرت أسود أن الأبيض ارتفعت ... فى الحىّ مرتبةٌ تعـلى له اللقبـا

طال الزمان وما أنصفت من عَنَت ... والـكيل فاض بملء الغيظ فانسكبا

أضحى الزنوج هشيماً مالهم سَنَدٌ ... والمرء أصبح فى أوطانه الذنبا

حتى أفقت ونار الثأر عاصفة … في « دترويت » وقصف الحي قد نشبا
باتت حطاماً وبالثوار في هرج … قد دمروا بقوى التخريب ما صَلُبا
حاولت وقف سيول الثأر مرتبكاً … فخان سعيك من أعليتهم رتبا
ونساب في « أمريكا » الرعب منتشراً … طولا وعرضاً فأمنْ الشعب قد غَرُبا
هم يذكرون حقوق السود مهدرة … واليوم أسْوَدُ جاء الحق مغتصبا
هددت قومك بالتنكيل فانقلبت … أوضاع حكمك ، والتهديد قد نَضُبا
والسود قد شهروا بالحق أسلحة … قالوا : السلاح يصون العز والحسبا
نبغي المساواة لا نرضى بتفرقة … أو فلنمت بسبيل الحق إن سُلبا
لكن سنحرق « واشنطن » بما وسعت … من ظالم وعن الإنصاف قد عصبا
والتضحيات غدت للقول شاهدة … شب الحريق يبيد اليبس والرطبا

* * *

«جونسون» بقدرتكم «فيتنام» قد فزعت … أين اقتدارك في « دترويت » كي يثبا ؟
قل للزنوج : أنا القهار فارتدعوا … أدبّ ببطشك من الأمن قد سلبا !
قد طاش سهمك في الأوطان فانبعثت … صيحات ذعرك تدعو الله يا عجبا
لكن خُذلت ، فمن للثأر قد نزحوا … ألقوا القنابل والأحجار والحصبا(١)
إن العدالة بين الناس منصفة … وفق الشرائع تعطى الحي ما وُهبا
أعلت زعامة « كارمايكلْ » بلا حرج … خلّى المظالم في « أمريكَ » وانسحبا(٢)
فتتعظ «جونسونْ» فالأكوان في عجب … ممن غبنته بالمكروه فاغتربا
أنصف شعوبك علّ الله يرحمكم … من شر خطب على فيتنام قد سكبا
قلف دون بطشك واحذر في مسالكه … عقبى الغرور ، فعدل الله قد نُصبا
هيهات يفلت مَن يُمناه قد خنقت … مسرى الحياة لشعب بات مضطربا
لا يخدعنّك ظلمٌ أنت شائده … تبنى عليه خيال الحكم منتصبا
فالدهر يعصف يا جونسون وذو خدعٍ … فارهب خبيئته إن عاد وانقلبا !
واخشَ المغبة لو ترديك في لجج … سعّرتها بلهيب كثف اللهبا

---

(١) الحصى : الحصبا . وحذفت الهمزة للشعر .
(٢) الإشارة إلى ستوكلي كارمايكل زعيم حركة « السلطة السوداء » ، وقد غادر بلاده منسحباً منها في ذلك الحين ، خشية الاعتداء عليه .

١١ — مأساة أبى زعبل

(أمليت فى أوائل سنة ١٩٧٠ بمناسبة حادث أبى زعبل المشئوم عندما ألقى العدو الباغى قنابله الغادرة على مصانع «شركة الصناعات المعدنية» فقتل أكثر من مائة من العمال الأبرياء بخلاف الجرحى والمصابين من المدنيين) :

يا غيلة[١] وصمت صهيون بالعطب ويح المحرّم إن يحلُ لمغتصب
إن المهانة إسرائيل شائنة فتهيّبى غدراً من دون ما سبب
سقت الضمائر كالأنعام سادرة[٢] والغدر بيّت بالإسفاف والريب
هذا شراع لسيف البغى يشرعه ربّ الدمار لنشر الرعب والوَصَب[٣]
يا ويلة لهوى الأنذال من شطط ساق الفساد لما يرجون من أرب
ألغوا العقول فبات الوعى مندثراً صارت ضمائرهم بالحقد فى خرب
هم يرقمون[٤] أمان العيش فى عبث ما قدروا نزقاً يرتد بالعقب
ليس الغريب بما يرسون من خلل هم للدمار على الأيام بالنوب

* * *

قد أمطروك « أبا زعبل » بوابلهم ناراً تذيب من « النابلم » منسكب
جاءوا الرجال وهم أبطال مهنتهم فى غفلة ، وقلوب الحى فى طرب
كانوا مغاوير فى ميدان مصنعهم خُلاق الأمانة دفّاع على الدأب[٥]

---

(١) غيلة خديعة .
(٢) سادرة : لا تبالى بما تصنع .
(٣) الوصب : المرض والوجع .
(٤) رقم : كتب، خطط .
(٥) الدأب : الجد والاستمرار فى العمل .

حيوا النهار بإصباح كما عهـــدوا أمن الزمان لهم قد جاء بالرحب[١]

كل يؤمل فى الدنيا بنائلةٍ بالبشر تومض بعد الـكد والنصب

كالوا الشجاعة والإقدام ما وهنت فيهم عزائم فالإنتاج بالأهب

أعلوا اليقين بأن النصر مرتهـــن بالجد حيث مصـــير الحق لم يخب

والخصم رَوّع إذ فاقت مصانعنا فاهتاج ينذر بالويلات والـكرب

وانساب يحصد فى الأحياء إذ مُنيَت أرواح تزهق بالتحطيم واللهب

* * *

ظن المخرِّب أن الهول رادعنا يأتى على شممٍ فى جبهة العرب

أو علّه ارتقب الإعياء من حَزَنٍ يثنى العزائم كى ترضى بمنقلب !

لـكنّ فألك اسرائيل من عنت قد خاب ، فارتقبى الخذلان وانسجبى

إن الرجال بوادى النيل صاعقـــةٌ تنقضّ تقصم ما سنّدت من خشُب

الـكل يوقن أن الموت منصفةٌ يوم الحساب تفى المظلوم بالوهب

فالموت من قَدَر الأحياء ما وُجدوا لا خوف من فزع اللقيا لمرتقب

مادام بين ضلوع المرء من رمق[٢] حتى الحشاشة[٣] تحيا الروح بالرغَب[٤]

الـكل تَيّم بالمولى وقدرته كم ذا بصمت يناغى الحبَّ بالأدب

والله ينصت للملهوف مرتضياً بث الحنان لذى الإخلاص فى الطلب

* * *

يا آل مصر دعاة الحق من أزلٍ الموت حتمٌ ، ولا يحتاج للهرب

---

(١) الرحب : متسع من الأرض .

(٢) رمق : بقية الحياة .

(٣) الحشاشة : بقية الروح فى المريض والجريح .

(٤) الرغب: الابتهال والتضرع لله .

فهو السبيل للقيا الله فى لهف ... وهو الحبيب ومن يهواه لم يَهَب[1]

إن الرجاء بحب الله داعيةٌ ... للسعد يحصده التواق إن يثب

والموت يفتح للجنات موصدَها ... فهى الحصانة قد مدت لمغترب

فيها المثوبة بالهفهاف من دُرر ... ترضى الشهيد إذا ما اغتيل بالنوَب

عقبى تجفف دمعاً سال ماطره ... تدعو الأيائم[2] للإقلال من شجب[3]

* * *

والموت إن وَثِقَ اللوامُ فى أجل ... يقضى بأقدارٍ من لاقاه بالرُحَب[4]

فالصبر من لدن الرحمن شافٍ ، به ... ينجو الثكالى من إظلامة العُصَب[5]

والمؤمنون من الأعراب قد علموا ... مثوى الشهيد من التكريم والرتب

الكل جندٌ لدى الأهوال داهية ... يصلى العدا بسهام السخط والنشب

والعون من قمم العلياء ناصرهم ... عند التجارب بالمقذوف والشُهُب

هم كالضياغم والأعداء أخيلة ... يفنون إن قذف الأعراب بالحرَب[6]

* * *

إن العروبة تفـــدى النصر راغبة ... مهما تكاثرت الأعداء بالنصَب

فلتخسئى كداً صهيون وارتقبى ... كسحاً بعاصف مهما ارتدت من صَلَب[7]

إن الكرامة فى الأزمان عائدة ... تهدى العروبة مجداً فاق بالسَبَب

فهو الأمانة صان الدهر بارقها ... نصراً لمصر رعاه الحق فى حجب

فلتصمدوا فتية الأهرام قاطبة ... ولتثأروا بقوى فوّارة الغضب

حتى يقال : قرار النصر فى نغـــم ... أشهى الودائع قد ردت لمحتسب[8]

---

(١) لم يهب : لم يخف . (٢) الأيائم : الأرامل . (٣) شجب : حزن :

(٤) الرحب : الدعاء بالترحيب أصلها رحب وحركت للشعر .

(٥) العصب : جمع عصبة وهى رباط للرأس أو للعين .

(٦) الحرب : الهلاك والويل . (٧) صلب : ما صلب من الأرض .

(٨) محتسب : من فقد كبيراً .

١٢ ـ مأساة الطفولة

(أمليت فى سنة ١٩٧٠ بمناسبة حادث مدرسة بحر البقر المشئوم ، حين ألقى العدو الغادر قنابله المدمرة على مدرسة للأطفال ، فقتل منهم العشرات بلا ذنب ولا جريرة) :

إلامَ البغى فى صلفٍ إلامَ　　وتدمير يحطـم ما استقاما ؟
أإسرائيل يا مأوى الأفاعى　　«أبوزعبل» أما تكفى طعاما؟ ![1]
نسلتم كأصلال البوادى[2]　　بسم الحقد تشرون[3] الزؤاما
أما روَّعتمُ العمال عسفاً　　وأزهقتم وجودهمُ فغاما ؟
أما كان الضمـــــير لـكم رقيباً　　لتحذيرٍ ، فلا يَشقَى اليتامى ؟
هو الغدر المبيّت مستباحٌ　　بنار الغيظ قد فل السلاما

＊ ＊ ＊

شقيتم من صمـود جنود مصر　　ومن صانوا مواقفهم عظاما[4]
فصقتم بالبطولة فى حمانا　　وأشبعتم أبا زعبلْ ضراما
وأوليتم سرائركم سواداً　　يمرِّف فى ضمائركم سقاما
وأنـكرت الشعوب ذميم فعل　　من الخَبَل المخـل ، وما أساما
وشئتم الاســتزادة من جنـون　　فرمتم من طفولتنا انتقاما
ورحتم للمدارس قاذفيها　　ودور العـلم كم أعلت كراما
تزَالَى الهـدم والتحطيم رجماً　　بأكوام القنابل يا لئاما

---

(١) الإشارة إلى الحادثة المماثلة موضوع القصيدة السابقة .
(٢) كأفاعى البادية ۰ (٣) تنشرون ۰ (٤) وهم بحالة أعاظم القوم ۰

هدمتم ما تكرّس للمعالى وما للنشء أبقيتم مقاما
دككتم ما نويتم أن يُوَارَى وفى « بحر البَقَر » أضحى ركاما

* * *

أيا جدران مدرسة توارت لقد شاء الصغار بك اعتصاما
ألم يدرِ المغير بما حوته وقد ضاق البناء بهم زحاما
لقد ظنوا المدارس خير حصنٍ وفى أمن ينالون المراما
وأمّوا الدار يبغون احتماءً وقد ظنوا النجاة بها التزاما
زهور جمّعتهم خير دار وراموا العلم يأبون الفطاما
طهور كل قلب ليس يدرى مثار الهم ، أو يعصى الذماما[1]

* * *

وكم بعد التناثر من غيابٍ لأحلام ، فلم تدبرك قواما
خلت دورٌ وناح قاصدوها ولحن الشجو غيّب الابتساما
هى الأكباد مزقها غشومٌ غدت أشلاء تلعن من تعامى
وكم شُقّت صدور من صراح أراح الصبر وانتزع المناما
وأحنى الهم أصلاباً تهاوت فبعد الشكل قد باتوا عقاما[2]
خبا المأمول من إدراك مرمى بحىٍّ لم يكن يرضى الظلاما

* * *

ترى تدرين إسرائيل معنى لوحش جاء يفترس الغلاما ،

---

(١) الذمام : الحق (٢) باتوا رجالا لا ينجبون أطفالا .

هو الشؤم البغيض سطا بغدر	وحقد مُفرِغاً بالسحق جاما(١)
لُعنتم شعب إسرائيل ، تباً	لمن قتل البلابل واليماما
ترى هل أرهبوكم فى قتال ؟	وهل قذفوا القنابل والسهاما ؟
صغارٌ همْ قطا(٢) الروض الضحايا	قتلتم كم بلا ذنبٍ ، حراما ؟
تجنيتم كسفّاح تغابى	وللرحمن عينٌ لن تناما
أما بين الجناة أبٌ رحيم	يخاف الله أو يخشى الملاما ؟
هى الوحشية الحمقاء فيكم	وطبع الوحش لا يهوى الوئاما
أما عُرِّفتُم قولا حكيماً	يقال اليوم من علم القدامى
إذا الباغى طغى ظلماً وغدراً	كذا لابد يوماً أن يُضاما ؟

* * *

هى المأساة للتاريخ تروى	ورد الفعل محتومٌ تماما
فيا صحبى عزاء فى جليل	ويا « بحرَ البقرْ » قوِّ الزماما
فأشلاء الطفولة من غروس	دماء الطهر أروتها احتراما
ففى الجنات هم باقات زهر	بطيب الخلد قد بلغوا المراما
غداً تنمو جبابرة تعد	لسحق الخصم كى يُذرى حطاما
ففى كل الصدور غدوا حماساً	لدى الثوار عملاقاً أقاما
مُصِراً أن يقدّس بانتقام	دماء ذكرها يبقى دواما
وما غير الحماس بكل حزم	يهيمن إن رَمَى النّصر اللثاما
ونور الحق يشرق فى إباء	يقوِّى من تعشّق واستهاما
وللأوطان أن تفدَى ليعلِى	جمال النيل فى مصر الهياما

(١) مفرغاً بالسحق كأسا .	(٢) جمع قطاة : طيور بحجم الحمام.

١٣ – رد على خطاب

(أبيات رقيقة أملاها الروح فى سنة ١٩٦٨ بناء على طلب السيدة الوسيطة التى أرادت أن ترد على خطاب كان قد وصلها حديثاً من أحد أنجالها الغائبين فى الخارج يذكرها فيه بمضى عامين على غيابه .. فاستجاب الروح مرتجلا الأبيات العذبة الآتية لـكى ترد بها شعراً لا نثراً ! !)

يا حبيبى لا تعـدِّد لى السنينا   بافتراقٍ قد أذاب الصـبر فينا

إن تلك الأيام دهراً يا حبيبى   لا تقل إنّا سـلونا أو نسينا

إنما نحيا على ذكرى عهودٍ   وارفاتِ الظل تبقى ما حيينا

كم حسبنا الصفو فى اللقيا دواماً   دون همٍّ من فراقٍ يعترينا !

كم رغبنا فى جمال القرب نحيا   نرتجى للوّد إخـلاداً يقينا[1]

حيثما شئنا ائتلاف الحب يسمو   بازدهار العيش خفّاقاً أمينا

آه مما قد بنينـــا من قصور   من أمانى الوهم خلناها يقينا[2]

* * *

ليت أيام التدانى أمهلتنا   دون بعدٍ قد أثار الشجو فينا

غير أن الدهر يغتال التمنى   باختصامٍ ، مستخفاً ما هوينا

منشباً سهم الأعادى فى زمامٍ   راعـه هجرٌ مغيرٌ كم خشينا

وانتهى عهْدٌ رعيناه اختيالا   فى حمى اللقيا فلم يصبح رصيناً

لوعتى مما ارتضينا من فراقٍ   كان فى المجهول متلافاً دفينا

---

(١) من وقى يقى .

(٢) صدقا .

فانبرى يخطو ثقيل الظل فظّاً　　في قفار البعد لم يستبقِ لينا
بل رمى قلباً حبيباً في جفاء　　واحتوى الشكوى صموتاً مستهينا

* * *

يالظى الوجدان من شجو الندامى　　قسوة البعد استزادتهم حنينا
ناشدوا السلوان في سهد الليالي　　يذرفون الدمع مدراراً سخينا
يا حبيبي غاض في الصدر التأسي　　نحن من جرح افتراقٍ ما شفينا
بل شقاء البعد أفنانا التياعاً　　ربنا لطفاً ، فإنا قد فنينا
ياسنين البعد ! آهٍ من جفاءٍ　　آهِ للأكباد منها ما بقينا
باتضاعٍ يا إله الكون أدعو　　من لظى بُعدٍ وشوقٍ ، كن معينا
أهدنا يوماً إلهي رىً صاد　　حين نلقى الابن دوماً آمنينا

١٤ — عدل أم قدر ؟

(أبيات أمليت فى أبريل سنة ١٩٧٠ بناء على سؤال رأى الدكتور رؤوف عبيد توجيهه إلى الروح وهو : هل تؤمن بالتسيير أم بالتخيير ؟ بالعدل أم بالقدر ؟[١] فكان الجواب بهذه الأبيات اللبقة المليئة بالحكمة) : —

حذق الفطين يرى النجاح مناصرا وعياً تعمق فى البحوث مثابرا

والقلب إذ يحدو الفراسة دائباً فى البحث يحكم بالهوادة ظافرا

كم ذا أشاع النور من قشع الدجى بالكشف عن حق أضاء مصائرا

والعلم فى دعم البيان مناصرٌ فترى الشغوف إلى الدراية سائرا

يجتاز فى شعب الثقافة هائماً يرجو المنَّع أن يلوح مبادرا

فإذا االغيوب عن الروائع أفصحت نال العلاء مساجلا ومناظرا

* * *

لا فُضَّ نهجك فى مباراة الحجى بالفهم يسمق كى يعوق جاسرا[٢]

واعلم بحقك ما الشجىّ بموقن من كنهه[٣] من يخفى الحقائق ساترا

إلا يسيراً من صميم يرتجى لو طوَّع العرفان صوتاً صاغرا

هذا الصميم هو المصائر غُلِّفت دون المنقب لو يكب مثابرا

فالسعى يقصد فى مسايرة المدى والمرء يضرب فى المتيهة[٤] حائرا

ما بين عدل يقتضيه تفاضلُ يهدى السوى فيستميت مباشرا[٥]

---

(١) وكان ذلك بمناسبة انشغاله فى هذا الوقت بإنجاز كتاب عن « التسيير والتخيير بين الفلسفة العامة وفلسفة القانون » .

(٢) جسور أعلى الحق . (٣) جوهر الشىء

(٤) المتيهة : أرض تضل الناس كثيراً. (٥) متوليا الأمر بنفسه .

أو بين ما يلقاه من قَدَر العلا من موجبٍ أن يستكين مسايرا
وذوو النهى راموا المؤيد حافزاً علّ الحقيقة أن تقوِّم خائرا

* * *

جاءوا التساؤل: هل يُثقَل كاهلٌ إن خط جرماً، أو توثب جائرا ؟
هل للقضاء وللعقوبة قاسط[1] يجتاح من وفّى الجريرة ضائرا ؟[2]
أم تلك أقدارٌ وليس لحيلةٍ عند اقتراف أن تؤرّق عاثرا ؟
هذا التساؤل فى مجابهة الورى أعيا الفكر فاحصاً ومسافرا
فإذا التعـلة فى الفعال تباينت فى أيها يُرجى لينصف عابرا ؟
ويح الخواطر بالتكهن بُلبلَت دون اليقين وقد حسبن عواقرا
وعلى عواهنها المدارك ترتمى فيرى الوميض على التشكك نادرا
والناس فى شوط الحياة فعالهم تُحصى وتقلق غافلا أو ساهرا

* * *

لكنّ علياء الحقيقة أسفرت عن دُرّ ما يجلو الغيوب مؤازرا
وبعلم روحىَ قد أتيت بشاهدٍ هذا النظيم مبصّراً ومناصرا[3]
ببريقه الإيقان ينشر حازماً يهدى المضلَّل أو يبصّر سادرا[4]
فالعدل للتخيير خاتمة المنى وتسيِّرُ الأقدار حتى الآمرا[5]

---

(١) من قسطاس بمعنى ميزان .
(٢) اسم فاعل من ضر .
(٣) بما تمليه روحى أتيت بشاهد هو هذا الشعر .
(٤) سادراً : حائراً.
(٥) حتى من يصدر الأوامر مسير بالأقدار.

إن المسيَّر والمخيَّر وحدة ... في كل نفس لا تؤيد شاطرا[١]

والعدل مأمول القصاص لمن بغى ... عند احتكامٍ كي يهذب كاسرا

فالردع إن يهوَ المسيء تمادياً ... في البغي أو يعصَ السوى مكابرا

وعلى قرائنها الفعال شواهدٌ[٢] ... لتُعزَّ عدلا بالنزاهة وافرا

فالعدل أسٌّ للقويم مثبّتٌ ... لولا الإرادة ما توفر زاجرا

والفعل من نفس المخيَّر ما ارتأى ... للنفس خيراً ، أو أساء فخاسرا

والفعل بالتخيير بسطة مرتع ... بالحب والإيثار يشرق زاهرا

* * *

هيهات للتخيير ينكر واهمٌ ... فهو المغير على الأوائل آسرا

أوَ ما تمادى في العقوق برغبة ... جدُّ الخليقة إذ تخيّر قادرا ؟! [٣]

والعدل سَنَّ لمن يعق ويجترى ... أو من تهاون، أو تخوّد[٤] ماكرا

فعلى الرغيبة إن تنزه نبتها ... يحيا المخيَّر بالسلامة شاعرا

يتقبل الأقدار وهو مؤيد ... حكم المشيئة إن أتته بوادرا

يرتاد في التسيير بسمة شاكرٍ ... والله في العلياء يعصم شاكرا

ومن ارتضى الخلاق يعصم من أذى ... يلقَ المقدّر في الخليقة باهرا

فاق المدارك ما تحقق في الورى ... والفهم يسلك في التعرف قاصرا

* * *

(١) هذه الوحدة لا تؤيد من يقول بالفصل بينهما .

(٢) الأفعال لها ما يدل عليها من شواهد .

(٣) ألم يتماد آدم جد الخليقة في العصيان باختياره ؟

(٤) تمايل أو خالف .

أجواء آلام تُهد ومحنة تضنى فيصبح من تأزم نافرا

ما بين دمع الراضخين بآهة أوذوا بسهم قد تغلغل باترا

أو بين بسمات تعرّف منّةً وافت بنعماها الحظوظ تقاطرا

يشقى المدقق إن تجهم للعلا مستطلعاً فيمَ التلوّن ثائرا

فالحكم بالتسيير جلّ بما ارتضى علم المشيئة خاذلا أو ناصرا

فاخشوا المهيمن ذا الدراية واخشعوا فالله فى التسيير يكرم صابرا

لا تطلبوا رد القضاء وهادنوا لطفاً يخففُ إن تعطف عاذرا

هذى طبيعة كل نفس تتقى فإذا استجاب يعيش حراً قادرا

١٥ - إرضَ الحياة كما تجرى

(أبيات فى الحكمة أمليت فى ٥ نوفمبر ١٩٧٠ وهى أحدث أبياته)

فيمَ التبرم بالأقدار إن عبستْ ... والركب يذعن منساقاً لما رسمتْ ؟
منـــذ الخليقة والأجيال صاغرة ... تعنو لما رضيت ، والأمر ما قسمت
هيهات ردٌّ ، فلا حولَ لدى جلل ... إن أضمرت لو قوع الضرّ أو لذعت
والصبر يعصم من يرمى بغائلة ... أو نـكبة تخز(١) المغبون إن قذعت(٢)

* * *

والناس من هجمات الدهر مفزعة ... فالويل من شجَن الأيام إن قذفت
تالله ما صدمات الضـــيم غابرة ... دون التحرّش بالإنسان ما وسمت
تَشقى بظلمتها الأيام لاهية ... هيهات تدرك رمى السهم إن عبثت
تردى المغلّب(٣) إن عادى بلائمة ... أو من تذمر من محموم ما رجمت
فالدهر يقهر من يهجوه فى عتب ... تلك الدنا بلظى هيجانها انطبعت

* * *

يا لائماً : عَصَبَ العينين فى ظُلَمٍ ... والنفس فى خور بالشؤم قد برمت
ليل الفواجع إن يُرهِبْ برامية ... مهما الظلام تناهى إِرَّ ما نشرت
ينهار دامسُ سوء سام فى غضَبٍ ... من سهّدته صروف الدهر إذ غمَرت
والنور يشرق كالترياق منبعثاً ... صوب الرؤى ، وإذا أضواؤه انبلجت
كما تبـدِّد آهات فيعقبهـــا ... سِلْمٌ لنفس من الأرزاء قد وجمت

* * *

---

(١) تخز : تطعن .
(٢) قذع : سب ، رمى بالفحش .
(٣) المغلب : المغلوب مراراً .

إن الضياء بنور الفجر بارقة تجلو الحياة إذا الإظلامة انقشعت
تجلو تعاقب ما الأقدار قاضية والحى يحفظ للعلياء ما كتبت
والعيش تصحبه الآمال داعية كل القلوب تعلّى النهج إذ رُحمت
والفهم يدرك والأذهان واعيةٌ أن النفوس تنال العفو إن خشعت

* * *

«فارضَ الحياة كما تجرى »، وكن حذراً واخشَ التبرم بالدنيا إذا غدَرَت
تلقى الشتاء إذ الأنواء عاصفةٌ شأن الربيع إذ الألوان قد بهرت
وانهض بعزمك فى الأيام تملؤها بِشراً يخبِّر أن النفس قد رضيت
مهما تباينت الأحداث فارضَ بها صلب الإرادة إن تكسِر ، وإن جَبَرت
فهى الحياة لذى فهمٍ إذا وضحت هان العسير بما تبدى ، وما سترت

الباب الرابع

آراء أعلام الشعر والنقد والأدب

فى « الشوقيات » المملاة من عالم الغيب

(بترتيب أبجدى ، مع تلخيص التقارير التى سبق نشرها فى مطول « الإنسان روح لا جسد » الطبعة الثالثة، وعرض كامل للتقارير التى وصلت بعد صدوره) .

١ ـ رأى الأستاذ الدكتور ابراهيم أنيس

ـ سابقاً عميد كلية « دار العلوم » بجامعة القاهرة وأستاذ كرسى فقه اللغة العربية بها .

ـ عضو « مجمع اللغة العربية » .

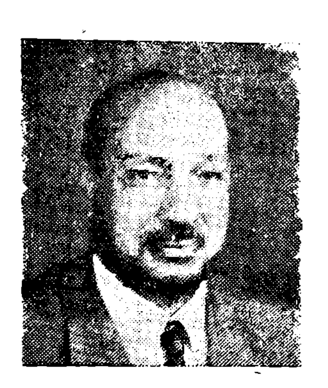
ـ صاحب عدد من المؤلفات القيمة فى اللغة والشعر مثل « الأصوات اللغوية » ، و « اللهجات العربية » ، و « موسيقى الشعر » ، و « أسرار اللغة » ، و « دلالة الألفاظ » ، و « مستقبل اللغة العربية المشتركة » ، و « اللغة بين القومية والعالمية » .

* * *

« رغب إلى الأستاذ الدكتور رءوف عبيد أن أبدى رأياً فى أشعار يقول إن سيدة يعرفها استطاعت الاتصال بروح أمير الشعراء « أحمد شوقى » فأملاها عليها أو أنشدها إياها . ومع أنى لست من رجال النقد الأدبى إذ تكاد تقتصر دراستى على الصوتيات واللغويات ، رأيت بعد تردد أن أدلى بدلوى فى الدلاء على قدر

ما يسمح به تخصصى المحدود . ذلك لأن لنقاد الأدب مقاييس اهتدوا إليها واستقرت عليها دراساتهم ، وهم يؤكدون لنا أن فى استطاعة الناقد الماهر أن يستكشف عن طريقها موقف النماذج الأدبية غير المنسوبة فينسبها لصاحبها .

ولست أزعم أن لى مثل هذه القدرة التى لهؤلاء النقاد لأنها تتطلب، فوق دراسة الشكل من وزن ونظام صوتى أموراً أخرى من حيث الأخيلة والصور هى ربما الهدف الحقيقى فى النص الأدبى ، ومع هذا لم أكد أفرغ من قراءة بعض هذه الأشعار ولا سيما تلك الملحمة الشعرية الطويلة التى تتألف من أكثر من مائتى بيت والتى عنوانها « هذا نداء الخلد يهتف عالياً » حتى أحسست من حيث موسيقى الشعر أن فيها بعض الخصائص التى نعرفها عن شعر أمير الشعراء فى أوزانه وموسيقاه . الملحمة من البحر الكامل وهو ما دلت إحصاءاتنا فى كتابى « موسيقى الشعر » على أنه الوزن الذى آثره شوقى فيما يقرب من ثلث شعره كله فى الشوقيات .



كذلك فى الملحمة بعض المطالع التى تتردد كثيراً فى شعر شوقى مثل ما جاء فى الملحمة :

« قم سائل الأزمان هل من مرتجى » فهو يشبه مطالع شوقى التى منها : —

١ — قال شوقى مخاطباً توت عنخ آمون :

قم سابق الساعة واسبق وعدها الأرض ضاقت عنك فاصدع غمدها

٢ — وقال فى قصيدة فى الأزهر : قم فى فم الدنيا وحى الأزهرا ! ...

٣ — وقال فى انتصار مصطفى كمال أتاتورك :

قم نادِ أنقرة وقل يهنيك ملكُ بنيت على سيوف بنيك

كذلك فى الملحمة بعض ملامح مما يسمى بالموسيقى الداخلية فى الأبيات وهى التى شغف بها شوقى فى كثير من شعره .

ومع هذا أشعر أن الحكم الحاسم القاطع يجب أن أتركه لأربابه من نقاد الأدب . وأشعر فى نفس الوقت أن ما ينادى به الدكتور رءوف عبيد من حقيقة العالم الروحى أمر يبعث على الغبطة ويستحق الثناء والتقدير ، فما أحوجنا لأمثال هذه الدعوة فى عالمنا المادى الذى تقاسى منه البشرية فى هذا العصر » .

٥ / ١١ / ١٩٧٠ ابراهيم انيس

٢ — من تقرير الأستاذ الدكتور أحمد الحوفى

— أستاذ الأدب العربى ورئيس قسم الدراسات الأدبية بكلية « دار العلوم » بجامعة القاهرة .

— عضو « المجلس الأعلى للشئون الإسلامية » .

— صاحب مؤلفات قيمة كثيرة فى شاعرية شوقى وهى « النسيب فى شعر شوقى » ، و « وطنية شوقى » ، و « الإسلام فى شعر شوقى » ، و « الاتجاه الروحى فى شعر شوقى » ، و « الحكمة بين المتنبى وشوقى » . . وغيرها من المؤلفات الطلية مثل « أدب السياسة فى العصر الأموى » ، و « المرأة فى الشعر الجاهلى » ، و « الغزل فى العصر الجاهلى » ، و « ابن خلدون » ، و « الزمخشرى » و « أبو حيان التوحيدى » وغيرها .

* * *

« بين هذه القصائد وشعر شوقى فى حياته بعض ملامح من التقارب . . . مثل : —

أولا : كثرة الصيغ الإنشائية من نداء وتعجب واستفهام وما يماثلها .

ثانياً : التوسع المجازى فى دلالة بعض الكلمات .

ثالثاً : رصانة بعض القوافى ورنانها .

رابعاً : طول النفس أحياناً .

خامساً : جزالة التعبير فى بعض الأبيات .

ثم يضيف التقرير بعد أن وجه بعض انتقادات هى فى تقديرى من نفس نوع الانتقادات التى وجهها بعض النقاد إلى الشوقيات المطبوعة، والتى تمثل محض أمور خلافية فى تذوق الشعر والأدب :—

« إن فى هذه القصائد ملامح من شعر شوقى صياغة ، وخيالا ، ورصانة فى القافية ، واسترعى نظرى أن بعض القصائد طويل . لكننى مع هذا فى عجب لأنكم تؤكدون أن السيدة الوسيطة لا تساعدها ثقافتها على قرض الشعر ، ولو أنها كانت هى المنشئة لهذا الشعر لعزته إلى نفسها لأن هذا أجدى عليها ، وأعظم فخاراً . كما أننى أعجب من أن يعنى شخص نفسه بمحاكاة شوقى فى قصائد كثيرة بعضها طويل ، وموضوعاتها متعددة ، وإننى إذا أعلن دهشتى أسجل فى صراحة وجلاء أن وراء هذا سراً لا أعلمه ، بل يعلمه الله جل شأنه مخرج الحى من الميت ومخرج الميت من الحى ، وخالق الأرواح وقابض الأرواح » .

١٩٦٧/٥/٧ أحمد الحوفى

٣ — رأى الأستاذ الدكتور أحمد الشايب

— سابقاً أستاذ كرسى الأدب العربى ووكيل « كلية الآداب » بجامعة القاهرة .

— « أستاذ كرسى الأدب العربى ووكيل كلية « دار العلوم » بجامعة القاهرة .

— صاحب مؤلفات قيمة كثيرة منها « الأسلوب » ، و « أصول النقد الأدبى » ، و « تاريخ الشعر السياسى » ، و « تاريخ النقائض فى الشعر العربى » ، وعدة أبحاث ومقالات : منها « شوقى فى الأندلس » ، و « دراسة أدب اللغة العربية بمصر » ، و« الجارم الشاعر » وغيرها .

• • •

« قرأت طائفة كافية من شعر شوقى صادرة عن روحه بعد وفاته .



وأرى أن هذا الشعر فيه روح شوقى التى كنت أتبينها وأنا أقرأ شعره الذى صدر عنه فى حياته ، ذلك فوق مافى شعره الروحى هذا من خصائص فنه : جزالة أسلوب ، وشيوع حكمة وتبتل إلى الله ، وحرص على صالح البشر ، وغضب على الباطل ، ونزعة وطنية وكأن شوقى فى مماته لا يزال يحمل رسالة الشعر السامية التى جاهد فى سبيلها حياً » .

٢٣ من مارس سنه ١٩٧٠ — احمد الشايب

٤ — تقرير الأستاذ المحترم العوضى الوكيل

— مدير عام « الجهاز المركزى للتنظيم والإدارة » .

— عضو بلجنة الشعر « بالمجلس الأعلى لرعاية الفنون والآداب والعلوم الاجتماعية » ، وبجمعيتى الشعراء والأدباء منذ تأسيسهما .

— شاعر معروف ، ومن أبرز أبناء مدرسة عباس العقاد ، ومن أكثر النقاد إلماماً بشاعرية شوقى ، واطلاعاً على خصائصها وأسرارها . دواوينه الشعرية : « أنفاس فى الظلام » (١٩٣٤) ، و « تحية الحياة » (١٩٣٥) ، و « أغانى الربيع » (١٩٣٩) ، و «أصداء بعيدة» (١٩٤٦) ، و «شَفَق» (١٩٥٩) ، « رسوم وشخصيات » (١٩٦٠) ، و « فراشات ونوار » (١٩٦٧) ، « أشعار إلى الله » (١٩٧٠) .

— حائز على جائزة المجمع اللغوى فى الشعر لسنة ١٩٦٤ ، وجائزة الدولة فى الشعر لسنة ١٩٦٩ ، ووسام العلوم والفنون من الطبقة الأولى فى سنة ١٩٧٠.

— أستاذ قديم للغة وللأدب ، وصاحب عدة مؤلفات أدبية قيمة منها : « مراجع فى أصول اللغة والآداب » (١٩٤٢) ، و «الشعر بين الجمود والتطور» (١٩٦٤) ، و « قيم ومعايير » (١٩٦٥) وغيرها ...

° • °

« السيد الأستاذ الدكتور رءوف عبيد

تلقيت بيد الشكر الطبعة الثالثة من مؤلفك القيم «الإنسان روح لا جسد» وقرأته بشغف واهتمام ، فألفيته دراسه مستفيضة عن عالم الروح ساندها علم واسع غزير ، ومنهج علمى متمكن .

وقد قرأت بأوفى عناية ، و بوجه خاص الفصل الثانى عشر من الجزء الأول وهو الذى يضم أشعاراً للمرحومين حفنى ناصف وأحمد شوقى ، وتأملت ملياً هذه الأشعار ، و إنى إذ أستجيب لطلب الصديق الشاعر خليل جرجس خليل فأدلى بالرأى فى نسبة هذه الأشعار إلى صاحبيها أقـدر تماماً أنى أتقدم بالشهادة أمام محكمة التاريخ الأدبى وأقدر قيمة هذه الشهادة : الأشعار المنسوبة إلى



أحمد شوقى تقوم بينها وبين أشعار شوقى فى شوقياته بأجزائها المختلفة مشابه كثيرة منها : —

١ — أن هذه الأشعار تتضمن من الألفـــاظ والتعبيرات ما تضمنته أشعار شوقى الأولى ، بمعنى أن هذه الأشعار التى أملتها روح شوقى أخذت من قاموس شوقى ولم تؤخذ من قاموس أحد سواه . وقراء الشعر ونقاده يعلمون أن لــكل شاعر كبير قاموساً من الألفاظ والأساليب قلما تخرج عنه ألفاظه وأساليبه .

٢ — أن موضوعات هذه الأشعار هى نفسها من قبيل الموضوعات التى كان شوقى ينظم شعره فيها ، ويدير قصائده عليها ،ومن ثم فهى — إلى جانب الألفاظ والأساليب — تقوم بمهمة الدلالة على نسب الشعر إلى قائله ، ولاتخطىء حتى النظرة العادية فى كشف صواب هذا النسب من خطئه ·

٣ — أن النقلة الذهنية بين البيت وما يليه فى هذه الأشعار التى أملتها روح شوقى تــكاد تطابق النقلة الذهنية عند شوقى لأنها تمثل عدم استيعاب المعانى واستقصائها ، والا كتفاء بالروابط الذهنية الظـاهرة بين أبيات القصيدة الواحدة ·

صحيح أن فى هذه الأشعار عيوباً ما كان شوقى فى حياته يقع فى مثلها ، وهى عيوب ترتبط بالنظم ، ولــكنها اقلتها محمولة على النقل ، كما أن بعض كتب المعاصرين الأحياء ودواوينهم يقع فيه من أخطـــاء الوزن — بسبب

المطبعة - مالا يمكن أن يقعوا فيه أو يتصور جهلهم بالوجه الصحيح فى شأنه[١] .

وقد يرى بعض النقاد أن الموسيقى فى بعض هذا الشعر أقل مستوى من موسيقى أشعار شوقى فى حياته لـكن هذا لا يجوز أن يكون سبيلا إلى الشك فى نسبة هذه الأشعار إلى روح شوقى ، ولدينا الدليل القوى الواضح ، لدينا أشعار لشوقى لاشك فى نسبتها إليه هى أشعاره التى لم يشأ أن ينشرها فى حياته لنزول مستواها الموسيقى قليلاً عن مستواه العادى ، وقد جاء من بعده من نشرها فى كتاب بعنوان « الشوقيات المجهولة » وهو يعنى المجهولة للناس ، ومعظم هذه الأشعار لا يرتفع مستواه الموسيقى إلى أشعار روح شوقى التى تضمنها كتاب الدكتور رءوف عبيد .

وأحب أن أقرر هنا أن محاولة تقليـــــد شاعر كبير ، متميز الأسلوب والتفـكير تعتبر مشكلة ضخمة بالنسبة لمن يحاول هذا التقليد ، وقد استطاع المرحوم محمد مصطفى حمام أن يقلد أشعار جميع شعراء العصر ، ولم نسمع أنه استطاع أن يقلد شوقى ، ولا أن يقول شعراً يمكن — حتى مع كثير من التساهل — أن ننسبه إلى شوقى .

وأخيراً فإن سيدة من أسرة كريمة هى زوج لرجل معروف ، وأم لرجال نابهين لا يجوز أن نقبل وصفها بالـكذب ، خصوصاً إذا تأكد لنا أن ثقافتها العربية محدودة جـــداً ، فإن طول النَفَس فى بعض القصائد — حتى بقطع النظر عن الناحية الفنية والموضوعية فيها — يحتاج إلى علم لغوى ضخم

(١) وذلك بالإضافة إلى ما سبق فى ص ٣٦ ، ٣٧ فى هذا الشان ، وأيضا ما ورد عن تعليل هذه الأخطاء فى الجزء الأول من كتاب «الإنسان روح لا جسد» ص٩٢٠ — ٩٢٣ .

حتى يمكن تكوين مئات من الكلمات على الروى الواحد دون خلل أو اضطراب .

ثم يضيف الأستاذ العلامة عن شعر المرحوم حفنى ناصف قائلا : —

« ولن نستطيع هنا أن نصنع ما صنعناه مع شعر شوقى ، فنقارن بين كلمات هذا الشعر وكلمات حفنى ناصف لنحدد الإطار اللفظى أو القاموسى لكلمات كل منهما ، لأن حفنى ناصف ليس من أولئك الشعراء الذين يمكن أن يقال فى حقهم إن لهم قاموساً من الكلمات مثل شكسبير فى الإنجليزية ، والمتنبى وشوقى فى العربية . وقصارانا أن نتلمس بعض الملامح المتشابهة فى الأفكار والألفاظ والعبارات .

وإذا نحن تلونا الأشعار التى وردت فى كتاب « الإنسان روح لاجسد » بإملاء حفنى ناصف وتلونا أشعاره التى نظمها حال حياته وجدنا تقارباً عجيباً بين الشعرين ، فكلاهما يصدر عن ملكة لغوية ونحوية وصرفية أكثر مما يصدر عن ملكة فنية ، وكلاهما خافت الجرس باهت الموسيقى . . . أنظر إلى قوله فى رثاء عبد الله باشا فكرى : —

فليدَّعِ المدَّعون العلم والأدبا فقد تغيب عبد الله واحتجبا

وإلى قوله الذى أملته روحه :

إنى أهيم — رعاك الله - فى شغفٍ والروح أقرب فى نجواك من جسدى

بات ترفرف فى هفهاف حلتها صنو الملائك فى أنوارها الجدد

تجد مشابهة كاملة فى اختيار الكلمات ، وترتيب العبارات ، فوق سطحية التفكير والوجدان والشعور .

وكذلك الشأن حتى فى شعره الغزلى من مثل قوله :

سل المها بين أفيان ولوزان   ماذا فعلن بقلب المغرم العانى

وقوله عن طريق الروح :

هات الوفا بلحن الحب ننشده   فوق الأرائك والأفنان والقنن

فهما يخرجان من بابة واحدة .

على أننا نستطيع أن نقرر أن الشعر الذى تلقته السيدة الوسيطة من شعر شوقى يغاير فى مظهره وجوهره ، فى معانيه ومبانيه ، فى إشاراته وتصريحاته ما تلقته من شعر حفنى ناصف ، فلو قيل إن السيدة هى التى افتعلت هذا وذاك ما استطاع أحد من نقدة الشعر والبصراء به أن يصدق هذا الزعم لشدة البعد بين هذين المزاجين اللذين يمثلهما هذان القصيدان من الشعر .

إننى أقرر هنا ، وفى كامل إدراكى لضخامة ما أقرر ، أن الشعر المروى عن روح شوقى صحيح النسب إلى شخصيته الفنية ، وأن الشعر المنسوب إلى روح حفنى ناصف وثيق الصلة بشخصيته الفنية والعلمية واللغوية .

الجمعة ٤ / ١٢ / ١٩٧٠ .   **العوضى الوكيل**

كما كتب نفس الشاعر والأديب الكبير عن رواية « عروس فرعون » تقريراً خاصاً نصه كالآتى :

« فى جلسة ممتعة بين القاهرة والاسكندرية بالقطار المكيف السريع قرأت ما كان قد سلمه إلى الصديق المجاهد الدكتور رءوف عبيد من « ملزمات » المسرحية الشعريه « عروس فرعون » من إملاء روح المرحوم أحمد شوقى على وسيطة الإلهام السيدة حرم الدكتور سلامة سعد ، وكان ماسلمه إلى الصديق الكريم تسع « ملازم » تنتهى بصفحة ١٤٤ ، وبقية المسرحية كما علمت من الدكتور رءوف لاتزال المطبعة جادة فى طبعها .

ومن تكرار القول أن ألخص حوادث المسرحية ، أو أن أتحدث عن أهدافها وغايتها ، فذلك ماقد وفاه حقه الدكتور الفاضل فى الباب الأول من المطبوع المشار إليه ، أما الباب الثانى فهو نص المسرحية الشعرية « عروس فرعون » .

وأنا أنص هنا على أنى قرأت مائة وأربعا وأربعين صفحة من القطع الكبير فى جلسة واحدة دامت ما كاد أن يبلغ ثلاث ساعات ، وذلك وحده دليل قوة الرواية، وسلامة موقعها الفنى من الأدب المسرحى والأدب الشعرى على العموم، ولو أنها كانت ذات مستوى منحط أو حتى مستوى متوسط لما استطاعت أن تجتذب نفسى إليها طول هذه المدة المديدة بعد تطاول السنين وتكاثر المشاغل مما يجعل نفسى أدنى إلى الملل مما تقرأ، وأكثر طلبا للراحة بعد كل فترة من فترات القراءة لاتزيد عن ساعة أو ساعة ونصف على أكبر تقدير

وقد تعودت أن أقرأ الفاتحة لروح القطب الصوفى الكبير السيد أحمد البدوى كلما مررت بطنطا حتى ولو لم يقف بها القطار ، وأنستنى هذه الرواية قراءة الفاتحة فى هذه المرة ، لأنى لم أشعر بمرورى على بنها أو طنطا أو دمنهور، فعلى الدكتور رءوف عبيد يقع عبء هذا النسيان ، وعليه وحده يقع عبء الصدقة على فقير أو فقيرين !

وقد أتيح لى فى اليوم السابق لهذه الرحلة (الجمعة ١٨ ديسمبر سنة ١٩٧٠) أن أزور السيدة الوسيطة فى منزل زوجها الفاضل الدكتور سلامة سعد ، وأن أتجاذب معها أطراف الحديث فى الشعر والأدب ، وكان معى الصديق الشاعر الكبير الأستاذ محمد مصطفى الماحى ، أو كنت معه . وتمتاز هذه السيدة الجليلة بالوداعة والبساطة فى روح متصوفة راهبة، ولا يمكن أن تزيد فى معلوماتها الأدبية والفنية عن مستوى الشهادة الابتدائية التى حصلت عليها فى سنة ١٩١٤، بل إن

معلوماتها عن الشعر والشعراء معلومات لاتكاد تعد شيئا فى ميزان الثقافة الفنية .

وقد سبرت غور هذه المعلومات فى كثير من الحيطة والحذر والتيقظ ، ووقع فى يقينى أن هذه السيدة الفاضلة لا يمكن إلا أن تكون صادقة فيما تقوله من أن هذا الشعر قد ألهمهما إياه روح أحمد شوقى رحمه الله .

وقد كتبت من قبل تقريراً انتهيت فيه إلى صحة نسب هذا الشعر إلى شوقى لأنه يحمل فى طياته طبيعة شوقى الفنية ، ومزاجه الشعرى ، واليوم أعود فأكرر أن هذه الرواية زادتنى يقيناً بصحة تقريرى السابق . ومن حيث المسرح الشعرى فإن هذه الرواية فيها مافى روايات شوقى من الروح الخطابية المتحكمة ، التى تتوخى الإطالة فى الحوار ، وتهمها الحبكة الشعرية الموسيقية قبل الحبكة المسرحية القصصية . فكما أوقف شوقى أحد أبطال روايته « مصرع كيلوباترة » يخطب على المسرح بقصيدة غنائية فذة أستهلها بقوله :

روما حنانك واغفرى لفتاكِ　　　أواه منك وآه ما أقساكِ

أوقفت روحه كذلك بطلة رواية « عروس فرعون » بقصيدة طويلة أولها :

الأســــد عادت للعرينْ　　　وأهلَّ ركب الظافرينْ

عادوا وقد دحروا العدى　　　يامرحباً بالعــــائدينْ

ويطول النفس بالمتحدثة حتى يصل إلى أربع وعشرين بيتاً ، وليس من همنا أن نعيب هذا التشكيل الفنى أو نمدحه وندافع عنه ، وإنما نذكر هذا للمقارنة بين ما أملته الروح وما كتبه شوقى فى حياته .

وثمة خصيصة من خصائص روايات شوقى تظهر فى هذه الرواية فتدل على صحة

نسبها إليه ، تلك هى إرسال الحكم فى مواضعها . فكما قال شوقى فى مصرع كيلوباترة : —

وغداً يعلم الحقيقة قومى ليس شىء على الشعوب بسر

قال فى روايته الجديدة :

— ليس الهوى من صنعنا الحب من صنع القدر
— عرش الملوك على الطموح مشيد فإذا أمرت فللنزال نجدد
— شتان بين مدمرٍ ومعمرٍ هل للمقوِّض شأن من شاد العمد؟

ويجىء فى شعر شوقى أحياناً بديع لا يتكلفه من مثل قوله فى مصرع كيلوباترا :

ظفر فى فم الأمانى حلو ليت منه لنا قلامة ظفر

وهو فى « عروس فرعون » يقول :

خضت الوغى والخصم جارٌ فى مأمن الأوطان جارْ

فالأولى من الجيرة والثانية من الجور ، فهنا جناس تام .

ويطول بى الكلام لو أننى التمست أوجه المشابهة وما أكثرها بين روايات شوقى القديمة وروايته الجديدة ، فقد كثرت هذه المشابهات حتى أوشك الأمر أن يكون تطابقاً كتطابق المثلثات بعضها على بعض !

على أن الرواية من ناحية جهد النظم، وتنوع البحور الشعرية بين صحيحها ومجزوئها، أمر يعيا به كثير من الشعراء الذين اشتهروا بالشعر وسارت بأشعارهم الأحاديث ، فما بالك بسيدة لم يعرف عنها أنها قالت بيتاً واحداً من الشعر ؟ !

وقد لاحظت فى الرواية بعض الأخطاء فى الوزن ، ولا تعليل لهذا عندى إلا وهم النقل ، وخطأ الاستماع .

الاسكندرية ٢٠/١٢/١٩٧٠ **العوضى الوكيل**

٥ ــ عن تقريرين للأستاذ المحترم أحمد عبد المجيد غريد

ــ سفير سابق ومندوب دائم بجامعة الدول العربية لغاية عام ١٩٦١ .

ــ عضو « جمعيـــــة المؤلفين والموسيقيين » .

ــ فى طليعة الشعراء المعاصرين ، وتلميذ شوقى ، وصاحب عدد من دواوين الشعر العذب الرقيق وهى : « مجموعة شعر » (١٩٢٨) ، و «أوراق الخريف» (١٩٦٠) ، و « همسات » (١٩٦١) ، و « ثنائيات » (١٩٦١) بالإضافة إلى عدد وافر من الأغانى الجميلة المعروفة [1] ، وعدد من الكتب الأدبية الجميلة مثل كتاب « أضواء على الدبلوماسية » (١٩٧٠) ، و « لـكل أغنية قصة » (١٩٧١) .

عن التقرير الأول : ــ

« أطلت النظر وداومت الاطلاع على كل مانظم شوقى الشاعر تقديراً منى وإكباراً لشعر يرفل فى قشيب من الديباجة وبهاء المعنى المشرق ، وجمعت إلى ذلك شرف التردد على مجالس أمير الشعراء التى كان يخصنى فيها برعاية حانية وحدب لا يخلو من التوجيه . وكان رحمه الله يناقشنى فيما نظمه فى زحلة بجبل لبنان فى صيف عام ١٩٢٧ وبوجه خاص قصيدة « ياجارة الوادى » .

من كل ذلك أمكننى أن أحس عند قراءتى لهذه المجموعة التى أملتها روح شوقى حلاوة لفظه ، ورقة جرسه ، وقوة ديباجه شعره ، وبلاغته ، وبيانه ، كما

---

(١) التى منها : « كلنا نحب القمر » و « خايف أقول اللى فى قلبى » و « مريت على بيت الحبايب » و « ياترى يانسمة حتقولى إيه » و « مين عذبك بتخلص منى » و « حسدونى وباين فى عنيهم » ، و الهوان وياك معزة » و « بالك مع مين ياشاغل بالى » و « كتير ياقلبى الذل عليك » و « نسيم الربيع » و « وما كنش ع البال تشغل بالى » وفى « الجو غيم حجب القمر » و « من وحى المعادى » و السبت ذات والحدفات » و « ألقاك باسمه وقلبك باكى » وغيرها .

وقفت عند ألفاظ كان يؤثر ترديدها فى أشعاره ، ولمست فيها ما كان يستهويه من بحور الشعر ، وقوافيه ، وموسيقاه التى غدت بعده بلا عازف .

ولست أتردد فى القول بأن هذه المجموعة من النظم تمثل أدق ، وأعمق وأبلغ ، وأحكم ما توفر شوقى على قرضه من الشعر فى ديوانه أو مسرحياته أو حكمه أو حكاياته » ... ٢٦ / ٨ / ١٩٦٩

كما يقول فى تقرير لاحق —



« إن ما عالجته روح شوقى من الشعر قد مس أنماطاً من فنون الشعر لها نفس الطابع ، وذات الأسلوب ، واللغة ، والبناء الفنى السامق . بل إن الديباجة ، وموسيقى الشعر ، وإيقاع الوزن ، وغزارة القوافى ، لما يقطع بأن هذا هو شعر شوقى الذى كان يزاوله فى حياته كما أن نَفَسه الطويل فى النظم ، وهو ما تميز به بين شعراء عصره ومن سبقوه من الشعراء لدليل قائم بذاته على أن روح شوقى تملى على السيدة الوسيطة ما ورد من قصائد فى كتاب الدكتور رؤوف تناولت مناسبات قائمة رأت روحه أن تشارك فيها مثلما كان العهد به فى حال حياته ..

ولست أعلم أن شاعراً قبل شوقى أو بعده قد أجاد فى حال الاستفاضة والتدفق دون ما إسفاف أو ترخص فى قصائد جاوزت المئات من الأبيات وتناولت مختلف الموضوعات مثلما فعل شوقى فى حال حياته و بعدها .

ومن عجيب شعر شوقى أنه لا يَقلَّد لأنه كالجوهر الفريد النادر الوجود ، بل إن تمكنه من اللغة العربية وطول باعه فى القريض والوزن والعروض ، وهو الذى طالب العلم ودرس القانون فى باريس كان فى حياته موضع إعجاز وعجب ممن كانوا يلمون من معاصريه عن نشأته المترفة التى تتأذى من الجلد وطول البحث .

ولعلى أقصر القول فى هذا الشأن على أمر تكشف لى وأنا أقرأ شعر روح شوقى ، وهو اهتمامه البالغ بمن نقد شعره بعد مماته ، وهو أمر كبير الدلالة ، لأن شوقى كان يتأذى غاية الأذى حتى ليعنف غاية العنف، ويغضب غاية الغضب وهو الوديع الحيى، من كل من كان يتصدى لنقد شعره هادماً لا بنّاء فلما انتقل إلى الدار الآخرة لزمته هذه الخلة ونظمت فيها روحه ما نظمت » . .

القاهرة فى ٢٠ / ٩ / ١٩٦٩ — احمد عبد المجيد

٦ ـ من تقرير الأستاذ الدكتور بدوى أحمد طبانة

ـ أستاذ ورئيس قسم « البلاغة والنقد الأدبى والأدب المقارن » بكلية دار العلوم بجامعة القاهرة .

ـ صاحب عدة مراجع أدبية أصيلة منها: «دراسات فى نقد الأدب العربى» (١٩٥١) و «البيان العربى» (١٩٥٦)، و « علم البيان» (١٩٦٠)، و «معلقات العرب » (١٩٥٧)، و« التيارات المعاصرة فى النقد الأدبى » (١٩٦٣) وغيرها

* * *

« هذا الشعر قريب الشبه من شعر شوقى ، وفيه من خصائصه الشىء الكثير، فإن الأغراض التى عبر عنها ذلك الشعر هى الأغراض التى كان يعالجها شوقى فى حياته، وهى فى جملتها ـ إذا استثنينا شعره المسرحى ـ أغراض تثيرها المناسبات التى كان شوقى ينتهزها ، فيصوغ فيها قصائده الفاخرة التى يطول فيها نَفَسه بما يبث فيها من ثمرات تجاربه وقراءاته، وقدرته على التمثل ، ثم ملكته البيانية البارعة التى ارتقت به إلى زعامة الشعر وإمارة البيان فى العصر الحديث .



ولعل من أروع هذه القصائد وأقربها إلى شعر شوقى وأكثرها تمثيلا لمذهب شوقى وطريقته فى قرض الشعر، قصيدته التى عنوانها

« إلى المتشككين » فإنها مجتمع خصائص شعر شوقى الذى كان يرسله فى حياته ، والذى يمتاز بروعة المطالع ،وجودة العبارة التى تجمع بين رقة المعاصرين ، وجزالة الفحول المتقدمين الذين كان شوقى يدمن قراءتهم ،ويديم التطلع فى آثارهم .

كما نجد فيها طول النَفَس الذى كان ينفرد به شوقى بين المعاصرين ، مع التزام وحدة الوزن ، ووحدة القافية ، وهى خصيصة من خصائص فحول شعراء العربية المعروفين ، بالإضافة إلى موسيقى الشعر الصافية التى أمتاز بها شعر شوقى فى حياته ، والذى كان يؤثر فيه سلامة الأوزان من العلل والزحافات .

ذلك كله بالإضافة إلى ما عرف عن شوقى من كثرة حديثه عن الرسل والأنبياء ، وكثرة مناجاتهم فى كثير من قصائده المأثورة ، بالإضافة إلى تزاحم الحكم ، ومظاهر كثرة التجارب والتوغل فى التأمل والتفكير ... »

وبعد أن يستعرض الأستاذ العلامة عدداً من القصائد الأخرى المنشورة فى كتاب « الإنسان روح لا جسد » معلقاً عليها واحدة واحدة يقرر فى كل جزم ووضوح :

إن هذه القصائد تمثل شعر شوقى فى حياته ، فهى مجتمع خصائصه الفنية فى التعبير ، وفى استلهام المعانى من الخواطر السائرة ، ومن أحداث التاريخ ، والذكريات الغابرة ... ثم طول النَفَس فى تلك القصائد ، وهى إحدى الخصائص التى يمتاز بها شعر شوقى المأثور .

وأستطيع أن أقول فى غير تحفظ إن كثيراً من هذا الشعر — ولا أقول إن هذا الشعر كله — لو كان مضموماً إلى « الشوقيات » وقرأه الناس على أنه منها لم يتردد واحد من القراء أو من النقاد فى أنه لشوقى . »

٣/ ٧/ ١٩٦٧ بدوى طبانة

٧ — تقرير الأستاذ المحترم حنفى عبد اللـــه الحنفى

— سابقاً مدير التعليم الخاص « بوزارة التربية والتعليم » .

— أستاذ ورئيس قسم اللغة العربية « بالمعهد العالى للمعلمات » .

— صاحب مؤلفات « هداية التلميذ فى قواعد اللغة العربيـة وآدابها » ، و « النهج الأدبى فى الأدب والنصوص »

— شاعر مطبوع طويل الباع وصاحب ديوان « فى دروب الحياة » .

* * *

« تحية طيبة خالصة ، وبعد فقد اطلعت على بعض القصائد التى أملتها روح شوقى رحمه الله من عالم الخلود ، كما اطلعت على رواية « عروس فرعون » . وللشبه الواضح بين ذلك وبين المأثور من شعر شوقى دعانى حب الاستقصاء إلى مراجعة أخرى للشوقيات وبعض الروايات التى نظمها أمير الشعراء فى حياته وإجراء بعض الدراسات على أشعاره فى الحياتين ، وعقد الموازنات بينهما فلم أجـد فرقاً يذكر فى الحالتين . بل وجدت أن الصفات التى يمكن أن يتسم بها شعر شوقى فى عالم الدنيا هى نفس الصفات التى يتميز بها شعره فى عالم الروح .

فنحن فى الحالتين نقرأ فى شعره الطموح إلى المجد ، والشعور التام بالعبقرية الفذة ، مع الدعوة إلى التهذيب والإصلاح والـكمال الخلقى يبثها من خلال الحـكم التى يرسلها كما نجده قد طوّع اللغة للتعبير عن مكنون نفسه ، وتصوير مشاعره الفياضة وخيالاته المتدفقة فلم يعقه عائق اللفظ من التعبير عن أحاسيسه ، كما لم يقعده الوزن والقافية عن تصوير شعوره المرهف بما يرضى ذوقه الموسيقى الجميل ، فضلا عن تلك الألفاظ الموحية التى كان توفيقه فى اختيارها وتحديد موقعها فى ملك فرائده يجعلها مصدراً لموسيقى أخرى غير موسيقى الوزن والقافية لهـا أثرها الفعال فى النفس ، وإلا فما هذا الجرس الحلو والنغم الحالم اللذيذ الذى يملك

علينا حواسنا حين نقرأ له الرباعيتين الآتيتين من رباعياته التى أملتها روحه من عالم الخلود ؛ :

يالهـا من ذكريات لم ينـل منها الجمود
رغم شح الدهر تبقى عـبر ومض أو رعود
لم تعـد تقصى جناها رابيات أو سـدود
فهى دومـاً فى ركابى فى محفـــات الخلود

* * *

يا حبيبى كان صحواً صافيـاً حـلو المنـال
ظللتنــا فى حمـــاه حانيـاتٌ مـن دلال
فانثنت عنـا همـومٌ وانتفى قيـــلٌ وقال
والتمسنـا المجـد نسعى فى ربوعٍ أو ظلال (١)

واست أغالى إذا قلت إننـا لو جمعنا قصائده فى عالم الروح وضممناها إلى شوقياته ووضعناهما فى كتاب واحد لعرضه على النقاد لما ساغ لهم أن يفرقوا بينها ، فلوازم شوقى فيها واحدة : أسلوبه الذى تفرد به ، وطول نَفَسه ، وتصريع مطالعه، وكثرة الحـكم والأمثال ، وتمجيد الخالق ، والحث على الفضائل ، والوطنية الصـادقة التى نطالعها فى حبه لمصر ، والحث على العمل الدائب من أجل رفعتها ، واصطناع الأساليب الإنشائية، وكثرة الألفاظ اللغوية المعجمية التى كان يستعملها



---

(١) منشورة مع رباعيات أخرى للروح فى مطول « الإنسان روح لا جسد » طبعة ٣ ج ١ ص ٨٢٠ — ٨٣٢ .

وينفخ فيهامن روحه فيشيع فيها الحياة ، مع حسن تصرفه فى الاشتقاق بصورة توضح لنا مقدار تمكنه من اللغة وفنونها .

كذلك كانت مصرية شوقى وحبه لوطنه يحملانه على أن يصور لنا المصرى كيف يعمل لرفعة مصر وعلو شأنها فى أية حال كان عليها ، وهو ما تطالعه فى شعره فى الحالتين . فالمعانى التى ساقها فى حياته على لسان كليوباترا ليصور منها ملكة تعيش لمصر وتعمل من أجل مصر وتضحى بكل شىء فى سبيل مصر ، وليجعل منها سياسية تريد أن تظفر بروما عن طريق الحيلة ما دامت لاتستطيع أن تظفر بها عن طريق القوة ، فتنسحب من موقعة أكتيوم، لاغدراً بأنطونيو ، ولكن ليفنى الروم بعضهم بعضاً ، ويصبح البحر المتوسط خالصاً لمصر وسيادة مصر ، تلك المعانى تتمثل فى قولها :

فتأملت حالتى مليـــاً وتدبرت أمر صحوى وسكرى
وتبينت أن روما إذا زا لت عن البحر لم يسد فيه غيرى
خلصت من روحى القتل ومما يلحق السفن من دمار وأسر
فنسيت الهوى ونصرة أنطونيوس حتى غدرته شر غــدر
موقف يعجب العلا كنت فيه بنت مصر وكنت ملكة مصر

أقول إن هذه هى نفس المعانى التى يسوقها فى رواية « عروس فرعون » التى أملتها روحه على لسان فرعون حين يبرر حنينه للحرب واندفاعه إليها . فهو يبين لنا أن حبه لمصر ، والرغبة فى توسيع رقعتها وإعلاء سلطانها على العالمين ، هو الذى جعل الحنين يعاوده لشن الحروب ، ويدفعه إليها بتلهف وشغف مضحياً بسعادته تحت ظلال الحب الوارفة وفى أحضان عروس لاتطيق عنه فكاكاً ، فيقول على لسان فرعون :

وهل ترتضين لمثلى الخنوع وغيرى بقهر الممالك ساد ؟
وكيف أخلد ملكى العريق إذا الدهر سائل ماذا أشاد ؟

أليس الأسود الضوارى تسود ويرهب سطوتها كل عاد ؟
وإنى مهيب وليثٌ أخوض غمار الحروب قوى العتـاد
وجيشى كفيل بنصر عزيز يؤازر عرشى بكل اعتداد
فيا مهجتى أنت أقوى نصير يعضد تاجى بمجد يشاد
أليست لمصر عليك الحقوق تؤدى بتضحية فى رشـاد ؟

و إذا كان شوقى يفضل البحر الـكامل على سائر بحور الشعر ويجرى عليه معظم قصائده ، وهو مانطالعه فى شعره فى حياته وبعد مماته، فإنه قد أدار الحوار فى مسرحية « عروس فرعون » كما أداره فى المسرحيات الأخرى على جميع الأوزان والبحور متخذاً من الصياغة والضبط مايلائم النظارة ، مستعيناً بمعجمه الذى لايدانيه معجم شاعر فى وفرة كلامه ، ومصطلحاته ، ومترادفاته ، ومشتقاته ويجد القارىء فى هذه الرواية كثيراً من الألفاظ والأساليب التى اعتاد شوقى رحمه الله أن يضمنها شعره قبل أن ينتقل إلى عالم الخلود .

وبعد ، فهذه سمات تحملنى على أن أقرر أن ما اطلعت عليه فى الـكتاب القيم « الإنسان روح لا جسد » من أشعار منسوبة إلى روح شوقى رحمه الله لايقل رصانة وقوة عما قرأته لأمير الشعراء مما دبجه فى حياته . وإن شعراً فى هذه القوة ، والسلاسة ، والعذوبة ، ليعد مفخرة لقائله ، ويسمو به إلى الذروة فى عالم القريض ، فـكيف يمـكن أن يقرضه شاعر ثم لاينسبه لنفسه ؟ ! وهل هناك مايمنع من أن يكون هذا الشعر علوياً أملته روح شوقى من عالم الخلود ؟ لمَ لايـكون ذلك والروح واحدة ، والنهج واحد ، وحقيقة العلم قد أثبتت ذلك ؟ ! والسلام »

٩ مايو ١٩٧٠ — **حنفى عبد الله الحنفى**

٨ - من تقرير الأستاذ المحترم خليل جرجس خليل

- رئيس تحرير مجلة « صوت الشرق » الغراء .

- أديب وشاعر مطبوع وصاحب ثلاثة دواوين معروفة من الشعر العذب وهى « الصيدح » (١٩٣٩) ، و « أيام عشناها » (١٩٥٨) ، و « محفليات العهد الحديد » (١٩٥٨) ، وعدد من المصنفات الجيلة فى الأدب الهندى مثل « مسرحية تشيترا وقصص أخرى لشاعر الهند رابندرانات طاغور » ، و «أقاصيص من الهند » ، و « قصص عصرية من الهند »

- عضو بلجنة الشعر « بالمجلس الأعلى لرعاية الفنون والآداب والعلوم الاجتماعية » ، ومن أكثر الشعراء إعجاباً بشوقى وإلماماً بخصائص شعره .

* * *

« ونحن مقتنعون تماماً بكل هذه الحقائق ،فالشواهد كلها تنطق بها ، ويمكن تلخيصها فيما يلى .

— أن بعض القصائد من المطولات العجيبة ، ولا يمكن لشاعر معاصر أن يؤتى طول النفس بحيث ينشىء قصيدة فى أكثر من مائتى بيت من بحر واحد وقافية موحدة من غير ضعف أو إعياء ،ومن غير أن تكون قوافيه مقلقلة، ومن غير أن يجمع فيها بين « الدر والخشلب »

— أن الوسيطة الفاضلة لم تصل فى الدراسة إلى أكثر من المرحلة الابتدائية على عادة الفتيات المحجبات فى البيوت العريقة والكريمة .وهى ليست بشاعرة ، بله هذا الشعر الشوقى ذا النسق العالى ، ولو كانت على دراية به لسارعت إلى المفاخرة بشعرها ولسارع القوم لكى يسلكوها فى عداد الشواعر النابهات .

— أن هذا الشعر لم ينشر من قبل ، ولم يقله أحد ، بل هو جديد مستحدث ونستطيع أن نتحدى أى شخص يدلنا على مصدر آخر له

— أنه يتسم بالسمات التى نعرفها فى شعر شوقى ، ومنها إرسال الحكمة ، والإيقاع الحلو ، والموسيقى الشعرية ، مع طول النفس ، وتخير الأوزان الأثيرة إلى نفسه ، والألفاظ التى تكثر فى شعره .

— شهادة النقاد جميعاً الذين سلموا بالطابع القيم النفيس لهذا الشعر، ونسبته إلى شوقى وحده ، وأن أحداً لا يمكن أن يجاريه أو يعارضه » .

خليل جرجس

(عن جريدة « صوت الشرق » عدد نوفمبر ١٩٦٠ ص ٢٤)

٩ — تقرير الأستاذ الدكتور شوقى ضيف

— أستاذ ورئيس قسم آداب اللغة العربية « بكلية الآداب » بجامعة القاهرة .

— صاحب مؤلفات قيمة كثيرة منها « الفن ومذاهبه فى الشعر العربى » ، و « سلسلة تاريخ الأدب العربى »، و « الأدب العربى المعاصر فى مصر » ، و « دراسات فى الشعر العربى المعاصر » ، و « شوقى شاعر العصر الحديث » وطائفة كبيرة من الدراسات الأدبية عن شوقى والبارودى والعقاد وغيرهم .





« السيد الأستاذ الدكتور رءوف عبيد : تحية طيبة وبعد .

فقد تمتعت بكتابك القيم « الإنسان روح لا جسد » وما فيه من دراسات طريفة عن عالم الروح وهو عالم جدير بالبحث والدرس . وقد شعرت مراراً أننى أدنو من هذا العالم بفضل دراساتك فيه ، وكأنها أجنحة تصعد إلى ملكوته وعجائبه .

وأنا من المؤمنين بعالم الروح ، ولكننى لا أتعمق فى دراساته خشية أن أضل فى متاهاته وشعابه الكثيرة .

وقد أعجبت بما نظمت السيدة الجليلة حرم الدكتور سلامة سعد من أشعار تمثلت فيها روح شوقى الشاعر الكبير ، وهى — ولا ريب — تمثل شعوراً متدفقاً بأن روح شوقى تتراءى لها وتملى عليها .

وفى رأيى أن السيدة الفاضلة ذات بصيرة شعرية قوية أتاحت لها أن تتمثل فى قوة روح شوقى تمثلا حياً نادراً، وتصدر فى أشعارها عن طوابعه الخلقية التهذيبية ومشاعره القومية والدينية[1] ، وإن كنت ألاحظ أن طائفة من الأبيات تهبط عن مستوى شوقى لما يجرى فيها من بعض هنات عروضية، ولما يشوبها من ضعف فى الصياغة والنسيج اللفظى[2] .

ويلفت النظر عند السيدة الجليلة أنها تجاوزت التمثل المعروف فى الشعر لشخصية شاعر وروحه إلى الصدور عن اهتمامات شوقى بعالمه الفانى، كأن تكتب عنه قصيدة فى زفاف إحدى حفيداته ، أو قصيدة موجهة إلى ابنه على الذى كان يؤثره ، أو قصيدة إلى بعض نقاده ، أو قصيدة بمناسبة الاحتفال بذكراه فى سنة ١٩٥٨ ، وكأنما أصبحت السيدة الكريمة مسخَّرة لروحه .

هذه خواطر ألمت بى حين قرأت أشعار السيدة الجليلة ، وهى تصور مبلغ تمثلها لروح شوقى، وكيف أصبحت تستمع إليها وتصدر عنها شاعرة بذلك شعوراً

---

(١) من المقطوع به — واقعياً — أن السيدة الوسيطة مقطوعة الصلة تماماً بالشعر والنثر الفنى وفنون اللغة والبيان ، فلا يمكن على أية حال أن تكون هى بنفسها صاحبة «هذه البصيرة الشعرية القوية» التى يشير إليها التقرير ، بل هى بصيرة الروح الملهمة . وقد أبرز هذا التقرير كيف «تمثلت فى هذه البصيرة روح شوقى الشاعر الكبير»، وكيف أن هذه الأشعار تمثل شعوراً متدفقاً بأن روح شوقى تتراءى لها وتملى عليها» . وذلك بالنظر إلى الاتفاق فى «الطوابع الخلقية التهذيبية ، والمشاعر القوميه والدينية» بالإضافة إلى «نفس الاهتمامات» . وهذا هو بعض ما يتصور البت فيه برأى من علماء البيان والأدب ، أما الجانب الروحى فهو موضوع آخر ينتمى إلى دراسات علمية قائمة بذاتها .

(٢) راجع ما سبق فى ص ٣٦ و ٣٧ عن تعليل هذه الهنات التى تشوب طائفة قليلة من هذه الأبيات، وما سيلى فى الباب الأخير .

مخلصاً صادقاً تجد فيه لذة لا تعد لها لذة ، متعها الله بالعمر المديد حتى تمتعنا بمزيد من تلك الأشعار التى يفجرها فى نفسها تمثلها الحى النادر لروح شوقى ٠ ٠ »

٣١ / ٣ / ١٩٧٠ شوقى ضيف

١٠ ــ من تقرير الأستاذ المحترم عادل الغضبان

ــ نائب المشرف العام « لدار المعارف » ومدير النشر بها ٠

ــ أستاذ علامة فى العروض والأدب العربى .

ــ أديب وشاعر مطبوع، وصاحب ديوان «وحى الاسكندرية» وكثير من الكتب الأدبية القيمة مثل « ليلى العفيفة » و « أحمس الأول » وغيرهما .



ــ عضو لجنة الشعر « بالمجلس الأعلى لرعاية الفنون والآداب والعلوم الاجتماعية » ٠

* * *

« . . وأما عن شعر شوقى فأنا مع إخوانى الأدباء والشعراء الذين وافوك بآرائهم فى أن هذا الشعر يحوى معظم خصائص شوقى ولوازمه . فإن نحن تأملنا فى بعض هذه القصائد لم نتردد قط فى الحكم بأنها من شوقى لما اشتملت عليه من قدرة وبلاغة ، وعمق ، وسلاسة ، وشاعرية انحدرت من مصدر الإلهام . على أننا إذا أمعنا النظر فى بعضها الآخر وجدنا فيها — مع علو النَفَس — بعض أخطاء تنزه عنها شعر شوقى فى دنيا البشر ٠٠٠

وبعد فكيفما كان الأمر فهذه قصائد تسير وشعر شوقى على سنن واحد فإن كانت من نظم سواه ، فإنها من نظم شاعر يحاكيه موهبة فذة ، وعمق

تفـكير ، وبلاغة تعبير ، وجمال تصوير ، فما أجدره عندئذ أن ينسبها إلى نفسه على مابها من هنوات لاتقدح فى شاعريته[1] ، فيكون فى طليعة الشعراء فانتزل إذن على حكم العلم الروحى ففيه كل الغناء . . » .

٢٠/١/١٩٦٨ عادل المغضبان

١١ ــ رأى الأستاذ الجليل عزيز أباظه

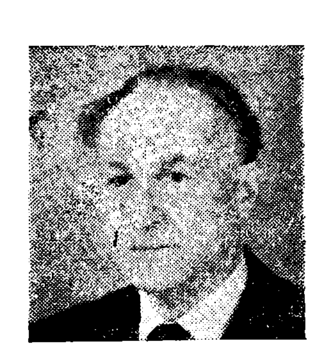
- شاعر الشعراء ، وابن شوقى البار ، وعميد مدرسته الشعرية

ــ عضو « مجمع اللغة العربية » ، و« المجلس الأعلى لرعاية الفنون والأدب والعلوم الاجتماعية » .

ــ صاحب ديوان « أنات حائرة » ، وعديد من المسرحيات الشعرية الرائعة التى منها : « قيس ولبنى » ، و « العباسـة » ، و « شجرة الدر » ، و« الناصر » ،و « غروب الأندلس »، و « شهريار » ، و « قيصر » ...

ــ حائز على جائزة الدولة التقديرية فى الشعر والأدب لعام ١٩٦٩ .

* * *



قال العلامة الجليل عن الأشعار المملاة على السيدة الوسيطة : « هذه الأشعار فيها شاعرية شوقى من ناحية تراكيبها ، وأفـكارها، ومستواها فى اللغـة والشعر . ويعادل بعضها فى عمقـه الجيد فى «الشوقيات » ، وبعضها الآخر يعادل المتوسط فى هذه الشوقيات .

وهذ المستوى لايملك أى شاعر معاصر أن يرقى إليه ، أو أن يحاول تقليد شوقى فيه ، لأن عبقرية شوقى تعصى على التقليد ، حتى إن صح نظرياً إمكان تقليد غيره من شعراء الصف الثانى أو الثالث » .

عزيز اباظه

(١) راجع عن تعليل هذه الهنوات ما ورد فيما سبق فى ص ٣٦ ، ٣٧ ، وما سيلى فى الباب الأخير .

١٢ ـ تقرير الأستاذ المحترم على الجندى

– سابقاً عميد كلية «دار العلوم» بجامعة القاهرة ، وحالياً أستاذ غير متفرغ للدراسات البلاغية بها .

– عضو « مجمع اللغة العربية »، و « المجلس الأعلى لرعاية الفنون والآداب والعلوم الاجتماعية » ، و « المجلس الأعلى للشئون الإسلامية » .

– صاحب دواوين « أغاريد السَحَر » ، و «ألحان الأصيل» ، و « ترانيم الليل » ، ومؤلفات « فن الأسجاع» ، و « فن التشبيه » ، و « فن الجناس »، « والبلاغة الفنية » وغيرها من المؤلفات القيمة فى الشعر والأدب والبلاغة .

– حائز على جائزة مجمع اللغة العربية فى الشعر .

* * *

« قرأت الأشعار التى تمليها روح شوقى – رحمه الله – على الوسيطة قرينة الدكتور سلامة سعد وأقرر بإزائها ما يأتى :

أولا : كثير من الألفاظ التى جاءت فى ثنايا القصائد المملاة هى ألفاظ شوقى فى قصائده المأثورة ، وهى ألفاظ تنفح بالترف والنعيم .

ثانياً : البحر المفضل لدى شوقى كان البحر الكامل ، وهو كذلك بحر المفضل بعد انتقاله .

ثالثاً : كثرة الحكم والأمثال فى شعره الأصلى والملى .

رابعاً : استعمال أساليب الإنشاء بكثرة ، كالاستفهام والتعجب وخصوصاً فعل الأمر ، وهى من لوازم شوقى.

خامساً : كثرة الألفاظ اللغوية المعجمية التى كان يستعملها ويشيع فيها الحياة ،وهى من خصائصه .

سادساً : مطالعه الباهرة المصرّعة .



سابعاً : أسلوبه الفخم الذى عرف به ، والذى يساوقه إلى نهاية القصيدة إلا قليلا فى أكثر شعره

ثامناً : تهافته فى بعض الأبيات مما أخذ عليه حياً ، وهو من سمات الطبع والبعد عن التكلف

تاسعاً : حبه للسلام والتصافى وكراهة الحرب والخصام والعنف ، وهو متجلٍ فى شعره المملى .

عاشراً : صحة العقيدة ، وتمجيده للخالق الأعلى ، ودعوته إلى مكارم الأخلاق والتمسك بالفضائل ، وهذا شىء مأثور عنه رحمه الله .

والذى لا شك فيه أنه لا يمكن لأى شاعر مهما علا كعبه — فضلا عن السيدة الوسيطة المحدودة الثقافة — أن يقلد شوقى بهذا الشعر أو يأتى بما يشبهه. وليس هناك ما يدعو سيدة جليلة إلى تحمل هذا العناء ، وكان الأفضل مثلا أن تنسبه إلى نفسها فإنها تكسب بذلك شرفاً عظيماً وتكون أشعر شاعرة فى هذه الأمة »

٣ / ١٠ / ١٩٦٦ — على الجندى

١٣ — تقــرير الأستاذ المحترم كامل نخلة

- مستشار مساعد « بالمؤسسة المصرية التعاونية للبناء والإسكان » .

فى طليعة الشعراء المعاصرين ، وصاحب ديوان « نداء الروح » ، ومن أكثر الشعراء إلماماً بشاعرية شوقى ، وخصائصها ، وأسرار البلاغة فيها :

* * *

«قرأت كتاب « الإنسان روح لا جسد » وطالعت فيه أشعار شوقى من عالم الروح ، وتجلى لى فى العديد من أبياتها ما كان يتصف به شعر شوقى فى الدنيا من بساطة فى اللفظ ، وسلاسة فى الأسلوب ، وعمق فى المعنى . كما وجدت فى



بعضها ما انطوى عليه من ألفاظ عربية غير متداولة تجعل شعره رغم رنينه الموسيقى وجمال تنغيمه صعب المذاق . وقد جاء ذلك فى شعره المملى من عالم الروح فى البيت كله أو فى صدره دون عجزه أو العكس ، كما فى قوله فى نهج البردة فى عجز البيت الذى يقول فيه — وهو بين زهد النفس ومغريات الدنيا : —

فضى بتقواك فاها كلما ضحكت كما يفض أذى الرقشاء بالثَرَمِ

والرقشاء نوع من الحيات شديد الخطورة ، والثرم اقتلاع الأنياب . وتتماثل هذه الصورة مع بعض ما ورد عنه من عالم الروح فى قوله فى عيد الجلاء مثلا :

والقيد حطم والأغلال ضغنتها ولت فلا آبت من وكرها النخر

وكما كان شوقى فى حياته يبلغ فى غالبية شعره قمة الشعر كان ينزل فى القليل منه إلى المستوى المألوف ، وكما كان يتصف بإطالة الأنفاس فى قصائده المطولة ، أو يكتفى بأبيات قليلة هكذا نراه فى شعره الموحى به من العالم الثانى فى قصائده التى نشرت عنه بعد موته من وسيطة لا تتصل بالشعر فى فنونه أو عروضه أو قوافيه .

وإذا كان الجهد يحفظ لصاحبه بالذكر ، ويردد بالشكر فمما لا شك فيه أن ما بذلته فى جمع هذه القصائد المنقولة إلينا من عالم الروح عمل جدير بكل تقدير لما بذلته من جهد ، وأنفقت فيه من وقت ومال . ولعلى فى رسالتى الصغيرة قد أوفيتك بعض البعض من التقدير فى الجمع والبحث والدراسة عن الحياة بعد الموت . »

١٩/٧/١٩٧٠ كامل نخله

١٤ ــ تقرير فضيلة الأستاذ الشيخ محمد زكريا البرديسى

— أستاذ ورئيس « قسم الشريعة الإسلامية بجامعة عين شمس »

— صاحب مراجع فقهية عميقة وغزيرة منها : «أحكام المواريث» ، و « أصول الفقه » ، و « الأحكام الإسلامية فى الأحوال الشخصية » ، و « التصرف الإسقاطى » ، و « الإكراه بين الشريعة والقانون » ، و «الوكالة بين الشريعة والقانون » ، و « الاجتهاد فيما لا نص فيه » . .

— أديب علامة ، وشاعر مطبوع ، وعضو « بالمجلس الأعلى للشئون الإسلامية » (لجنة تجلية مبادىء الشريعة) .

* * *

لقد شاء حظى السعيد أن ألتقى مع كتاب « الإنسان روح لا جسد » فكان لقاء حاراً مثمراً نعمت فيه بين رياض هذا الكتاب ما شاء الله أن أنعم ، وقطفت من وروده ما شاء القضاء والقدر أن أقطف .

وإن أنسَ لا أنسى تلك النشوة التى تملكتنى من رأسى إلى قدمى منذ وقع نظرى على تلك الأبيات الشعرية التى غص بها الجزء الأول ، فقد ذكرتنى بشوقى وشعره الخالد خلود الزمن . فقد تلوت هذه الأبيات لعذوبتها المرة بعد المرة ، والكرة بعد الكرة ، واقتنعت برقتها وجزالة أسلوبها ، تلك الرقة التى لا تختلف عن رقة شعر شوقى الذى دبجه فى حياته ، وذلك الأسلوب الممتع الذى لا فرق بينه وبين أسلوب شوقى فى حياته ، وكأنى مذ قرأت هذه الأبيات أقرأ لشوقى : فالجرس جرسه ، والنغم نغمه ، والجزالة جزالته .



أى وربى إن أى إنسان يمت إلى الشعر بصلة لو قرأ أى بيت من هذه الأبيات آمن إيمانه بنفسه أن الذى دبجها شوقى .

حقا لقدت سعدت بهذه الأبيات الكثيرة سالفة الذكر وعشت معها وقتاً طويلا خرجت على إثره بأنه لا يتأتى لأى شاعر مهما علا كعبه أن يصوغها على سبيل التقليد ، فالأبيات تتمثل فيها روح شوقى ويتجلى فيها طابعه ، وطابع شوقى الشعرى لا يصل إليه إلا شوقى .

وكما سعدت بهذه الأبيات سعدت بالأبيات التى تألقت فى الجزء الثانى . فلقد لمحت فيها العذوبة الخالدة التى يتسم بها شعر شوقى ، ولمست فى ثناياها البعد عن التكلف الذى يعد من خواص شعر شوقى ، وقرأت فى سطورها الكثير من الحكم الخالدة التى طالما سيطرت على شعر شوقى وهو حى ، والأخلاقيات الكريمة التى أمتلأ بها شعر شوقى فى حياته .

هذا قل من كثر ، وبعض من كل مما لمحته فى الأبيات التى قرأتها فى الجزئين . وهذه اللمحات إن دلتنى على شىء فإنما تدلنى على أن هذه الأبيات لا يمكن أن تصاغ عن طريق التقليد ، ولا يمكن المحاكاة فيها ، فالتقليد لا يمكن أن يساوى الأصل ، وهذه الأبيات قد ساوته فلا فرق بينها وبين أشعار شوقى التى صاغها فى حياته . والحمد لله الذى هدانا لهذا ، وما كنا لنهتدى لو لا أن هدانا الله »

٧ / ٤ / ١٩٧٠ . محمد زكريا البرديسى

١٥ — تقرير الأستاذ المحترم محمد طاهر الجبلاوى

— سابقاً من كبار رجال التعليم ، و « إدارة الثقافة » .

— عضو لجنة الشعر « بالمجلس الأعلى لرعاية الفنون والآداب والعلوم الاجتماعية » .

— من أبرز أبناء مدرسة عباس العقاد فى الأدب والشعر ، ومن أوثقهم صلة به ، كما اتصل بالشعراء شوقى وحافظ ومطران ، وقرظه الثلاثة وهو فى مطلع

حياته الأدبية[1] .

— شاعر مفطور أهم دواوينه : « ملتقى العبرات » (١٩٢٥) ، و « هواتف وأحلام » ، و «من بقايا الكأس» وله مسرحية شعرية عنوانها «ديك الحق الحمصى »[2] (١٩٣٠) بالإضافة إلى عشرات من الكتب الجميلة منها كتبه المعروفة عن المرحوم الأستاذ عباس العقاد ، وعن « الكلام فى شعر البحترى والمتنبى » وهو كتاب فى النقد الأدبى،وذلك بالإضافة إلى مؤلفاته عن شاعر الهند العظيم طاغور التى منها «ذكرى طاغور»، و «مختارات من طاغور» وغيرها ...

* * *

« تحية طيبة وبعد :

تفضلتم بإهدائى نسخة من كتابكم القيم «الإنسان روح لا جسد» وما كدت أجيل بصرى فى الصفحات الأولى من هذا الكتاب حتى رأيت روحاً قوية تجذبنى إلى باقى صفحاته وهى لا تقل عن ألفين . ولا أدرى أهى قوة الأسلوب وسلاسة العبارة ، أم هى جاذبية الموضوع والنفاذ إلى لبابه ؟ فقد رأيتك ياسيدى تأخذ بزمام موضوعك ، وتستقصيه، وتسترسل فى التعبير عن أفكارك، وما أكثرها ، وما أنفسها حتى لا تترك زيادة لمستزيد .

إن حديث الروح ، الكلام فيه قديم ، ولعله يرجع إلى ما قبل التاريخ . ولكنك فى كتابك الذى بين يدى تتحدث لنا بكل قديم وجديد ، فتأتى بالفكرة وتشرحها ، وتقدم البراهين القوية على صحتها ، وتسوق التجربة تلو التجربة ، وتثبت مكانها حتى تصبح المسائل العويصة فيها من البديهيات .

كنت أجلس وصديقى الأستاذ العقاد رحمة الله عليه فى إحدى الصحف التى

---

(١) تجد مثلا فى « الشوقيات المجهولة » للدكتور محمد صبرى فى الجزء الثانى ص ١٧٦ بضعة أبيات جميلة لشوقى فى « تقريظ ديوان الجبلاوى » مطلعها : —

دمياط شاعرك الفياض معترف   من نهرك العذب أو من بحرك الطامى

(٢) اسم شاعر وأديب عربى قديم .

كان يحرر فيها فسأله سائل : « هل تنكر الروح » ؟ ولشد ما كانت دهشتنا حين سمعناه يجيب السائل بقوله « بل أنا أنكر المادة » . وكان ذلك سنة ١٩٢٦ قبل تقدم الأبحاث التي تثبت ما قاله العقاد ، مما قامت البراهين والأبحاث الذرية على صحته . أما الحديث عن الروح وحضورها بعد الموت في صورة من الصور فقد سبق إليه العرب في أحاديثهم ومعتقداتهم ، ورووا الشعر الكثير في ذلك ، وقد ذكروا الكثير حتى عن تجسد الروح .

والذي يعنيني أكثر ما يعنيني في كتابك القيم الذي اعتبره دائرة معارف في علم الأرواح هو الشعر المنسوب لشوقي . إن شخصية شوقي لا يمكن استخراجها والاستدلال عليها من شعره كما يقول أستاذنا العقاد ، فكيف بالشعر المملى عن طريق الإلهام للسيدة الوسيطة ؟ وقد رأينا شوقي يمحو ويضيف في مسودات شعره فماذا يكون في الشعر الذي نحن بصدده ؟ !

وإذا كنا لا نستطيع أن نستدل على شوقي من شعره فنحن نستطيع أن نستدل عليه من أسلوبه ، وقديماً قالوا الأسلوب هو الرجل . أما أسلوب الشعر الذي قرأته في كتابكم ففيه الجيد ، والأجود ، والأقل من الجيد مما يدل على أنه غير مصنوع ، فالشعر المصنوع يحكي لنا الجيد فحسب ، أما الشعر الملهم فيحوي الجيد والأجود والأقل من الجيد لأنه يأتي عن طريق الإلهام ، والإلهام يخطىء ويصيب كالتنويم ، ولعل المآخذ التي تؤخذ على أقوال الوسيطة نعتبرها دليلاً لها ، لا عليها[١] .



(١) ونضيف إلى ذلك أن في « الشوقيات » الأرضية نفس هذا التفاوت في المستوى بإجماع آراء الأدباء والعلماء حتى أكثرهم إعجاباً بها ، مثل الأستاذ الجليل عزيز أباظة وهذا التفاوت هو من خصائص كبار الشعراء والأدباء في جميع البلاد ، أما الشاعر العادي أو المتوسط =

وهنا ناحية أريد أن أوضحها فيما روى على لسان شوقى بالنسبة للعقاد ، وهى نقده لشعره فى الحفل الذى أقيم لذكراه ، والحقيقة أن عتب روح شوقى على العقاد فى ذلك بعيد عن الصواب ، فالعقاد هو الذى دعا إلى إقامة الحفل وأشرف عليه ، ووافق على كل ما ألقى فيه كرئيس للجنة الشعر « بالمجلس الأعلى للفنون والآداب » . والذى أعرفه أنه قدّر «شوقى» ووضعه فى موضعه الذى لا يوضع فيه سواه ، وتكلم عن الديباجة الشوقية ودعاه ملك الديباجة، وأظهر نواحى من شعره لم تكن معروفة[١] ولا أقول إن العقاد نقض كل ما قاله فى شوقى أيام حياته كرئيس لمدرسة ، ولكنه قدّره حق قدره ولم يناقض نفسه فى شىء[٢] .

ولا أخفى دهشتى وإعجابى لما قرأته من مشاهد فى مسرحية « عروس فرعون » ، وإن كنت أرى فيها نفس الرأى الذى قدمته عن الشعر : الجيد ، والأجود ، والأقل من الجيد وبعضها يرتفع إلى مستوى المسرحيات الشوقية المعروفة مثل «مصرع كيلوباترا » .

وقد جاء كتابك فى الوقت الذى اشتدت فيه دعوة المادية وطغت على البشر حتى أصبحت تهدد العالم بالفناء ، فما أجدره بأن يقرأ ويقرأ ، ويترجم إلى شتى اللغات ، وأن يلتفت المؤلفون إلى هذه الناحية وأن يكثروا القول فيها حتى تشرق شمس الروح على هذا العالم فتنير السبيل إلى حياة آمنة مطمئنة تلوذ بها

= فلا يرقى شعره أبداً إلى مستوى « الشعر الجيد ، ولا الأجود » ، بل يخسب إلى مستوى الشعر العادى أو « الأقل من الجيد » بحسب تعبير هذا التقرير القيم .

هذا وقد تحدثت عن هذا التفاوت فى المستوى حتى بالنسبة للشوقيات المطبوعة فى كتاب « الإنسان روح لا جسد» طبعة ٣ ج ١ ص ٩٠٤ ـ ٩٠٦ ، ولنا عودة إلى هذه النقطة بالذات فى الباب الأخير من الكتاب الحالى .

(١) ولكن هل قوة الديباجة هى كل مزايا شعر شوقى ؟ ! وهل ينفى هذا الثناء ما وجهه المرحوم الأستاذ العقاد فى هذا الحفل من انتقاد متعدد الجوانب إلى أشعار شوقى الذى كان ـ ولا يزال ـ حساساً جداً لأى انتقاد ؟

(٢) ألا يفسر هذا القول وحده عتاب روح شوقى على المرحوم الأستاذ العقاد ويعطيه ولو بعض العذر فيه ؟ !

البشرية فى المستقبل القريب ، وترى فيها السلام . كنت أروى قول الشاعر :ـ

يا خادم الجسم كم تشقى بخدمته ... فأنت بالعقل لا بالجسم إنسان

فلما قرأت كتابك وجدتنى أقول فأنت بالروح لا بالجسم إنسان فحبذا الروح ، وعالم الروح ، والداعون إلى معرفة الروح ... »

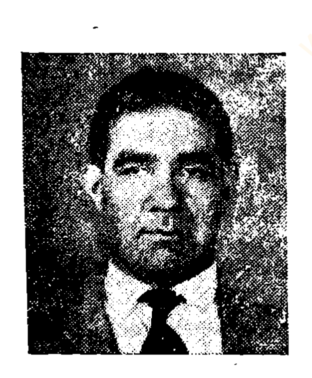
٢٨ / ٢ / ١٩٧٠ ... محمد طاهر الجبلاوى

١٦ — من تقرير الأستاذ الدكتور محمد عبد المنعم خفاجى

— أستاذ الأدب والنقد « بكلية الدراسات العربية » بالجامعة الأزهرية .

— شاعر مقتدر صاحب ديوان « أحـــلام الشباب » ، والعشرات من المؤلفات والدراسات الأصيلة فى الشعر والأدب منها « فن الشعر »،و« الشعر : أوزانه وقوافيه»، و«ميزان الشاعر»، و « العروض والقوافى» ، و« البناء الفنى للقصيدة العربية »، و « مع الشعراء المعاصرين» ، و « قصة الأدب فى مصر» ، فى خمسةأجزاء ، والأخير منها عن شاعرية شوقى، وغيرها كثير يعد بالعشرات.

* * *



« قرأت بإمعـــان القصائد التى وردت منسوبة إلى روح شوقى العظيم فى كتـــاب « الإنسان روح لاجسد » ولاحظت أن فى هذه القصائد العديدة روح شوقى ، وشاعريته ، وموسيقاه ، وأوزانه ، ومعانيه ، وتفـكيره ، وقوافيه كذلك ... والحقيقة أن كل الظروف والعوامل تنفى شبهة التقليد ، فضلا عن فقدان الشاعر الذى يستطيع تقليد شوقى فى كل بنائه الفنى لقصيدته فى الوقت الراهن. إن ذلك كله موضع عجب كبير ... »

كما يقول الأستاذ العلامةأيضاً عن أشعارروح المرحوم الأستاذ حفنى ناصف

« و كذلك الأمر فى القصيدتين اللتين وردتا فى الـكتاب من روح حفنى ناصف

فشاعرية حفنى ناصف وملكاته اللغوية والأدبية والفنية متمثلة فيهما تمام التمثل .. ومن البدهى أن الإيمان بالروح ركن أصيل من الإيمان الدينى ، وأن أرواح الأموات موجودة لاتفنى ... » . ٧ أغسطس ١٩٦٥ محمد عبد المنعم خفاجى

١٧ — تقرير الأستاذ المحترم محمد مصطفى الماحى

— سابقاً مراقب عام وزارة الأوقاف .

— عضو لجنة الشعر « بالمجلس الأعلى لرعاية الفنون والآداب والعلوم الاجتماعية » وعضو « جمعية الأدباء » .

— من أبرز شعراء العصر وأدبائه . صاحب «ديوان الماحى» (ثلاث طبعات ١٩٣٤ ، ١٩٥٧ ، ١٩٦٧) ويتضمن — فضلا عن الأشعار الجزلة الرائعة — دراسات طائفة من كبار الأدباء والشعراء عنها . كما يتضمن «صفحات من قصص الحياة»، وعدة دراسات أدبية وذكريات طريفة عن زاملهم المؤلف من رواد الأدب فى أوائل هذا القرن مزاملة وثيقة مثل المرحومين : محمد المويلحى ، وعباس العقاد ، وأحمد الكاشف ، وعبد الحليم المصرى ، وعبد العزيز البشرى وغيرهم .

* * *

بســــم الله الرحمن الرحيم

« أهدى إلى رجل القانون الكبير الدكتور رءوف عبيد كتابه الروحى الخطير « الإنسان روح لا جسد » كما أهــدى إلى نسخة أولية من مسرحية « عروس فرعون » فشكرته على هديته القيمة وحسبته مكتفياً منى بهذا الشكر ، ولكنه رغب إلى أن أبدى رأيى فيما ذهب إليه فى كتابه ، وأيده فيه طائفة من أجلة العلماء والأدباء والشعراء ، من صدق ما أوحت به روح شوقى الشاعر الخالد من شعر ونثر . فلم أستطع أن أرد طلبته ، وبخاصة أنى أؤمن بصدق رسالته الروحية ، التى أكدها لدى ما شاهدته حين زرت مكتبته الخاصة فوجدته هيأ منها ركناً يحوى مئات من الأسفار القديمة والحديثة باللغات الأجنبية واللغة

العربية مع مجموعات كثيرة من الصحف والمجلات ، وكل ذلك متعلق بالروح وما يتصل به ،وحين علمت أنه شغل نفسه ووقته أكثر من عشرين عاماً — إلى جانب تخصصه فى القانون وتدريسه بالجامعة — بهذه الأبحاث العميقة الدقيقة التى يقصد بها الكشف عن مجاهل النفس الإنسانية ، والتنقيب فى أعماقها ، والبحث عن الحقائق من خفايا الإنسان ، وعن طبيعته الروحية ...

وكفى دليلا على جهوده الشاقة والمضنية إصداره الطبعة الثالثة من كتابه فى مجلدين تبلغ صفحاتهما نحو الألفين ، وليس بعد هذا جهد فى العمل . وإخلاص للعقيدة ، وتفانٍ فى كشف حقائق العلم الروحى ، ودخائل النفس البشرية ...

وليس من غرضى أن أدخل فى صميم الموضوعات المتصلة بعلم الروح . فهذا باب لا تفتح مغاليقه إلا لمن واتاه الله سعة فى الوقت وقدرة على التخصص له ، والتفرغ لسبر أغواره ولكننى أريد أن أسجل أننى لا أصدر حكماً ، ولو كان أدبياً إلا إذا كان قائماً على بينات واضحة ، ودلائل صادقة ، أشهد الله على أنى لا أقول فيها غير الحق ، ولا أنطق فى بيانها إلا بالصدق . والسبيل إلى ذلك أن أدون بعض ماشهدته بعينى وسمعته بأذنى من مواقف تؤكد صدق هذه الرسالة وتدعو إلى الإيمان بها ..

وبعد أن يورد الأستاذ الجليل مثلين من هذه الوقائع الروحية الثابتة التى تحقق منها بنفسه — أحدهما خاص بصديق له من كبار رجال التربية والتعليم كان على صلة وثيقة بروحى ولديه المنتقلين ، وثانيهما خاص بحالة علاج روحى غيابى حاسمة تمت عن طريق فقيد الروحية المرحوم الأستاذ أحمد فهمى أبى الخير — يقول:

وهذا ما يسوقنا إلى الحديث عن الشعر المنسوب إلى روح أحمد شوقى ، وقد أملت روحه هذا الشعر على وسيطة موثوق بها ، وعنى الدكتور رؤوف عبيد بإظهاره للملأ ، ونشره على الناس ، والاستعانة برواد الأدب والشعر فى هذا العصر للإعراب عن آرائهم فى نسبة هذا الشعر إلى الشاعر العظيم

وتولى كثير من الفضلاء المقارنة بين الشعر المنسوب إلى روح شوقى وبين أشعاره التى دونت فى حياته والتى جمعت بعد وفاته ، وانتهى رأيهم إلى وجود تشابه فى الألفاظ والعبارات والأساليب ، مع الفصاحة ، وحسن البيان ، وإلى تطابق كثير من الموضوعات التى كان يكتب فيها شوقى فى حياته وما أملته روحه على الوسيطة بل إن بعض الباحثين سجل وجود هذا التطابق فى المصطلحات والمترادفات ، والمشتقات ، وفى مطالع القصائد

وأضاف بعضهم أن الشعر الملى أمتاز بطول النَفَس وأمتداده إلى مراحل بعيدة ، فى قصائد منها ماجاوز المائتى بيت فى نسق واحد ، وعلى قافية واحدة مستقيمة ، مع إرسال الحكم والعظات مما اتسم به كثير من شعر شــــوقى ، مع تمــاثل واضح فى الاتجاهات الذهنية ، والمقــاصد التهذيبية والقوميــة الدينية وهكذا استقر رأى هؤلاء الباحثين على أن فى الشعر الملى من روح شوقى خصائص عديدة من خصائص شعره الفنية ، ومميزاته الأدبية التى رفعته إلى قمة الشعر العربى فى هذا العصر .

ومن الواجب أن نشير إلى أن بعض الشعر الملى أقل فى مستواه مما عهد فى شعر شوقى من السمو وعلو المكانة ، كما أن به من الهنات والغموض ما كان يستبعد صدوره من هذا الشاعر الكبير وقد تلمس الباحثون أعذاراً أهمهــا أن الوسيطة فى مستوى ثقافى غاية فى البساطة . فليس عجيباً أن يقع هذا القصور فى بعض ما يملى عليها، على أن هذا العذر نفسه يحمل فى طياته برهان صدقها فى رسالتها، إذ يستحيل على مثلها أن تصل إلى نسج شىء من هذا الشعر الصحيح الوزن ، الدقيق المعنى ، الطويل النفس ، وأن تجىء بهذه القوافى الكثيرة

والشعراء بحكم ممارستهم فن الشعر أقدر فى الحكم على مقدار المصاعب التى يعانيها حتى الفحول من الشعراء وهم يصوغون قصائدهم ، ويسهرون الليالى الطوال فى التفكير والتدبيج والتنميق « لا يعرف الشوق إلا من يكابده »

وتلك الأفكار حقائق صحيحة صادقة مقنعة ، ومن العدل أن أضيف إليها أن الوسيطة لم تتمكن فى بعض الأحيان من تلقى ما أملى عليها فى صورته الحقيقية الصحيحة لأسباب قد تتعلق بها ، أو بالروح نفسها ، فدخل على ماسجلته فى إملائها شىء من التحريف والغموض ، ونحن نلمس دائماً فى معظم الكتب التى تخرجها المطابع العربية كثيراً من أمثال ذلك .



ويكفى لمن يريد أن يصدر حكماً عادلا أميناً أن يرجع إلى ما جاء فى تلك الأشعار المطولة التى أملتها الروح قديماً وحديثاً من أبيات ومقطوعات لانزاع فى أنها ترتفع إلى مستوى شعر شوقى الذى أعجب به الناس جميعاً ، كما أنها تبعد كل البعد عن مظنة محاولة التقليد والمحاكاة ، بل لقد يشاهد فى هذه الأشعار تطور ملحوظ فى سمو الاتجاهات والأغراض والمقاصد والمعانى التى أملتها الروح على الوسيطة .

ولما كانت الغالبية العظمى من المتحدثين قصرت البحث على المقارنة بين هذا الشعر وشعر شوقى فى قصائده التى أثرت عنه ، واشتملت عليها دواوينه ، فقد وجدت من الخير أن أقصر حديثى على آخر عمل أدبى متكامل أملته روحه الطيبة ، وأظهره إلى عالم الأدب الدكتور رؤوف عبيد نقلا عن الوسيطة نفسها وهو مسرحية شعرية عنوانها « عروس فرعون » .

وليس بخاف أن الشعر فى المسرحيات أصعب سرداً ، وأشق وضعاً ، فقد تأتى المقطوعة الواحدة ، بل البيت الواحد ، على ألسنة عدة أشخاص مختلفى المكانة والثقافة والبيئة . وتنسيق مثل هذه المقطوعة أو البيت أمر يطلب حذقاً كثيراً ، ومقدرة عظيمة فى الفصاحة والبيان . ومعرفة تامة بالعروض والأوزان ، مع العناية بسبك القول ، وإحكام الحبكة المسرحية ، فضلا عما يقتضيه ذلك كله

من تناسق بين فصول الرواية ، وتسلسل فى وقائعها ، وإحكام لبداياتها ونهاياتها ، وكل ذلك ليس بالمطلب الهين . فقد يصعب على ذوى الثقافة العالية الإتيان به على صورة مرضية ، فكيف به وهو يأتى بطريق الوسيطة البسيطة الثقافة ؟ ! وعلى هذه الصورة الفنية البديعة التى أراها أكبر برهان على صدق هذه الرسالة ؟ !

وما أشد اشتياق الأدباء إلى أن تخرج هذه المسرحية من العالم الروحى إلى عالمنا فتمثل على مسارحنا العربية لتكون أكبر دليل على ما للعالم الروحى من شأن خطير ، ومن سيطرة عظيمة ، وقدرة على الاتصال بالناس فى هذه الدنيا ، ولتكون حافزاً لعلماء الشرق العربى على التعمق فى دراسة هذا العلم ، والبلوغ به إلى المرتبة التى وصل إليها العلماء والباحثون من كبار الفلاسفة فى العالم الغربى الذى وجهت فيه إلى هذا العلم أكبر عناية وأعظم اهتمام . .

ولست أريد أن أسرد فى هذه الكلمة موضوع الرواية الفرعونية ، ولا مواقفها الفنية وأسلوبها الذى جاء على صورة محكمة تدعو إلى الإعجاب، حتى لقد يلحظ أنها عولج فيها ما كان ينسب إلى مسرحيات شوقى من وجوه الأغراض وإنى لأكتفى بما وفاه الدكتور رءوف فى مقدمته الفياضة التى صدَّر بها هذا الشعر ، وشرح فيها مواقف المسرحية ومقاصدها الوطنية الصميمة، التى يحس كل وطنى مخلص أن نشرها جاء فى وقت نحن فى أمسّ الحاجة فيه إلى شحذ العزائم وحث الهمم على دفع العدوان ، وإظهار الوطنية الصادقة .

وها هى ذى المسرحية فى صدر هذا السفر القيم أدعها للقارىء الكريم ليحكم عليها بصادق وجدانه ، ورقيق شعوره ، والله ولى التوفيق ؟

١٩ / ١٢ / ١٩٧٠ محمد مصطفى الماحى

الباب الخامس

نماذج من النثر الفنى
الذى أملاه الروح

تمهيد

بقدر ما كان أمير الشعراء يميل إلى نظم القريض فى شتى صوره وأوزانه وبحوره كان يميل إلى كتابة النثر ، وكان إنتاجه فيه متدفقاً ، ولـكن ليس كإنتاجه الشعرى وهو يتمثل فى كتبه النثرية المعروفة وبخاصة « أسواق الذهب» ، و « شيطان بنتاؤور » ، وروابة نثرية هى «أميرة الأندلس ». بل إن من يقلب فى «الشوقيات» الشعرية يجد فى جزئيها الأول والثانى بعض قطع قليلة من هذا النثر الفنى، ومثلهافى « الشوقيات المجهولة » .

وكان أمير الشعراء يحب أن يسجل — عن طريق هذا النثر المسجوع — بعض خواطره فيما يمر به من مشاهد وأحـداث ، وفيما قد يخطر على ذهنه من خواطر الحـكمة والأخـلاق وغيرهما، وكان ينحو فيه منحى الـكتاب العرب الأقدمين فى « مقاماتهم »

ولا يزال أمير الشعراء محتفظاً بميله حتى هذه الساعة ، وهوفى عالمه الجديد، وكأن شيئاً فيه لم يتغير ، فهو يملى على السيدة الوسيطة أحياناً صفحات متتابعة من هذا النثر الفنى الذى يتضمن نفس طريقته ، ونفس اتجاهاته المعروفة فى الحـكمة وفى الأخلاق ، ونفس أسلوبه فى الجمع أحياناً بين الشعر والنثر فى مقام واحد ، بل فى الجمع أحياناً بين شعره الخاص وبين الاستشهاد ببيت أو أكثر لغيره من قدامى الشعراء أو محدثيهم .

ومما هو جدير بالذكر هنا أن السيدة الوسيطة عندما تلقت هذا النثر لم تلق انتباها إلى أنه يتضمن بين عباراته بعض أبيات شعرية متناثرة أو متلاحقة ، فكتبتها محشورة بين عبارات النثر ضائعة بينها ، إلى أن اكتشفت هذه الأبيات عن طريق المراجعة ، ففصل بين النثر والشعر على النحو الذى سيراه القارىء فيما بعد . وهذا دليل يضاف إلى عديد من أدلة أخرى حاسمة تثبت أن الصلة مقطوعة تماماً بين قدرات السيدة الوسيطة، وبين هذا الذى تكتبه عن طريق الإملاء من وعى آخر

وقبل كل شىء آخر فإن بعض هذا النثر يتميز بخاصية القدرة اللغوية العجيبة التى كانت تميز شوقى فى شعره ونثره معاً ، والتى من خصائصها استخدام الألفاظ المعجمية النادرة التى يتوه فى معناها علماء اللغة الكبار . وهو أحياناً يملى الشروح فيجدها المراجع صحيحة بعد الرجوع إلى المعاجم الضخمة ، وأحيانا أخرى لا يمليها فيتوه المراجع فى البحث عن معانيها فى هذه المعاجم التى لا تحوزها السيدة الوسيطة ، ولا تعرف حتى كيفية الرجوع إليها .

وكما كان شوقى يفعل عندما كان بين ظهرانينا فإنه أحياناً يملى نثراً فنياً عالى المستوى مبنى ومعنى ، وأحياناً أخرى يملى نثراً سهلاً واضحاً لمجرد تسجيل بعض خواطره العابرة وكل هذا سيلاحظه القارىء بنفسه ، وما عليه إلا أن يقرأ ويقارن بين ما هو منشور هنا من شعر ونثر منسوبين إلى روح شوقى، وبين ما هو منشور لأمير الشعر من إنتاج فنى أياً كان نوعه ونطاقه عندما كان بين ظهرانينا . ثم ما عليه إلا أن يراجع ضميره فى النهاية ليسائل نفسه فى الهدوء والسكينة : هل لأحد مصلحة ما فى التقليد ، أو قدرة عليه، أو فى التنصل من مجد هذا الإنتاج الأدبى الباذخ المتعدد الجوانب ؟ ! وهل من مبرر قوى بعد كل ذلك للتأرجح كثيراً بين الشك واليقين ؟ ! ...

هذا وقد تفضل الأستاذ العلامة الدكتور أحمد الشايب ، وكيل كليتى الآداب ودار العلوم سابقاً بالاطلاع على بعض هذا النثر الفنى فكتب معلقاً عليه بالآتى:

« هذا النثر المسجوع كالشعر يمثل روح شوقى فى المعانى ، والنزعة الخلقية والوعظية . والاتجاه ، وهذا يساير رأيى فى شعر شوقى نفسه » .

٢٠ / ١ / ١٩٧   احمد الشايب

كما علق عليه الشاعر والأديب العلامة الأستاذ العوضى الوكيل ، مدير عام « الجهاز المركزى للتنظيم والإدارة » قائلا . « اطلعت على نتف من النثر الفنى الذى أملته روح شوقى على مثال ما صنع فى « أسواق الذهب » ، وهو بسجعه المتكاثر فقرة بعد فقرة ، وموازين جمله وعباراته جملة وراء جملة ، وعبارة إثر عبارة ، وباتجاهه الأخلاقى الذى كان يسود نثر شوقى ، يدل على أنه من قلم شوقى ، وأنه لا يقل دلالة على الصلة بين القائل والمقول من الشعر المنسوب إلى روحه » ...

٥ / ١٢ / ١٩٧٠   العوضى الوكيل

ولأننى تسلمت أصول هذا النثر الفنى حديثاً من السيدة الوسيطة فلم يتسع الوقت لعرضه على مزيد من العلماء والنقاد لاستطلاع رأيهم فيه ، ولا زلت أرحب بأى تقرير علمى محايد يصلنى فى شأن هذا الشعر أو النثر ، مقراً مقدماً بعجزى عن الشكر والعرفان ، لكل من يريد أن يحمّل نفسه مشقة بحث هذا الموضوع الذى تحف به أعلى درجات الخطورة من كل جوانبه .

١ ـ تحت عنوان: «العمر والزمان»

وقفت أرقب فى حذر، جوالاً فى دنيا القدر، مضنى بوعثاء السفر، هدته غائلة[1] البشر، بين التصارع فى عِبَرِ، ما طال منه وما اقتصر، وبين جائبة[2] تذر[3]، فالضائفات لمن حضر، يأسو لفرقة من عبر، والسارى عمره فى صرر، فاهتاج الجائل للصور، ورنا وأشفق واعتبر.

قلت: أخا الحى ما بالك، وفيمَ انشغالك، وهذا التهالك؟ فروْعك وبلبالك، ينم عنه حالك، فرمقنى فى حنين، وصافحنى باليمين، كأننى المؤئل الأمين، لإعلاء اليقين، فأوضح فى أنين، حيرته فى العائشين، وفى فحوى السنين، وساءلنى فى همس رصين، عذب الرنين:

قل لى بحقك ما العمر؟ وابسطْ فرائده[4] الـكثر، لأصون صفوها فى الأُطر[5]، وأرى الشجية[6] للنذر[7]، أتراه فى دنيا الـكـفُر[8]، طوق التأجج بالسُمُر، ينساب طيفه بالضُمُر[9]، لا الطيب منه ولا القَطَرْ[10]؟ وتراه فى دنيا الطموح، سـوقٌ[11] لأبواب الفتوح، يفضى لِصَيرٍ[12] فى السموح[13]، حيث العلامسك يفوح، يرقى إليه المهتدى ويروح؟

أتراه للإنسان منحة، والعقل يخلق منه دوحة، إذا ازدهرت دامت لفُسحة[14]، أو أقفرت بادت بلمحة؟ أتراه سفر فى الزمر[15]؟ إن شاق طوله[16]

---

(١) الشر والداهية.
(٢) الخبر الشائع.
(٣) تفرق.
(٤) التى لا نظير لها.
(٥) جمع إطار، ما يحيط بالشيء.
(٦) المحزنة.
(٧) ما يحذر من العواقب.
(٨) جمع كفور.
(٩) الهزال وخفة اللحم.
(١٠) العود الذى يتبخر به.
(١١) حث.
(١٢) منتهى الأمر وعاقبته.
(١٣) الجود.
(١٤) لمدى من الزمن.
(١٥) الجماعات.
(١٦) إن كان طوله شائقا.

وانتشر ، يطالع قوماً بالغرر(١) ، فيروه منظوم الدرر ، يقضى الرغيبة والوطر ،
ويمد طائلة(٢) الزهر(٣) ، وإذا تلفف(٤) وادثر(٥) ، يطوى الصحائف بالـكدر ،
فإذا المصون المدخر ، فقد المعالم واندثر ؟

ثم العمر كيف بدا ، وبأى أسلوب شدا ، وكيف للحى اهتدى ، وكيف صار مؤيدا ، ممن وعى واسترشدا ؟
وفيمَ تغاير الأعمار ، كتغاير الليل والنهار ، والكواكب والأقمار ؟ وما سر الازدهار ، ثم ما التهاوى والانهيار ، بين أطوار وأطوار ، بغير سابق إنذار ؟



شوقى فى شبابه

ثم ما نسبة العمر إلى الأزمان ؟
ولماذا يتحكم الزمن فى حياة الإنسان ، وكيف ومتى ، وفى أى مكان ؟ وما سر شقاء امرىء بالقلق والهوان ، وما استقرار آخر بالعزة والأمان ؟ فهذا وذاك يسعيان ، وسماتهما بالواقع لا تنطقان ، حتى تخالها فى الخلق سيان ، أو يظن أنهما فى الأهداف ندان ؟

قلت : مهلا كفاك أطلت السؤال ، وما ضقت ذرعاً وماني ملال ، ولكن يحق اختصار المقال ، فهوّن عليك ودع لى المجال ، وخذ من صوابى ، وذر بالضلال ، وحكمك يسرى على كل حال .

صاحِ ما العمر إلا فينة عرضت ، بأمر الخالق فرضت ، لولاها الخليقة

(١) الغرر : جمع أغر ، وهو أول الشىء وأكرمه . (٢) طائلة : هبة .
(٣) الزهر مثل الغرر . (٤) اشتمل بالثوب . (٥) ادثر : اشتمل أى انطوى بعكس انتشر .

انقرضت ، فما خفقت ولا نبضت ، ولا سمت ولا نهضت ، بل نازعت ومرضت ، ونسماتها قبضت .

العمر نبع يجود ، يلاحق العود ، ليملأ كأس الوجود . فمن تطلع للّبود[١] ، تعلق بالورود[٢] ، وتذوق الموجود ، لنماء ممدود ، وإيناع وورود ، ومن تنحى فى جمود ، تلاشى فى قبض الرقود[٣] .

والعمر مضمون[٤] ومعنى ، بهما الكيان يُبنى ، والإيجاد يكنى ، وتطيب فى الأرض سكنى ، لتهيئة ما به يعنى ، فمن شوّه المضمون يَضنَ ، ومن أجاد فإلى السمو يدْنى[٥] .

أما المضمون فهو صور وفنون ، يوضحها العائشون بما ينهجون ، فيجاهدون ويحسنون ، وينقون ويجملون ، بهجة للعيون ، بغير غضون ، فتدخرها السنون ، لمواجهة المنون ، وإذا هى عدة ليوم يبعثون .

أما المشوّهون ، فلا يقدرون ولا يأبهون ، لما هم عليه مقبلون ، من هول ودمع هتون ، لسوءة المضمون . والمضمون سعى وعمل ، وأهداف وأمل ، وبناء بغير ملل ، لإقامة الصرح المكتمل ، فتقصى العلل ، لاتقاء الخلل .

فإذا المضمون استقام ، وملأت مفاخره الأيام ، وخط السوىّ بخير يرام ، بمآثر الفعل لا بالكلام ، يُستعلن المعنى عند التمام ، يوم يثاب المجاهد ولا يلام إذن فضون الحياة الأرضية ، يتركز على الأهداف المعنوية ، التى تقيم الدليل والحجة القوية ، على أن الاتجاهات السوية ، هى المقاصد الأدبية ، التى رسمت فى روية ، بغية استعطاف العزة الإلهية ، للسماح والمشيئة بعد الساعة الحتمية ، لكى تكتب للروح حياة النعيم اللانهائية .

---

(١) الإقامة فى المكان .
(٢) ورد الماء : صار إليه بلهفة
(٣) قبض الرقود : الموت .
(٤) معناه هنا : العمل فى الدنيا استعداد لما وراء الموت .
(٥) يقرب

وهذا هو المعنى القائم ، نتيجة لمضمونٍ قوىٍّ الدعائم . وهذان التوأمان هما القوائم ، التى تسمو بالوجود الملائم ، وتخلد آثاره بأبهى المعالم .

وإذا كان لكل أجلٍ كتاب ، فمضمون الكتاب والمعنى يستهدفان الإعراب ، فإذا أفصح الإعراب عن الصحيح المستطاب ، جاء حسن الجزاء والثواب ، أما إذا كان العكس فقد وجب العقاب ، وعلى ذلك فبدقة المعنى يسوى الحساب .

أما كيف يبدأ العمر ؟ فالحقيقة المحض ، أن شأنه شأن البذور فى باطن الأرض ، بإذن الله تقوى وتتأصل ، إذا سلمت من المبيدات والقرْض (١) ، والعمر سر يكتب الخالق صفحاته بفيض ، وتبقى طياته فى بطون الأمهات ، حتى يتميّض المكنون أن يفض ، فيظهر ذو عُمرٍ ، كما يظهر الطائر الدارج من القيْض (٢) .

وأسلوب العمر إما باستطالة وإما باستحالة ، فمن درج طويل العمر رسم آماله ، بما يُنطق حاله ، ومن دحض الفناء مناله ، نأى عن المرسوم فما ناله .

والعمر يسعى إلى الصدور ، كما تسعى عوامل الإحياء إلى البذور ، وكما تسعى إشعاعات الشمس إلى الظهور ، لاستعلان النور ، وكما تهتدى الزهرة إلى العود ، بغير قائد ظاهر يقود ، بل بإيعاز من أهداها الوجود ، هكذا يهتدى العمر إلى الموعود .

ولا يقدّر قيمة العمر إلا ذو حجة ورشاد ، ومن بمنهجه أفاد واستفاد ، وكنْ خالص الإخاء والوداد ، لكل العباد ، وسطر المضمون والمعنى بوعى وسداد . أما المخبول فلا يدرك . وما هو بالعمر مستمسك ، ولا أهداف له تقوّم المسلك ، وإذا شوه الواقع بما يهلك ، فليس له وعى ليستدرك .

أما اختلاف الأعمار وتغايرها ، فهو لا ريب متوقف على أعراض تسايرها .

---

(١) الفناء أو الزوال .

(٢) قشرة البيضة .

فاستطالتها تترتب على نص يؤازرها، بما يسبّح حولها وينا صرها، ويهيء لها بالسلام وفاقاً يزهرها، فإذا انعـدم النص فنى ناضرها، بأحوالٍ نـكصتها على عقبها، لتدثرها[١] .

فالزمان بحر فيضه زخر[٢] ، والعمر نقطة من قطر[٣] ،وطالما نزل القطر فاض النهر،فإذا بطل القطر،امحت معالم البحر. هكذا نسبة العمر إلى الأزمان، فطالما بقى عمر الإنسان بقى الزمان ، وبآخر عمر للإنسان يفنى الزمان .

والزمن دافع مدفوع ،تابع متبوع ، سامع مسموع ، وإذا هو خاضع لنفوذ مشروع ،يخوله حق التحكم فى الجموع، فإنه يمتثل لسلطان موضوع ،محكم الموضوع، يوحى بمساندة المرفوع، إذا استشرى الينبوع،ثم يومىء بالحث على الهجوع[٤] ، ليقصى إلى غير رجوع، يوم تتـكسر الدروع ، ويبطل النزوع[٥] .

أما أن الزمن مـدفوع بقوة القوات ، وتابع لمشيئة السموات ، وسامع للمنطوق الأسمى فى اتزان وثبات ، فهذا حق بغير افتئات . وبموجب إعلان المسوغات، التى تخول الزمن كلية الإنصات ،ودقة الأهبة لتنفيذ أقدس الرغبات، فهو يدفع الناس ليذرعوا العاجلة[٦] ،إلى أجل وميقات ، ويتقدمهم ليتبعوه جرياً وراء الرغبات، ثم يذعنوا إلى الانزواء والممات ، عند سماع صوت الزمن المنادى بالـكف عن المناوآت.

فهذا الزمن الأبكم الذى يواجه الأعمار ، ولا يتكلم، بل يوقف ويحد ويتحكم، إنما هو آلة فى يد متصرف أحكم[٧] ، ما يوقفه على أمر ما سوّى وأحكم[٨] ، ويأمره فيأتمر ،ويعلن ما تحتم ، فإذا الزمان أقدم،واستنفد الطاقة وما أحجم، فهذا

---

(١) لتمحوها ، لتهلـكها . (٢) زخر: امتلاء . (٣) قطر : ماء سائل.
(٤) الاستسلام للنوم . (٥) الاشتياق إلى الشىء . (٦) العاجلة : يقصد الدنيا التى لا تبقى . (٧) أكثر حكمة . (٨) أحكم العمل . أتقنه .

هو السر المحكم، الذى بموجبه ينفذ القضاء المبرم ، فلا عجب إذا بتّ وألجم ، وطالب بالرضوخ وألزم .

والزمن إذن هو منجل الحاصد، يلاحق الطرائد[١] ، ليطوّح بالمقاصد، ويبعث إلى البائد، بلهفة المناشد[٢] ، وهذا يتحكم وهو سائد ، محتمياً بلواء القائد، الذى يظهر بمظهر المعاند ، وهو لتدعيم الأمن شائد، يحصد من يتصدى لطريقه واحداً فواحد ،فتعلن الحقيقة أنه خير مجاهد.

وكما أن النواميس الطبيعية تقترن بالدقائق الزمنية ، وتقلب الصفحات المطوية ، كلما انقضت فترة زراعية، لتفسح بالمناهج الواقعية، سبيل المدارج النمائية ، لإظهار غرس بخصائصه الفطرية، فى فترات ملائمة للتقارير السماوية ، المرسومة فى الأحوال الجوية، لا برغبة الغرس الإرادية ، هكذا الحياة الإنسانية تقتلع لتعقبها أحياء فتية، تقضى فتراتها الأرضية، إلى أن يتحكم فيها الزمن بروية، فتستسلم للمنجل راضية بالوسيلة والكيفية .

وكلما دقق الزمن وأمعن ، وراقه الناضج والأحسن ، ونبهه الحد بما استحين[٣]، دق الناقوس وأعلن، أن الاستدعاء أنسب وأثمن، لمن ابى وأذعن، واغتبط وأيقن، أن المروح امتداداً أمتن، حيث النعيم يستوطن .

عندئذ يُمتدح تحكم الزمن فى حياة العباد، للموازنة بين الزرع والحصاد ، وتهيئة الظروف مراعاة للإيجاد ، بتوافق واستطراد، حيث تتعاقب الأجيال لخير يشاد ، بعد تخفيف الضغط عن الأوطان والبلاد .

ولولا تعاقب التجديد ما نقع[٤] القطر ولا أفاد، ولا جاد بمغنم ولا أجاد .

---

(١) المطاردين بالصيد. (٢) المناشد : المستعطف . (٣) تخير الحين المناسب .
(٤) نقع : ينقع الماء فى بطن الوادى فيتجمع ويطول مكثه .

وما كان الوجود ليزدهى ، إذا وقف الزمن على الحياد ، وأنكر ما بينه وبين الأحياء من ميعاد

والزمن يطوف بالأرجاء ، وقوراً فى غير استحياء ليسترد الودائع السمحاء ، ويوفدها إلى مكمن الخلد والبقاء ، وهو يجوب الأطراف والأنحاء ، ليستحوذ بغير استجداء ، طالما حلت ساعة الوفاء ، لتقديم الحقوق المقضية بفحوى الرضاء ، امتثالا لإمرة خالق الأرض والسماء .

والزمن دائب العمل لا يستريح ، وميدان كفاحه ممتد فسيح ، وهو يستدعى المعافى والصحيح ، والمتمرض والكسيح ، وله من الوسائل ما يستبيح ، لإعلان الحكم الصريح . كما نفذ السهم فى اتجاه صحيح ، ليصيب هدفاً بغير استئذان أو تصريح .

٢ ـ تحت عنوان « الشقاء والسعادة »

الناس فى الشقاء نوعان : نوع تشقيه الحدثان ، وآخر يبحث عنه فى صفحة الأزمان ، وشتان بين الوجهتين شتان ! فلتباين الشقين[١] تبيان، غنى بظواهره عن الإعلان ، ولا التباس فى القرائن والبيان . فالحالتان فى المواجهة تختلفان ، فهذا الذى ترميه الغِيَرُ[٢] مكرهاً يهيم بالأحزان ، ومن ينقب عن الشقاء عامداً يلاحقه القلق والهوان .

فالمرء إذا لفحته[٣] السواهك[٤]، واجتاحته أعاصير المسالك، وقصرت فى تلافيها المدارك، أطبقت عليه المهالك، وخذلته بخسران المعارك، فيعيش يندب حظه فى حزن فوق الأرائك ، ويتلمس العزاء فى حرمة المناسك .

أما الذى يتعلق بغرور الجهل ، ويختلق الرَّطَمَ[٥] فى السهل ، ويشذب السوىّ[٦] فى غفلة العقل، ويشوه السلام من بعد صقل ، ويهرِّىء[٧] الإخاء بالحد والنصل، ويستخدم الكيد للتنكيل بالأهل، ويعكر الورد فى صفوة النهل، ويموِّه[٨] على الرونق بالرياء والختل، ولا يحتاط من عثرة ترديه فى الوحل، فإنه يحيك ثوب الشقاء والهول ، ويطوق نفسه بربقة القلق والهوان بغير حل .

وذلك يباعد بينه وبين الاستقرار، فيضرب البلبال[٩] حوله الحصار، وينزل به العثار، ومع ما يحيق بسقم الرأى من دمار، فإنه يسعى إليه بإمعان وإصرار .

---

(١) فلتباعد الجانبين . (٢) أحداث الدهر. (٣) أصابته .أحرقته
(٤) الرياح التى تمر مروراً سريعاً ؛ الزوابع .
(٥) الأرض الغير المستوية ذات القلاقل. (٦) يقطع مالا يحتاج للقطع أو التنسيق .
(٧) يسقط لحمه عن عظمه (المتشبه) .
(٨) يزور عليه الأمر ويلبسه خلاف ما هو عليه . (٩) شدة الهم .

إنه يلاحق المنغصات فى الدنا ، و يتشبث بأطياف الضنى ، ويعبث فى ضوءة السنا، لذلك يروّع إذا اكتنفه العناء ، وباعد بينه وبين المنى، وما فى الحياة من أرطاب الجنى، وما فى السعادة من ذخر ومقتنى .

إن سر شقائه حماقة وعناد ، فهو يرتاد الجهالة كالدويبة[١] فى الوهاد[٢]، ويسلك بالتواء كالعناكب فى القتاد[٣] ، ويعيش فى ظلمة الغى يختصم الرشاد ، و يكثف حجاب المغالطة لينأى عن السداد، ويأبى على وعيه مراساً بمؤهلات الحكمة والمعرفة، فلا تجانس فى ميوله ، ولا يرى فى سطور الحياة إلا حلكة المداد

إنه ساهٍ لا يفيق ، ولا يعبأ باعوجاج الطريق ، ولا يعرف لعمره قدراً يليق ، بل يغبن نفسه بعسف و ثيق ، ويصيبها بجرح عميق ، يقودها إلى هلاك سحيق ، حيث لا تلقى حنان الصديق ، ولا معونة الرفيق .

أما الاستقرار فبالهدى إذا بلج[٤] وبدا ، ومد إليه الإنسان يدا ، وعاهد أن يحيد عن السدى[٥] ، وحينئذ هلّ السعود المرتجى ، وأفاض الأمن توددا ، بالشائقات لمن شدا ، وأقام الحق تعهدا ، يرعى القرير[٦] إذا اهتدى ، لتخف غائلة الردى ، ويرى الأبى المقصدا ، أمناً للروح على المدى .

فالحكمة هى التى تؤمن ، وتبعث السلام وتطمئن ، واستنباط الحق بما يضمن ، هو للوعى خير مسكّن . إنها إشراقة المعرفة فى الإصباح[٧]، هى التى تنشر إشعاع التبيان والإيضاح ، مجلوة المعنى باليقين والإفصاح ، لتعلن أن مغنم الأرباح ، يكون بالتقويم والإصلاح ، لجلب مرضاة الرحمن بالسماح ، وتهيئة استقرار الدارين للأرواح .

---

(١) تصغير دابة . (٢) جمع وهدة وهى الأرض المنخفضة .
(٣) شجر صلب له شوك كالإبر . (٤) وضح وظهر . (٥) عن الباطل .
(٦) الذى جف دمع عينه من السرور . (٧) مطلع الأيام .

ففي يقظة الحجى يقر الوعى منهجا ، فيعلى ما أثلج ويفصم ما شجا ، حتى إذا الليل سجا ، واشتدت حلكة الدجى ، ترى الروح للفجر مدرجا ، يرشدها إلى حيث يمتد سلامها فى العالم المرتجى[1] .

بهذه المدارك وهذا العرفان ، تزدهر دوحة العز والأمان ، وتسعى رغائب الأذهان ، للتعمير والبنيان ، وصد مناوأة الزمان ، فيستقر الإنسان ، ويهدأ الجنان[2] .

والمستقر لا يتقلقل ، بل يحيا ليميز ويتعقل ، ويتأنى ويتأمل ، للبحث عن الأفضل ، فيناضل ولا يتعلل ، ولا يسهو ولا يغفل ، بل يجاهد ليتوصل إلى سر الحياة الأكمل .

هكذا تسير الأعمار ، تكتنفها الأسرار ، بين أطوار وأطوار ، وتلاحقها الأقدار ، بتعاقب الليل والنهار ، إما بالإكدار للهدم والدمار ، وإما بالفخار للرفعة والازدهار . والأعمار مهما امتدت على الأرض ، هى من عمر الزمان ساعة أو بعض ، ومهما طالت لابد أن شملها يرفض ، إذا هجم الحتم وانقض .

فاحذر العمر غداة يفنى ، وانقش جميل المضمون والمعنى ، واعدد لنفسك أصلح مايقنى ، لتستريح ولا تضنى ، يوم يقال جئت بالحسنى ، لتنعم فى النور بالسكنى

قم لعمرك وفه النصاعة[3] ، وقدم فى ساحته أقدس بضاعة ، وحصن نفسك بالعزة والمناعة ، واتبع المثل العليا فى عزم ووداعة ، لتبدو شائقة لماعة . قم نقب عن الحق فى ذاتك ، واحذر ضياعه ، واعقل إنما العمر ساعه ..

---

(١) عالم الروح . (٢) القلب (٣) شدة البياض

٣ ـ تحت عنوان: « الأخلاق »

الأخلاق في أفق الزمان، عمد الإشادة والبنيان، يربطها الحكيم بالعقل والجنان، لرفعة الشان، في ساحة السلام والأمان، لا للمذلة والهوان .

والأخلاق حرز الأمان، في حيز الإمكان، توضح للعيان، ما يصنعه الإنسان، من خفي وعيان، يعرف البواطن بالعنوان. والرفعة والمذلة في الخلق ضدان، هيهات في واحد يأتلفان، فأحدهما طبع حليف الزمان، والآخر تطبع زائل الأوان، والمألوف لا يعوزه تبيان إن الطبع والتطبع متناقضان مختصمان لا تحالف لهما في السعي ما كان.

وسوءة الخلق مذمة، تدك ما ارتفع للقمة، وتثبط العزيمة والهمة، فما كانت للفضائل متمة، بل هي نذير الهون والذمة، وهي سبة عار في كل أمة. سوءة الخلق تهيض جناح المحلق، الذي يرنو إلى السمو ويدقق، لكنه عاجز لا يحقق، فسوءة خلقه تشوه ما ينمق، وتنثر هباء ما يوثق، ومهما جاهد ليرتق، يثور الطبع ليمزق .

ومن ساء طبعه فمن يجاريه، ممن يتعظ بفحوى جاريه، ويطلع على ما يداريه، وحينما يغضب بشأن الخلق باريه؟! ألا إن سوءة الخلق هدامة تقوض، فما هي بمربحة تعوض، ولا هي بمهذب يروض.

ولنعد بحجانا لنعرف أن الأخلاق السامقة [١]، مستوياتها فائقة، تعجم الأعواد الباسقة، فتشتد قوية متناسقة، تؤتي الثمار اللائقة. وهي من الحق واثقة، بوسائلها الشائقة .

الأخلاق العالية، درر غالية، تضن بها النفوس السامية، لتجنبها خسة بالية. هي الأخلاق في الأمم، إذا استقامت بالشمم، حصنت من التزم، بمراعاة القيم، لتصون من سقم، إذا الغي [٢] احتدم، فترد غائلة الندم. والأخلاق إذا سمت، يدنو قطافها كلما نمت، فهي مغنم إذا تقومت، بها نفوس ترنمت، بشذى عبيرها وتنسمت

---

(١) العالية ، السامية (٢) الضلال .

وإذا الطبائع جملت، ترى المآثر كملت، وازدهت بما حملت، لو بحكمة استكملت، وبيقظة وعى قوبلت، فما أهدرت ولا أهملت. والإطناب إذا المكارم أبدعت، باستفاضة أينعت، فى مضارب أجيال وعت، وضنت بما جمعت، لترى طلائع اليمن سعت

هى الأخلاق الحيدة تؤتى الفعال السديدة، والأقوال الرشيدة، وتؤدى للمواقف المجيدة، فإذا الأمم سعيدة، بالنتائج المفيدة، لأجيال عديدة، وحياة مديدة.

ولرفعة الأخلاق فمل عجب، فهى تقضى على ما يوجب الكرب، وتتوج النصر بالأدب، وتحمى الضمير من العطب، وتقى العين توهج الذهب، فلا تجد للأطماع من سبب، وهى تغنى عن الرتبة والنسب. فرفيع القدر ليس يعليه لقب.

والخلق إذا استقام، سعد المرء فى سلام، يقيم الإخاء وينفى الخصام، فيأمن جانب الأيام. فما أحوج الشعوب للتمسك بالأخلاق القويمة، تنقى صفحتها من كل معوجة ذميمة، فتتجنب المنغصات الأليمة، وتصبح على بينة بمصيرها عليمة، إذا صوبت الأهداف عليا مستقيمة. فكم تغنى المجد منذ عهوده القديمة، بالأخلاق الباسقة الكريمة.

وإذا كان التاريخ قد تغنى بأخلاق مميزة، حين ازدهر مجدها، فهل دالت دولة المكارم وباد عهدها؟ وهل حسر الجزر فيضها، وتراجع مدها؟ وهل توارت رفعة الأخلاق، وغرب قصدها؟ وهل أنكرت الحياة أن فى المكارم زهوها، وفيها مجدها؟

عجبى من ضجة أثارتها الأقلام، تومىء إلى ما يعانيه العالم اليوم من آلام،

وهو يصعد أنة يثور بها على الأيام، ويعيب على الدهر تنكره بالتقريع و الملام، كأنما الأخلاق أغربت بلا دوام، وما دار بالخلد أن الأدران والأسقام، ينخر سوسها فى أخلاق الغافلين عن الذمام، وما كان البعض كُلًّا حتى يؤاخذ أو يلام .

ماذا يجدى تغافلنا عن الحقيقة وتغاضينا ؟ ولماذا الحسرة على حاضرنا والإشادة بماضينا ؟ أليس حقاً أننا :

نعيب زماننا والعيب فينا وما لزماننا عيب سوانا ؟

لماذا لا نجتث جذور العلة التى تكاد ترديناً ، فنقضى على الأسباب التى استنفدت دمع مآقينا، لنعلى شأن النفوس، ويصبح حلم الرقى فى الصحو يقيناً ؟

لا بد لكل حر أن يرقب المستقبل المجيد، فيتدافع بشهامة وعزم وطيد، ليصل إلى ذروة الكمال العتيد، ويحقق ما يصبو إليه الفكر منذ أمد بعيد، وهكذا يقضى على تدهور الأخلاق بيد من حديد . ومن أعرب عن أمل وحققه، فهو البطل الصنديد، الذى إذا أقدم حقق بالإقدام ما يريد .

٤ — تحت عنوان : « السمو الروحى »

السمو الروحى صفة قدسية ، تستمد من الحكمة الإلهية، لتجمل القيم الخلقية، وتنير البصائر باستضاءة روحية ، وتقود الخطى فى نزعة أبية ، يحددها الصواب بقوته الفعلية ، وما يمليه الفكر من دوافع قوية ، تهدف بمقومات الكمال إلى المجد والحرية ، وعدم الانقياد للمغريات الزمنيــة ، فترقى المشاعر فى يقظة وحيوية ، وتستوحى الأفضل من صفاء الأبدية .

تلك الصفة القدسية، بما تشير إلى الارتقاء تنير البصيرة المستضيئة ، وتفتح للهدى أشرف باب ، فتروى النوازع ، لتستوحى القويم المستطاب ، وتقود للترفع عن الدنايا فى الشيب والشباب .

والسمو الروحى لا يُقتنى بمال ، وما هو حلم أو وهم أو خيال ، بل حقيقة متغلغلة فى الأوصال ، تُشعر النفس بالرقى والعزة والكمال ، فتقيها التــدهور والانحلال السمو الروحى وليد يقظة الضمير ، يشع نوره وسط الظلام كأنه الكوكب المنير ، يهتدى صاحبه دون التخبط فى الدياجير ، ليلمس عن كثب أنه سيد نفسه ، لا عبدها الأسير ، فيطالعه من كبح جماح النفس خير بشير ، فإذا المكارم فى ركب نصرته تسير .

وأنى سار تخطَّى العقبات ، فما يأتى إدّاً (١) يغضب ربّ الكائنات وهو لا يخلق ضيماً أو يثير المشكلات ، فهو رفيع النفس ربيب المكرمات ، وهو هَدْىٌ ، وهو فى الغدو والرواح يُلقى العظات .

فعلموا أولادكم كيف تسمو أرواحهم ، فتضمون السمو إيمانهم وصلاحهم ،

---

(١) الإد: الأمر الفظيع .

فهى الفضائل التى يبنى عليها كفاحهم ، فيسعى إليهم فى يوم الكفاح نجاحهم . وما أحوج العالم لهذا النبــل العالى، يحرزه كل فرد إن يبالِ ، فترقى الشعوب بعضونه إلى المعالى ، مكالة بأكليــــــل مجد أغلى من اللآلى ، وتمحى بسموها ظلمة الليالى .

ومن سمت روحه لا يندب الحظ العاثر ، بل ينتصر على الحياة انتصار الظافر ، ويتغلب على الصعاب بصمودٍ قاهر . فالسمو الروحى إذا جلّ الخطب فعله الساحر ، الذى يطوى المعاثر ، ويعلى المفاخر .

وفى السمو إباء عجيب، يبطل النحيب ، ويزيل الوجيب ، فإذا طيف المجد قريب ، إذا ناداه يجيب . السمو الروحى هو زاد المجاهدين ، الذين يتذاكرون مجد الأولين ، فيبطلون التغنى بالماضى والحنين ، ويهبون ليوثاً باعتداد ، للنضال متوثبين ، ليشيدوا صرح المكارم فى قناة لا تلين ،ويسعدوا بنصرة الظافرين .

فاسمعوا لحن الحياة المثلى فى شدو جميل :

إن توارى النصر حيناً   كيف يجدينا العويل ؟
هل بندبٍ أو بكاءٍ   يرتجى العز الأصيل ؟
ما بهذا أو بذاك   عزمنا يبدى الدليل
إنما بالحــزم تزكى   شعلة المجد الأثيل

* * *

فى صمـــــود الواثقين   نهجنا صبر جميــــــل
غاية المنشود نرجو   فى وفاءٍ لا يميل
ثم يبقى ما بنينــــا   للمدى جيلا فجيــــــل
إذ يعلّى مجد قوم   ليس فيهم من ذليل

* * *

والرزايا سوف نمحو بالسمو والكمال
لا يقوم البخل فينا لا ولا عبّاد مال
نعبد المولى بحمدٍ قانعين بالحلال
إذ ندوس الكبرياء لو تهادت فى دلال

* * *

والكسالى نزدريهم والدعاة الكاذبين
ثم نقصى عن حمانا الخادعين الغادرين
لا يرى فينا مريب يحتمى بالظالمين
لا حقود نرتضيه فى عداد الغالبين

* * *

نعم يجب أن يقضى على النقائص ، فهى علل الشعوب فى كل بلد ، تفتك بالحياة ، وتفت فى العضد ، وتترك الحر بغير سند ، يخوض نضالا طويل الأمد ، والعبرة بسمو النفوس ، لا بكثرة العدد .

فماذا تفيد الشعوب ممن داء خلقه عضال ؟ وكيف الوصول المجد إذا ساء المآل ؟ وتفشى انحطاط ، وخط الهزال ؟ حتى تهاوى الحماة ، خاملين باعتلال ، وبدوا كأشباح ، لا تترك أثراً على الرمال . تلك أوضاع لعمرى تردى فى بئس حال ، فمن اتكأ على الذراع الهزيل ، تعثر ومال .

لهذا وجب على الشعوب أن تجتث الهنات ، لتطهر أدران الأوساط والبيئات ، ولا يرتضى شعب ناهض لبنيه نقصاً فى الحسنات ، بل يقضى على مساوىء الخلق بعزم وثبات . فالرذائل الروحية تقود للرجعية ، وتخمد أنفاس الحرية ، وتورد الجهاد موارد المنية ، وتقضى على الأمانى القومية ، وتضير ارتقاء الشعوب الأبية .

وكل دولة فى العالم أدرى بنقائص بنيها ، وكم عيون فاحصة ترقبها وتندد بما فيها،ولسان النقد يمطرها هجواً وتسفيها ، فلا يصح للشعوب أن تدير الرأس لتخفيها ، أو تتغاضى عن مساوئها ،فلا تعمل على تلافيها .

وإذا تخيرنا الإفصاح ، للتدبر فى أمر الإصلاح ، والحث على ترك المستهجن والتمسك بالصلاح ، فالنصح دواء يحض على النجاح والفلاح ، ويوجه البصائر إلى نور السمو الوضاح . فانظر إلى النقائص وازدريها ، وحىّ على الفلاح ، ثم استمسك بالفضائل ، وجاهر بالنهج المباح .

٥ ـــ تحت عنوان : «الفضائل والرذائل»

عبادة الله

إذا كانت مخافة الله هى تاج الحكماء منذ القديم ، فالإنسان الحكيم . ذو العقل السليم ، هو من آمن بالخالق العظيم ، الرحمن الرحيم ، الذى خلق العالم من سديم ، والإنسان من أديم ، وهو بما فى الصدور عليم له السلطان والسيادة ، وهو وحده مستحق العبادة ، فمن توانى عن الخضوع أباده فليكن الإيمان رائد الأخلاق ، وله القيادة .

البـر

المؤمن إذا أثرى ، وانته الخيرات تترى ، فالبر بالمسكين أحرى ، فيهنأ فى الدنيا، ويثاب فى الأخرى

القناعة

من جعل الخيرات مشاعة ، فقد أثبت القناعة ، ويد الله مع الجماعة ، إلى قيام الساعة .

الوداعة

الوديع المترفق ، نبعه عذب متدفق ، يستسيغه المتذوق ، وكل وديع متفوق .

الشجاعة

المتفوق الشجاع الهمام ، المستبسل المقدام ، هو عند الملمات عماد وقوام ، ولن يهزم أو يضام ، فإذا تزعم سار إلى الأمام ، رافع الرأس معتدل القوام .

التقـوى

بالتقوى إصلاح السير ، وهى تخفف مخبآت الأيام الغبر ، فمن اتقى الله فى الصغر ، سندته الصالحات عند الـكبر .

الأعمال الصالحة

ما غير الأعمال الصالحة فى الدنيا ، تجلب رضاء الخالق فينعم بالسماح ،وهى ترس يقى النفس من غير المباح ، فمن رأى خيراً وعمله ، هدأ واستراح .

المودة الأخوية

أى خير ترتاح إليه البشرية ، أفضل من المودة الأخوية ؟ فهى تعف النفس عن الأذية ، وتسمو بالروح إلى الذروة العلوية .

التعفف

من عفّ اللسان ، اتقى العصيان ، فإذا كماله بادٍ للعيـان ، لا يعوزه تبيان ، يعيش مع الناس فى أمان ، وبخلقه لا يستهان .

المحبـة

من أمن الناس جانبه ، لا يخشاه أحد ولن يجانبه ، لأنه كما يحب أخاه يحب صاحبه ، فتقبل عليه الجموع لتصاحبه.

* * *

عباد المـال

هو ذا عبّاد المال ، قد أصابهم ضلال ، فداؤهم عضال ، لا يستقرون بحال، كن عضتهم أصلال [1] ، إدرا كهم مال ، يحرّمون الحلال ، ويحرْمون العيال ، ويعيشون فى هزال .

---

(١) أصلال : جم صل وهى الحية التى لا تنفع فيها الرقية .

وفاتهم أن المال إذا تألّهْ ، عابده تولّه[1] ، فما حرّم أحلّه ، ومن عاشره ملّه ، فما خشى الله ولا أجلّه.

البخيل

البخيل ذو عقل عليل ، وبعلته ذليل ، كثيره قليل ، ونفعه مستحيل ، ديدنه الحسابْ ، وأمانيه سراب ، وأفقه ضباب ، طائش الصواب ، لا يرهب العقاب ، فأغلقوا دونه الباب ، ولا تدخلوه فى زمرة الصحابْ .

الطماع

الطمّاع يعرّض الشرف للضياع ، فضميره يُشترى ويباع ، ينقاد للباذل وينصاع ، فإذا أصابه إشباع ، قلب الأوضاع ، وأقلق الأسماع ، فهو بطبعه جعجاع[2] وسره مذاع .

والطماع إذا ادّخر ، وكنّز فى حذر ، إن إصابته يدالقدر ،ستسلبه رغم السهر .

الكبرياء

الكبرياء أفتك داء ، تلعنها السماء ، فهى قاتلة الإخاء ، ومثيرة البغضاء ، ومعكّرة الصفاء ، ومبيدة الرضاء .

والمتكبّر متجبّر ، على فكره لا يسيطر ، فإن أغدق يعيّر ، وإن صادق يحبِّر ، وإن ظلم لا يكفّر ، فعيشه منفر ، وفى مصيره لا يفكر .

الكذب

الكذب لغة المنافقين ، والله يكره الكاذبين ، فما كانوا إلا مفسدين ، يزهقون الحق معرضين ، فما تهيبوا ، ولا خافوا بطش رب العالمين ، وسوف يصليهم العذاب والأنين .

والكذاب أفاك ملعون ، مغبون مأفون ، لسانه أتون ، يرتد عليه يوم يُبعثون .

---

(١) توله : حزن حزناً شديداً حتى كاد يذهب عقله . (٢) جعجاع : كثير الكلام .

المكر والخداع

المـكر والخداع ، مجلبـة الأوجاع ، للعاقل والشجاع ، وما هما من صفات السباع ، بل الذئاب والضباع ، وهما بئس الطباع ، تعرّض الهيبة للضياع .

القسوة

القسوة غلّة فى القلب ، تحطم الحب ، وتُذهب اللب ، وهى تحجِّر الجنان ، فتقتل الحنان ، وتجرد الـكيان ، من مزايا الإنسان . فمن قسا على أخيه ، وأراد أن يجافيه ، يصبح ولا خير فيه ، وظاهره ينم عن خافيه .

الظلم

الظلم صفة وحشية ، وأداة جهنمية ، لا ترضاه النفس الأبية ، فهو نذير الشؤم فى البشرية ، يعذب الإنسانية ، ويقضى على المدنيـة . والظالم إذا ظلم ، وأنزل بأخيه العدم ، فبئس ما فى نفسه من شيم ، تهيض جناح القيم ، وتشعل الفتيل إذا الشر احتدم .

الحقـد

الحقد مرجل يغلى فى حرزه المستور ، ونارٌ آكلة فى الصـــدور ، تتلظى فى مكمنها وتفور ، وثورة وقودها الشرور ، تختفى وراء مفتعَل الحبور .

الحسـد

الحسد نسج من مسد[1] ، ومهراق [2] فى الجسد ، ومنفذ للشر إن لم يُسَدّ ، يؤتى الضر من دون عد ، فمداه من غير حد والحاسد ينتقم ، فيذبل ويسقم ، وإن أتى المذم ، فالعاقبة أوخم ، والعدل لا يرحم .

---

(١) مسد : موضع السد ، أى ما يحجب الإبصار الصحيح .

(٢) مهراق : من أهرق الدماء ، أو أنزلها .

الباب السادس

أيهما أجدى : الفهم أم المكابرة ؟!

- بين رضى العقل وسلامه ·
- عن موضوع علم الروح الحديث ·
- عن الحياة فى عالم الأثير ·
- عن الأسلوب العلمى فى التحقيق ·
- اعتبارات ينبغى أن تراعى ·
- عن شهادة الوجدان ·
- وقائع لهـا دلالتها ·
- ماذا عن الجمود ؟

* * *

بين رضى العقل وسلامه

وبعد ، هل قرأت جيداً أيها القارىء العزيز هذه الصفحات ؟ مهما كنت قد قرأتها بإمعان حذر ، أرجوك أن تعيد قراءتها من جديد ، لـكن واضعاً نصب عينيك فى هذه المرة تلك النصيحة الخطيرة الجليلة لعالم من أبرز علماء هذا القرن ومفـكريه وهو توماس هنرى هكسلى Thomas H. Huxley عندما يقول :

« أجلس أمام الحقيقة كطفل صغير ، وكن مستعداً لأن تتنازل عن كل فـكرة مسبقة ، واتبع بتواضع ما تقودك إليه الطبيعة من أخاديد حيثما كانت وكيفما كانت ، وإلا فلن تتعلم شيئاً . ولقـد بدأت أنا أتعلم كيف يكون رضى العقل وسلامه فحسب منذ صممت أن أفعل ذلك ، مهما كانت المخاطر » .

ويمثل هذه الروح المتحررة من الأفـكار المسبقة الراسخة يمكن لحقائق الحياة أن تزيح تدريجياً – وفى مشقة بالغة – الأوهام الجوفاء والسدود ، وأن تذيب الأغلال والقيود ، ويمكن لها أن تغزو تدريجياً فضاء المعرفة الصحيحة بعد

طول التخبط فى دياجير الرعب ، والقلق ، والانطواء . وبغيرها تضيع أيامنا هباء فى هباء ، سواء أكنا على الأرض أم فى عنان السماء ، وبغـيرها لن يزدهر فينا أثمن حب فى الوجود ، وهو حب الحقيقة .

وبقدر ما يزدهر حب الحقيقة فى ضمائرنا بقدر ما يزدهر حب الفضيلة أيضاً ، وعندما نحب الحقيقـة والفضيلة حقاً فإننا سنحب الآخرين حباً حقيقياً لا رياء فيه ، وسنحصل حتماً عن طريق هذا الحب المتعدد الجوانب على رضى العقل وسلامه كما فعل هكسلى ، وكما يفعل كل قلب يريد أن يحصل على خاجات متجددة على الدوام من الرضى ومن السلام .

* * *

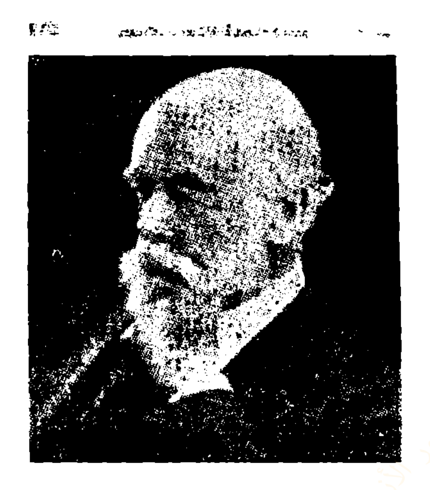
كما أرجو أيضاً أن تضع نصب عينيك هذه العبارات الحاسمة لعالم من أبرز علماء الأثير فى هذا القرن وهو سير أوليفر لودج Oliver Lodge مدير جامعة برمنجهام ، عندما يقول بكل يقين واطمئنان بعد بحوث نصف قرن فى الظواهر الروحية مع إخضاعها للتحليل العلمى الناقـد :

« إن حياة الإنسان بعد الموت لا ينبغى أن يقام الدليل عليها عن طريق القياس ، أو عن طريق أسانيد الاحتمال ، بل يجب أن تثبت عن طريق التجربة المباشرة ، لأن الأشخاص الذين توفوا ينبغى أن يظهروا وجودهم المستمر بالبينة الموثوق فيها ، وقد لا يكون ذلك أمراً سهلا لـكنه أمر ممكن .

فالتجربة ينبغى أن تـكون هى الحـكَمَ ، لأنه لا يمكننا أن نفصـل بين الممكن والمستحيل إلا عن طريق محاكمة الوقائع . وأولئك الذين درسوا هذا الموضوع يعتبرون أن البينة جيدة ، وأن بعض الأشخاص المنتقلين قد أثبت استمرار حياته بعد الموت ويعنى هـذا أن هناك أشخاصا أظهروا أن عقلهم الشخصى وطبعهم قد استمرا بعد موت الجهاز المادى الذى كانوا مندمجين فيه فى

وقت ما . وليس لنا أن نفترض أنهم قد انفصلوا عن الكون الفيزيقي وأصبحوا مجرد أشباح لا أجساد لها .

بل إن وجودهم الفيزيقي قد يكون حقيقياً وجوهرياً كما لم يكن من قبل . غاية ما هناك أنهم لم يعودوا مرتبطين بالمادة (الأرضية) ، لأن هذه المادة ليست هي المركبة الوحيدة للحياة ، بل إن هناك جهازاً أكثر منها شيوعاً more universal وأبقى ، وأكمل ، يمكن أن يفترض أنهم يقطنون فيه ويستخدمونه . فقوة المادة تبقى ، لكن في صورة أسمى من غيرها ، وهذا النظر يعتنق وجهة نظر عن الكون أقرب إلى الفهم من الفكرة المادية الضيقة عنه .



إن دراسة تلك الوقائع التي تنتمي إلى التجريب الروحي هامة بمقدار أهمية دراسة سلوك الأعضاء المادية ، وفي الوقت المناسب ستجتذب بعض هذا الاهتمام المتركز حتى الآن — في إخلاص — في النواحي الأخرى للمعرفة ... »(١)

وقد انتهى أوليفر لودج عن طريق الربط بين تحقيقاته الروحية المتوالية ومعلوماته الواسعة في الفيزياء والمادة والأثير إلى أن الحياة في عالم الأثير هي القاعدة للإنسان ، وهي حياته الأصلية ، أما الحياة الدنيوية فهي المغامرة ، وهي الشيء المحير ، وهي الأمر الاستثنائي . فنحن هنا مجرد تجسدات incarnations ، ولقد

---

(١) عن مؤلفه « الجدران الوهمية » Phantom Walls طبعة ١٩٦٩ ص ٦٦ — ٦٨ .

دخلنا إلى المادة الأرضية لـكننا نحتفظ ببعض الصلة بعالم الروح ، الذى هو العالم الحقيقى ، والذى نـكون فيه فى وطننا أكثر مما نـكون هنا على الأرض .

ولهذا تحدث الرؤى والإلهامات ، بل حتى الصوت المباشر ، وكل أساليب الظواهر (الوساطية) التى أصبحت مألوفة تدريجياً لدينا ، كما كانت لدى الأقدمين، ولهذا أيضاً فنحن نتلقى إرشاداً ومعونة يُبذلان لنا خلال تجسدنا سواء شعرنا بهما أم لم نشعر . وهذا النظر — عن تجسد الروح بالمـادة لهدف ترقيها ، أو لهدف آخر سامٍ سواءً أكان هو تقدم الأخلاق أم إتمام نوع من الخدمة — يتفق بالتأكيد مع جوهر الإيمان الدينى . » [1]

* * *

وقد دوّن سير لودج هذا الـكلام قبل سنة ١٩٢٩ ، وقد اتضح فيما بعد أن دراسة ظواهر التجريب الروحى قد تـكشفت عن حقائق تتجاوز بكثير خطورة الحقائق التى تـكشفت عنها دراسة ظواهر المادة والعالم المادى الخاضع للحواس المألوفة ، والذى يطوى وراءه أكثر من عالم فيزيقى ، وإن كان غير خاضع لهذه الحواس .

وهذه الحقائق متشعبة وواسعة النطاق ، يضيق عنها بطبيعة الحال المقام الحالى ، لـكن لا ينبغى أن يضيق عن تسجيل حقيقة واحدة وثيقة الصلة بموضوعه وهذه الحقيقة هى — كما عبر عنها شارل ريشيه Charles Richet عضو أكاديميتى الطب والعلوم بباريس والحاصـل على جائزة نوبل فى الفسيولوجيا — أن بداخل الإنسان « جهازاً روحياً يمكنه أن يسجل أحياناً أحداث العالم الخارجى ووقائعه أو أفـكار الآخرين دون أى تنبيه عقلى عن طريق الحواس العادية »

(١) عن المرجع السابق ص ١٠٠ ، ١٠١ .

كما يقرر ريشيه عن هذا الجهاز أنه يمكنه أن يتأثر عن طريق اهتزازات العالم الحقيقى les vibrations du monde réel الذى تصدر منه من حولنا اهتزازات ، أى أمواج تلتقط بعضها حواسنا المادية وبعضها الآخر حواسنا الروحيـة ، كما لا تلتقط بعضها الآخر ، لـكن تحدث تأثيرها فى بعض العقول الإنسانية وتـكشف لها أجزاء من الحقيقة .

ولأن العقل يكوّن جزءاً لا يتجزأ من الحقيقه فإن هـذا الافتراض يطوى ظاهرة التخاطر Télépathie أى انتقال الأفـكار ويتجاوزه . إنما لمَ يلتقط بعض الأشخاص هذه الأمواج دون غيرها ؟ ! إنه لغز لـكن هذه الأمواج الصادرة عن العالم الحقيقى الذى يهتز برمته ، ومع ذلك لا يختلط بعضها بالبعض الآخر ، تمثل فى نظر ريشيه مشكلة ليست أشد غرابة من مشكلة المذياع عندما يلتقط رسائل واردة من باريس ،أولندن،أو طوكيو، أو غيرها غير محدودة العدد وتبدو كل واحـــدة منها — بالنظر إلى طول موجتها — كما لو كانت صادرة وحدها .... (١)

وهذا التراسل باللاسلـكى الذى يثير كل صنوف التساؤل والاستغراب حتى الآن لا ينبغى أن يعد شيئاً مذكوراً بجانب التراسل العقلى الذى ثبت — بأدلة حاسمـــة وبيحوث دامت الآن لأكثر من قرن كامل — أنه ممكن الحدوث بين عقلين لا يزال أحدهما فى ردائه المادى،أما ثانيهما فقد تحررمنه منذ أمدقريب أو بعيد، وذلك على ما بينته فى الباب الأول وهو الأمر الذى ـ بين أمور

---

(١) عن مؤلفه فى « حاستنا السادسة » Notre Sixième Sens .

أخرى متنوعة — جعل من خلود الروح حقيقة معملية رياضية تأيدت ببينات وشواهد لا حصر لها الآن .

وهذا القول معناه أن عقل الإنسان يمثل جهاز التقاط مفرطاً فى دقته ، وفى عظمة تركيبه ، حتى لم يكن اعتباره بدون أدنى ريب لغز الطبيعة الأعظم . والعقل لا يعنى مطلقاً « المخ » الذى هو مجرد جهاز مادى يستخدمه العقل على نحو أو على آخر ، فهو الأداة التى يعزف عليها العقل ، لكنه ليس مصدر هذا العزف . وهذا العقل كائن وراء جميع مقومات شخصية الإنسان ، وكل مظاهر سلوكه ، وهو لا يمكن فصله عن الروح ، ولا فصل الروح عنه فى أية دراسة تريد أن تحيط ببعض أسرار شخصية الإنسان متكاملة ، غير مبتورة ولا مزيفة .

وهذا العقل لا يمكن فصله عن الروح ليس لدى الإنسان فقط ، بل لدى جميع الكائنات الحية ، فإنها تمثل تعبيراً حياً عن اجتماع العقل والروح معاً ، ولذا كان الإلهام يلعب دوره الضخم فى حياة النحلة ، والنملة ، والفراشـــة ، حتى وإن تفاوتت الدرجة تفاوتاً يكاد يبدو بلا حدود بين إلهامات الفراشة ، أو غيرها من الكائنات الدنيا ، وبين إلهامات هذا الإنسان العجيب الذى لا يزال يحبو فى مهده وهو يحاول مع ذلك أن يستكشف ولو بعض أسرار عقله الخاص ، وروحه ، وإلهامه ، ويحاول أن يتحسس بعض مواضع أقدامه فى طريق الأبدية الصاعد الطويل الذى لا يعرف له العلم بداءة ولا نهاية ، ولا يعترف له بزمان محدود ، ولا بمكان معزول .

عن موضوع علم الروح الحديث

وهذه الحقيقة هى موضوع « علم الروح الحـديث » Psychic Science بكل ما يرتبط بها من مباحث شاقة ، وبكل ما يتفرع عنها من أمور ضخمة أصبحت تشغل صفوة من الفلاسفة والعلماء والباحثين فى عـدد من الجامعات

والمعاهد ، الذين أقبلوا عليها إقبالاً قوياً بعد طول مقاومة وعناد جاءا من ناحية الارتباط التام بالفلسفة المادية من جانب ، مع الارتباط بأسلوب الجمود والانطواء العلمى من جانب آخر .

وبعد بحوث متواصلة ـ دامت لمدى قرن وربع من الزمان ـ يمكن القول بأن موضوع علم الروح الحديث قد تطور تطوراً واضحاً . فبعد أن كان هذا الموضوع هو مجرد التحقق من صحة بعض الظواهر الروحية وتسجيلها ، مع فتح باب التحليل العلمى لها على مصراعيه طبقاً للأساليب الوضعية ، أصبح متعيناً على علم الروح أن يخطو خطوة — بل خطوات للأمام — نحو محاولة استكشاف النواميس الكائنة وراء هذه الظواهر ، والتى أثبتت بما لا يدع مجالا لأية مكابرة بعد الآن ، وجود « عالم جديد للعقل » كائن وراء عالم المادة ، بذلك بحسب تعبير العلامة جوزيف . ب . راين Joseph B. Rhine رئيس قسم الباراسيكولوجى بجامعة ديوك Duke بولاية كارولينا الشمالية ، ومدير معاملها .

وقد أعلن هذا العالم الكبير صحة ذلك فى أكثر من مؤلف له بعد بحوث أكثر من ثلاثين عاماً متواصلة ، تمت على مراحل متعددة قام بها علماء قسم الباراسيكولوجى مجتمعين[1] . وبذا صار متعيناً أن يصبح من موضوعات علم الروح الحديث

(١) راجع من مؤلفات جوزيف راين : —

Extra — Sensory Perception.
New Frontiers Of The Mind.
The Reach Of The Mind.

والأخير منها ترجمة عربية بمعرفة الدكتور محمد الحلوجى أعطاها المترجم عنوان « العقل وسطوته » .

والقرينة الدكتور راين ـ وتدعى لويزا راين Louisa E. Rhine ـ بحث علمى حديث فى نفس هذا الموضوع عنوانه « قنوات العقل المخبوءة » .

Hidden Channels Of The Mind 1961 .

محاولة استكناه أسرار هذا العالم على قدر الإمكان من ناحية تحديد موضعه ، وأوصافه ، وصلاته بنا ، وصور نشاطه ، وقيمه الروحية والخلقية .... وغير ذلك من الأمور الدقيقة ، المفرطة فى تشعبها وفى اتساع نطاقها ، والتى تمثل مجتمعة موضوع « علم الروح » فى مرحلته الراهنة

واكتشاف عالم الروح ليس أمراً جد يداً ، فإن هذا العالم منذ القدم موضوع حديث الأنبياء ، والملهمين ، والفلاسفة ، والشعراء ، ومصدر إلهامهم فى كل مكان ، لكن الأمر الجديد هو أن يصبح هذا العالم « كشفاً علمياً » بمعنى إمكان إخضاعه لأساليب البحث الوضعى الحسى ، والتحليل المنطقى والرياضى . وقد أدى اتباع هذه الأساليب — فى كل صرامتها ، ودقتها ، ومشقتها ، وفداحة مسئولياتها — إلى الكشف العلمى عن حقيقة وجود عالم آخر للعقل ، أو إن شئت للروح ، وذلك لأنه لم يمكن إثبات إمكان انفصال العقل عن الروح فى أية صيغة من صيغ الحياة المتطورة .

وهذه الحقيقة القديمة الجديدة يمكن النظر إليها بوصفها — على حد تعبير سير أوليفر لودج — « أعظم كشف بذل للإنسانية ، فهو كشف يطوى جميع الأساليب الدينية المعترف بها ، ويكون أملاً جديداً للعالم

كما يمكن النظر إلى الموضوع بوصفه امتداداً أو بعثاً لفقه قديم جداً ، ولتطبيقات عملية تقبل الاستخدام الطيب والردىء معاً . فالظواهر تجتذب الانتباه إلى وقائع كان يتجاهلها العلم حتى وقت قريب ، وهى وقائع بحاجة كلها لأن تدرس بعناية ، وبنقد ، وبفهم .

وعن هذا الطريق يمكن أن نأمل فى التمييز بين الحق والزيف ، وأن نبعد خيبة الأمل عن وعى أو عن غير وعى ، وأن نلغى المبالغة ، وأن نسجل الأمور

على حقيقتها ، وكاملة ، وبالتالى نغزو تدريجياً إقليماً أغلقه العلم الحرفى حتى الآن (لاحظ أن هذا الكلام كتب قبل سنة ١٩٢٩) .

وبالتالى فإنه يمكن أن نؤكد فى النهاية ما يمكن أن تتحمله الوقائع من مغزى - إن كان لها أن تتحمل أى مغزى — على السلوك ، وعلى المشاعر ، وعلى تطلعات الإنسانية ، وعلى آمالها . والوقائع ليست جديدة ، بل يمكن العثور عليها فى جميع البلاد والعصور ، وقد اختلطت بالخرافة وبالألاعيب .. »[1].

أما الآن فإن مهمة علم الروح الحديث هى تمحيص هذه الوقائع ، وعزلها عن الخرافة وعن الألاعيب مع إخضاعها لأساليب التحليل المنطقى والرياضى . وقد نجح هذا التحليل نجاحاً ملموساً فى مواجهة دعاوى الإلحاد ، والغلو ، والجمود ، وكل مايرتبط بها من عوامل لا آخر لها لليأس ، وللفشل ، وللفرقة بين بنى البشر . بل لقد نجح حتى فى الكشف عن جانب لا يستهان به من أسرار الحياة فى عالم ماوراء المادة أو بالأدق عالم الأثير ، ولو أنه لا يزال - بعد - أمام العلم أن يبذل الكثير جداً من المجهود فى هذا الشأن

عن الحيـاة فى عالم الأثير

وفى هذا الشأن يتحدث سير لودج بعد بحوث خمسين عاماً متواصلة فى « جمعية البحث الروحى » بلندن وخارجها حديث عالم متحفظ ، لكنه متحرر من افتراضات الماضى الفجة عن مادية الوجود فيقول : « إن الشهادة التى تم الحصول عليها لغاية الآن ، أو تلك التى يمكن أن يقال عنها ذلك ، من الكائنات الإنسانية المنتقلة تقرر أن الذاكرة تستمر بعـــد موت الجسد ، لأن استعادة الذكريات تستخدم كوسيلة من وسائل إثبات الشخصية .

---

(١) عن أوليفر لودج . المرجع السابق ص ١٨١ ، ١٨٢ .

وإذا تقبلنا هذا الأمر فإنه يثبت أن الذاكرة لا تختزن فى المخ فى حقيقة الأمر ، رغم أن الاستخدام المادى لبعض المسالك العصبية يجعل استرداد الذاكرة بلا ريب أيسر مما تكون عليه الحال بعد فقد الجهاز المادى .

وقد تضعف العادات بسبب هذا الفقد ، لكن ذلك لا يتلف الذاكرة حتماً ، وإننا نتبين أن الأحداث التى أحدثت أثراً فى عقل الشخصيات المتوفاة يمكن تذكرها ، ويمكن استرجاعها تحت دوافع معينة .

والقدرة العاقلة تستمر كذلك . وكثيراً ما أمكن الحصول على إحالات حرفية بتطبيقات بارعة ، حملت إفادات بأسلوب عجيب مميز ، ومبين للشخصية[1] .

ويبدو أن القدرة على القراءة ، وعلى الإنتاج الفنى تستمر ، كما تستمر الملكات الفطرية ، بل المكتسبة أيضاً فى الراجح ، وكذلك تبقى فى الذاكرة الميول التى تنتمى إلى الفرد .

وفى الواقع إن البينة تدل على أن الشخصية برمتها تستمر ، بطباع وقدرات تشابه تلك التى كانت تعمل عن طريق الأعضاء الجسدية القديمة .

وقبل كل شىء آخر فإن العاطفة نحو الأسرة تستمر قوية . ولعل أبرز الملامح هى رغبة خدمة الأصدقاء والأقارب ، وهى تمثل فى الواقع القوة الدافعة التى تدفع أصحابها إلى الاتصال بنا .

وتظهر أحياناً معرفة أوسع مما كان ، وتقدير للمستقبل أثمن مما كان . هذا ولو أن المعرفة تظل محدودة بالحدود الإنسانية ، لكن تتجاوز فى اتجاهات قليلة ، وفى أحيان غير متوقعة ، مستوى معرفتنا .

---

(١) ومن ذلك مثلا ورود نفس ألفاظ شوقى وبعض تراكيبه فى شعر روحه ونثره. وذلك بطريقة تلقائية بعيدة عن التكلف ويستحيل تماماً فيها التقليد .

وأولئك الذين يقيمون على الجانب الآخر للحجاب يقولون إنهم يتقدمون فى المعرفة السامية . لـكن يبدو أن هـذه المعرفة السامية ،التى يحصلون عليها عن طريق الاحتكاك بالأرض ، يصلون إليها بصعوبة عندما يبذلون جهدهم فى العودة إلى الظروف المادية بغية الاتصال بنا .

ويبدو عليهم عندئذ ذهول جزئى بسبب العودة إلى التجسد الأرضى ، إذا صح وصف عودتهم الوقتية إلى جسد مادى بهذا الوصف . فالمخ عضو للسكنى الأرضية،أو شاشة للرؤية screening organ ،وقديبدو أن استخدامنا العادى له قد يسبب نفس الذهول ، وقلائل هم الذين يمكنهم استخدامه بطريقة فعالة .

ومع ذلك فهم يمكنهم أن يروا أبعـد مما نقدر ، ويملـكون ما نطلق عليه وصف «الجلاء البصرى» ، فهم ليسوا محدودين بحدود المـكان والزمان على نحو نا ، ولذلك فإنهم عندما يحاولون استخدام مخ أرضى من جديد يشعرون بتوتر ، وبنوع من الإحساس بالتوقيت قد لا يمر بهم فى حالتهم العادية هناك .

وهم يبذلون أحياناً مجهوداً كيما يخبروننا عما يحيط بهم من ظواهر،وإن كنا لا نملك وسائل ما لتحقيق المعلومات التى يعطونها ،وفحواها العام أن قدرتهم على تفهم الـكون ظلت على ما هى عليه ، أو تغيرت قليلاً ....

ويوجد بينهم تباين فى الأذواق ، وفى الاهتمامات ، وفى الملـكات ، وفى الذكاء ، على النحو الموجود هنا ، لـكن يوجد لديهم موكب للتطور أكمل فى الراجح مما لدينا ، حيث نجتمع أساساً بأولئك الذين هم من نفس جنسنا فقط .

وأولئك الذين يتصلون بنا سعـداء عادة بحسب الواضح ، وتحيط بهم مناظر جميلة تشبه فى جمالها المناظر الأرضية الحلوية ، وفى ظروف لاتبدو لهم غريبة ولا غير طبيعية .

وأقوالهم فى هذا الشأن متطابقة إلى حد أننى أتصور أنهم ربما يرون الجانب الأثيرى من نفس الأشياء التى نرى منها جانبها المادى .

وأياً كان التفسير ، فإنهم بالتأكيد يقولون لنا إنهم فى حالة يشعرون فيها كما لو كانوا فى منازلهم ، وأنهم يمكنهم أن يكونوا على صلة بأولئك الذين أحبوهم على الأرض ، وأن يكونوا فى خدمتهم بوسائل متنوعة ، ومع ذلك فإنهم يرون أمامهم فرصاً للارتقاء ، ويسرهم جداً أن يسكنوا إلى وقتهم ، وأن يؤدوا واجبهم فى هذه الحالة من الحياة التى استدعوا إليها حديثاً .

وهم لا يتحولون بغتة إلى كائنات من نظام آخر فى الكون ، فبعد خمس دقائق من الموت هم أشبه ما يكونون بهم منذ خمس دقائق قبل الموت . فيما عدا تخليهم عن ثقل اللحم ...

ومن الصعوبة أن نقدِّر ماذا يعنى كل هذا ؟ لكن من المؤكد أنهم يقولون إن لديهم موسيقى ، وإن بعقدورهم الرسم ، ومواصلة دراساتهم . والنشاط الأدبى ليس مغلقاً فى وجوههم ، ويبدو أنهم ليسوا محرومين من أى نشاط ، أو من أية متعة عقلية كانوا ينعمون بها ...

ويبدو أن العالم الآخر يكون ما نصنعه لأنفسنا إلى مدى بعيد . ويبدو أننا نبنى هنا محيطنا المستقبل فى صيغة طبع وأخلاق . فأولئك الذين يلتفتون إلى أنفسهم فقط لن يجدوا أحـــــداً يلتفت إليهم إلا أنفسهم ، أما أولئك الذين غرسوا من حولهم مشاعر فسيحة المحبة، وكانوا فى خدمة إخوتهم ، فسيجدون أن آفاق المتعة والخدمة قد اتسعت وعظمت . وفى الجملة فإن أكثر المنتقلين ينعمون بحسب الحالة التى يجدونها فى انتظارهم ، وهم سعداء بها راضون عنها .

وهم يعلنون أحياناً بأن ثمة كائنات فى الوجود أعلى منهم ، وأنهم هم أنفسهم يسيرون فى طريق التقدم نحو حالات أسمى من حالاتهم .

وهم يقررون أيضاً أنهم يقومون من آنٍ إلى آخر بإلهام من تركوهم خلفهم هنا ، ويساعدونهم على تحقيق نتائج معينة ، وعلى الوصول إلى أفكار ، وتحقيق اكتشافات ، ويبدو أننا مدينون لذلك بالكثير من الأمور الثمينة التى تأتى خلال من نسميهم بالعباقرة ...

إن كل هذه المعلومات — وأكثر منها عن ظروف الحياة على الجانب الآخر — ستصبح فى متناول الأذهان عندما تتقبل تقبلاً صحيحاً حقائق استمرار طباع الإنسان وشخصيته بعد الموت ...

وبالتالى فلن تكون هناك عزلة ولا حيرة ، لأن الكون أكثر اكتمالاً مما كان يتصوره فيما مضى حتى شعراؤنا . وتوسيع الفهم الذى يحصل عليه الإنسان بسبب تخلصه من جسده المادى يقوده إلى تقدير أدق من غيره لعظمة الوجود ، ولبهائه .... حقاً إن على الفيلسوف أن يتعلم الكثير »[1] .

ولا ريب أن مفاد هذا كله هو التسليم ببقاء الشخصية فى الجملة على حالها بعد حادثة الانتقال التى هى أشبه شىء بحادثة الولادة ، لكن هذه الشخصية يلحقها تطور حتمى قد يتفاوت فى سرعته وفى اتجاهه بحسب مدى مرونة الروح وقدراتها ، وتطلعاتها الروحية والأدبية والخلقيـة . . . وهذا التطور هو الذى وصل بنا إلى ما نحن عليه الآن ، وهو الكفيل بأن يقود الخطى على الدوام نحو المزيد من ازدهار الحياة ، عندما تعرف الحياة كيف تتطور فى وجداننا وفى مشاعرنا فى الاتجاه الصحيح ، هذا التطور الذى هو كل شىء فى تطور صيغها الخارجة عنا .

وهذا التطور يمثل الآن أولى بديهيات العلم ، لكنه فقد طابعه الآلى ، كيما يرتدى طابعاً خاضعاً لنواميس روحية - خلقية تحاول توجيهه إلى وجهته الصحيحة ، مهما تعثر بما فى نفوس الناس من عقبات كأداء .

---

(١) عن أوليفر لودج المرجع السابق ص ٢٣٢ - ٢٤٠

عن الأسلوب العلمى فى التحقيق

ولا ريب أن جميع الظواهر الوساطية ينبغى أن تخضع — شأن سائر ظواهر الحياة — لأسلوب التحقيق العلمى المثابر الذى لا يرحم ولا يمالىء ، لأنه يريد الوصول إلى حقائق الأمور كيفما كانت ، ومهما كان مدى صعوبتها ، ودقتها ، وتشعب نطاقها ، وبغير ارتباط سابق بأى رأى أو اتجاه أو اعتقاد ·

وهذا هو ما يجرى بالفعل الآن فى جميع البيئات العلمية المعنية بالكشف عن أعمق أغوار الإنسان عن هذا الطريق ، طريق مواجهة جميع ظواهر الحياة وعدم الهروب من بحث أية طائفة منها · ولذا بدأت هذه البيئات تعطى لدراسة الظواهر الوساطية نصيبها من العناية القصوى التى تستحقها · وكان من بوادر هـــذه العناية إنشاء « جمعية البحث الروحى » S.P.R. بلندن فى سنة ١٨٨٢ ، ثم شقيقتها الأمريكية A.S.P.R. فى سنة ١٨٨٨ على أعلى مستوى علمى ، بل على مستوى قد لا تصل إليه أرقى أكاديميات علوم المـــادة فى الغرب[1] .

وكان أول رئيس لهذه الجمعية هو هنرى سدجويك Henry Sidgwick فيلسوف الأخلاق المعروف (١٨٣٨ — ١٩٠٠)[2] الذى كان أستاذاً بجامعة كامبريدج Cambridge · وقد أسهم معه فى أعمال الجمعية من أساتذتها الكبار ريتشارد هودجســـون Richard Hodgson[3] ، و ف · و . هـ · مايرز

(١) راجع ما سبق عنها فى الباب الأول ص ٧ — ٩ ·

(٢) راجع عن أعماله فى البحث الروحى :—

Alan Gauld : The Founders of Psychical Research 1968.

وهذا المؤلف يتناول أعمال العلماء سيد جويك ، وإدموند جيرنى Edmund Gurney (١٨٤٧ — ١٨٨٨) ومايرز ، وبعض الأعمال الأولى «لجمعية البحث الروحى» بلندن·

(٣) راجع عن أعماله فى البحث الروحى :—

Alex Baird : The Life of Richard Hodgson.

Proceedings of The Society of Psychical Research T. 22.(1899).

F. W. H, Myers (١٨٤٣ — ١٩٠١)[١]. ثم يجيء دور تشارلس بروض Charles Broad ولعله أكبر فيلسوف بريطاني معاصر، وهو أستاذ «الفلسفة الأدبية» Moral Philosophy بجامعة كامبريدج منذ ١٩٣٣ لغاية الآن، ويحاضر في البحث الروحي حالياً في جامعته، وله فيه أكثر من مؤلف قيم[٢].



←

والسؤال الهام الذي شغل بال كل هؤلاء العلماء والفلاسفة — وهناك غيرهم الآن كثيرون يعدون بالمئات لا بالعشرات — «ليس هو بحث ما إذا كان هذا الموضوع بسيطاً أم معقداً، وما إذا كان سهلا أم محيراً، وما إذا كان جذاباً أم منفراً، بل هو - فحسب — ما إذا كان هذا الموضوع صحيحاً أم لا؟ وصحته يمكن أن تتقرر فحسب عن طريق أسلوب التحقيق المستمر، الحذر، الناقد، المتحفظ» ... وهو — بحسب تقدير سير أوليفر لودج — نفس الأسلوب الذي افتتحته «جمعية البحث الروحي» هذه[٣].

* * *

واتباع هذا الأسلوب هو الذي دفعني إلى الاتصال بأسرة السيدة الوسيطة وكنت لا أعرفها من قبل، وإلى المطالبـة دائماً بالمزيد من شعر روح أمير الشعر والشعراء، ومن نثره، ومن رواياته، ومن مآثره وأخلاقياته، مع إخضاع

---

(١) راجع له :-
Human Personality And Its Survival of Bodily Death.

(٢) منها بوجه خاص : The Mind And Its Place In Nature 1925.
Lectures On Psychical Research Given in Cambridge University 1962.

(٣) عن أوليفر لودج : المرجع السابق ص ٢١٨ .

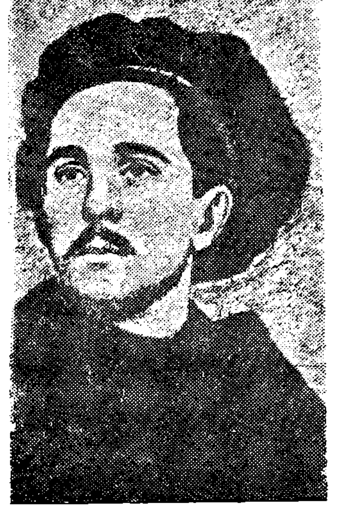
هذا كله - بعد أن تجمع منه قدر وفير ومتنوع — المزيد من الفحص الناقد بمعرفة أقدر العلماء والخبراء على إبداء الرأى الصحيح فيه ، مدعماً بأسانيده القاطعة لكل شك أو اعتراض ، وقد تفضلوا فعلا بالفحص وبإبداء الرأى متطوعين مشكورين .

ولا ريب أن القارىء قد لحظ بنفسه إلى أى مدى التقوا جميعاً عندالقول بتوافر جميع خصائص شاعرية شوقى فى أشعاره المملاة من عالم الغيب ، وعند القول باستحالة تقليد هذه الخصائص استحالة تامة ، بمعرفة أى شاعر على قيد الحياة ، ناهيك بالسيدة الوسيطة المحدودة الثقافة ، التى لا تربطها أية صلة بالشعر ولا بالنثر ، والتى لا قدرة لها على التقليد ، ولا مصلحة لها فيه ، ولا فى التنصل من « تبعة » صدور هذا الشعر الرائع عنها ، وهو شعر كان سيفخر به أشعر الشعراء لو كان فى مقدوره ! !

وهذا القول لا ينفى مطلقاً احتمال حدوث بعض التطور فى شاعرية شوقى منذ انتقاله إلى عالم الغيب فى ٣٠ أكتوبر سنة ١٩٣٢ وهذا التطور قد يراه أحد المعترضين من النقاد فى بعض جوانب اللفظ ، أو المعنى ، أو الرواء ، أو العروض ، أو الموسيقى . . . وهو تطور لا ينكر علم الروح جواز حدوثه مهما كان مداه أو اتجاهه أو موضعه ، وذلك لأن التطور سنة الحياة ، وما « الموت » إلا باب من أبواب التطور لا من أبواب الفناء ، بل هو فى الواقع أوسع أبواب التطور كلها .

وكل دارسى شوقى يعرفون تماماً كيف تطور شعره — حتى فى أثناء حياته الدنيوية - بعد إقامته فى فرنسا لدراسة القانون ، هذه الإقامة التى لم تمتد لأكثر من بضع سنوات قليلة ، لكنه اطلع فيها على بعض الأدب الفرنسى ، واتصل فيها بجو للحياة وللحضارة لاحظ بسرعة مدى اختلافه عن الجو الذى ألفه هنا ، وذلك منذ

وطأت قدماه أرض فرنسا على ما دونه بنفسه فى خطاباته التى أرسلها من هناك .



أحمد شوقى الطالب
بجامعة مونبلييه

كما يعرف هؤلاء الدارســون أيضاً كيف ازدادت معالم التطور وضوحاً بسبب إقامته فى أسبانيا لمدى بضع سنوات منفياً لصلته الوثيقة بالخديوى عباس حلمى بعـد عزله وفى النهاية يعرف هؤلاء الدارسون جيداً أن ثمـة فروقاً واضحـة بين شعر شوقى الشاب وشوقى الشيخ.

ومن مظاهر هذا التطور الواضح أن شوقى فى شيخوخته كان أميل إلى الشعر العذب السهل منه إلى الشعر الجزل الصعب ، وإلى إبراز المعنى منه إلى إبراز اللفظ ، وإلى مخاطبة الأفئدة منه إلى مخاطبة الأسماع. ولذا ذكر لى أستاذ للأدب العربى بإحدى كليات الآداب أنه من الطبيعى جداً أن يكون شعر شوقى المملى الآن أقرب إلى شعره الأخير منه إلى شعره الأول .

ولعل القارىء قد لاحظ أيضاً كيف أن الشوقيات المملاة فى الجملة أقرب إلى بعض «شوقيات» الجزء الثالث أو الرابع منها إلى بعض «شوقيات» الجزء الأول أو الثانى مثلا بل بمكنه أن يلاحظ كيف أن ثمة تفاوتاً ظاهراً وفروقاً واضحة بين شوقيات الجزئين الأول والرابع أو حتى الأول والثانى، وكيف أنه لا يجمع بينهما سوى وحدة المصدر التى أعطت الـكثير من المعالم المشتركة ، لا كلها .

وإذا كان كل هذا التطور الواضح قد لحق شوقى أثناء حياته الأرضية فما بالك بما يتوقع منه بعد إقامة تتراوح مدتها بين عشرين وأربعين عاماً فى عالم آخر ،

لأنه بدأ فى الإمــــلاء منذ سنة ١٩٤٩ ولا يزال مستمراً فيه بغزارة لغاية الآن .

اعتبارات ينبغى أن تراعى

ثم هناك عدة اعتبارات هامة ينبغى أن تراعى عند دراسة هذه الأشعار لمقارنتها بالشوقيات الدنيوية ، وهى أنها جاءت عن طريق الإملاء من عالم أثيرى ذى أساليب فى الإنتاج الذهنى ، والاتصال « اللاسلـكى » مغايرة كل المغايرة لأساليب عالمنا المادى . ومن أظهر اختلاف أساليب العالمين فيما نحن بصدده من صياغة الشعر وإملائه ما يلى من أمور هامة : ـ

أولا : أن شوقى فى استخدامه لعقله الخاص لا يجد الآن حاجزاً بين عقله الواعى وعقله الباطن ، كما هى الحال هنا بالنسبة لـكل إنسان ، لأنه بالانتقال إلى عالم الأثير يحـدث اندماج للعقلين معاً فى وعى متكامل واحد بسبب التخلى عن الجهاز الأرضى للتفـكير وهو المخ المادى ، فالمخ لا يمثل إلا تجسداً مؤقتاً لشطر واحد فقط من الوعى الإنسانى الشامل . وهذه هى النظرية الراجحة الآن ليس فى نطاق علم الروح فحسب ، بل أيضا فى نطاق علم النفس الحديث غير المرتبط بفلسفة مادية الوجود(١) .

ثانياً : أن شوقى عند الإملاء يجـد نفسه مضطراً الآن لاستخدام « وعى وسيط » أجنبى عنه ، كيما يكون بمثابة حلقــة اتصال لا غنى عنها بين رتبتين

---

(١) من أعلام هـذا الاتجاه وليام جيمس ومكدوجال وراين فى أمريكا ، وفردريك مايرز وبروص فى انجلترا ، وهنرى برجسون وشارل ريشيه فى فرنسا ، وارنستو بوزانو فى إيطاليا ، وهانز دريش وكارل يسبرز فى ألمانيا ، وكارل يونج فى سويسرا ، وغيرهم كثيرون من كبار الفلاسفه والعلماء النفسيين .

مختلفتين من رتب الوجود: هما رتبة حياة المادة وحياة الأثير . وهما رتبتان يفصلهما حاجز من تفاوت المستوى الاهتزازى لكل منهما ، لكن يوجد بينهما تداخل طبيعى ، لأن المادة لا تمثل فى نهاية التحليل سوى أثير لكن فى رتبة اهتزاز منخفضة خاضعة للحواس المادية . والحياة الفيزيقية على هذا النحو تكون أوسع مدى بكثير من الحياة المادية .

وهنا يعمل قانون يسمى قانون « التوافق الروحى » عمله ، وهو الذى يفسر لماذا قد ينجح الوسيط فى تلقى رسالة من روح أو من أرواح كثيرة ويفشل مع روح معينة أو أكثر من روح، ولماذا ينجح فى ظروف معينة ويفشل فى غيرها .. فعقل الإنسان ليس جهازاً آليا خاضعاً لنواميس المادة الصلبة ، بل هو جهاز روحى - عقلى مفرط فى تعقيده وفى دقته ، إلى حد أن أعظم العقول الالكترونية لا يصح أن يعد شيئاً بجانب عقل الإنسان ، بل بجانب عقل النملة أو النحلة لأنه ليس فى مقدوره حتى أن يتلقى الإلهام الذى تتلقاه هذه أو تلك على الدوام ، و بلا عناء أو اضطراب .

ثالثاً : وإلى جانب ذلك فمن السائد جداً فى علم الروح الآن القول بأن عملية الإملاء محتاجة أيضاً إلى وسيط آخر من عالم الأثير يبدو أنه هو الروح المرشد للوسيطة ، مهمته تعطيل عمل عقلها الواعى — لمدة قد تطول وقد تقصر ، ولمدى قد يتفاوت مداه — وذلك كيما يخلو وعيها الأثيرى من أفكارها الخاصة فينشط إلى متابعة الإملاء . وبذلك لا يحدث تداخل بين أفكارها الخاصة وأفكار الروح ، وهو الأمر المحتمل فى كل لحظة لو لم تحسن الوسيطة تركيز تفكيرها فيما يملى عليها وحده ، ولو لم يحسن الروح المرشد أداء مهمته فى تعطيل عقلها الواعى لاعتبارات قد تخرج أحياناً عن حدود طاقة الروح المرشد وسيطرته .

وهكذا يظهر تماماً أن عملية الإملاء أكثر تعقيداً بكثير مما كان يظن فيما

مضى ، وهذا ما أكدت لى السيدة الوسيطة حدوثه معها ، وهو يلتئم مع نتائج البحوث المماثلة فى الخارج ، رغم أنها لم تطلع عليها قطعاً ، لأنها وسيطة روحيـة وليست عالمة فى الروح[١] .

رابعاً : ولذا تتفاوت بطبيعة الحال المواهب الوساطية تفاوتاً ضخماً ، كما تتفاوت سائر المواهب الذهنية والأدبية ، وتتفاوت بالتالى مستويات الإتقان ، لـكن الخطأ فى ذاته أمر محتوم ، وحدوثه لا ينفى صحة الوساطة خصوصاً العقلية منها ما دامت قوانين الرياضـــة عن « المصادفة » لا تعلل نسبة الصواب . بل بالعكس قد يكون نوع الخطأ فى بعض الحالات أدعى للدلالة على صحة الوساطة عندما لا يلتئم مع مستوى العبارات والمعانى الواردة من وعى أجنبى .

وأيضاً يراعى أن الوساطة الروحيـــة — بكل صورها — عرضة للنمو والازدهار عن طريق المران المثابر المنظم ، وعرضة للاضمحلال عن طريق الإهمال أو المقاومة ، شأن كل المواهب الأدبية والفنية ، لأنها — كلها — عبارة عن ملـكات خامدة فى التـكوين الأثيرى — الروحى ، تزدهر متى وجدت الرعاية الصالحة ، والاستجابة الجادة من الوسيط نفسه ، ومن الروح المرشد ، ومن البيئة المحيطة بهما ، وتتراجع إذا لم تجدها .

---

(١) وفى هذا الشأن يقرر روح عالم النفس المعروف فردريك مايرز F. W.H.Myers الأستاذ بجامعة كامبريدج عن طريق الوسيطة السيدة هولاند Holland « إن أقرب تشبيه يمكن أن اجده لـكى أعبر عن الصعوبات الخاصة بارسـال رسالة هو أنه يبدو لى كما لو كنت أقف خلف لوح زجاجى غطاه ضباب يحجب النظر ويخفت الأصوات كيما أملى على سكرتيرة بطيئة وكايلة على نحو ما » .

(راجع كتاب « البحث الروحى » Psychical Research للدكتور راينور جونسون Raynor C. Johnson مدير « كلية الملكة » بجامعة ملبورن طبعة ١٩٦٥ ص ١٦٣ . وهو يحيل القارىء إلى ما ورد « بمضابط جمعية البحث الروحى » المجلد الواحد والعشرين ص ٢٣٠) .

وهذا الاعتبار الأخير يبرز خطورة دور الإرادة الإنسانية مع الجهاد والمثابرة فى أمور كثيرة . وهذه الإرادة يسلم بها علم الروح الحديث ، فلم ينكرها أحد من علمائه وهى تعمل دائماً داخل إطار من نواميس الحياة الروحية والخلقية وعن طريقها ، لأن هذه الإرادة تمثل ناموساً حياً يقظاً من بين سائر النواميس التى تتفاعل معاً لإنجاح تطور الحياة على النحو المطلوب ، وفى الاتجاه الصحيح .

وإلى جانب الموهبة الطبيعية، مع الإرادة والتصميم، ينبغى أن تتوافر للوساطة الراقية الناجحة مجموعة كافية من الصفات الخلقية النبيلة ، مثل قدر وافر من المحبة ، ومن إنكار الذات ، ومن البساطة، والوداعة، ومن الترفع عن الضغائن والأحقاد ، وعن التعلق الشديد بالماديات ، وذلك إلى الحد الذى وصفه الشاعر لورد تنيسون Tennyson عندما قال « إن من يستطيع أن يناجى الموتى ساعة من الزمان لابد أن يكون طاهر القلب ، سليم العقل ، ذا عواطف قدسية فياضة . . »

خامساً : وإذا أضيف إلى ذلك أن أساليب العيش ، والانتقال ، والعمل ، والاطلاع ، والتعاطف ، والاجتماع ، والابتكار ، ومشاهد الحياة مغايرة تماماً لما نعرفه هنا ، فهل يستغرب بعدئذ حدوث بعض التطور فى شاعرية شوقى ؟! بل هل يرجع روح شوقى هناك إلى نفس القواميس والمراجع التى كان يرجع إليها هنا ؟! وهل يراجع بنفسه شعره الخاص كما كان يفعل هنا ؟!

إن السيدة الوسيطة تقرر بحسب إحساسها الخاص أنه يضع أغلب شعره أثناء الإملاء لا قبله، لأنه أحياناً حتى فى أثناء الإملاء الغزير السريع يملى شطراً من بيت ويتركه على حاله ثم يعود إليه فيما بعد ، كما يملى أحياناً كلمات كثيرة تصلح للقافية ، قبل أن يضعها فى أبيات معينة ، بالإضافة إلى أنه كثيراً ما يعمد إلى التصحيح والتبديل ، وإلى تغيير مواضع بعض الأبيات ، وهذا كله ينفى الإعداد

السابق لهذا الشعر ، كما أن من شأنه أن يجعل دور المراجعة لا يستهان به ، رغم أن نسبة الخطأ فى المتابعة بسيطة فى غالب الأحيان ، أما نسبة الصواب فمن المحال أن تعللها القوانين الرياضـــــية عن المصادفة ، التى لا يحتاج إليها هذا المقام .

هذا عن عملية الإملاء فى حد ذاتها ، أما عن ذكريات شوقى الدفينة عن حياته الدنيوية ،وعن أسرته ، وعن «شوقياته» ، وعن « كرمته » ،وعن بلاده . أما عواطفه الفياضة،أما ميوله الراقية ، أما أفـكاره الزاخرة ، أما أسرار بلاغته، أما طاقاته الشعرية واللغوية ، أما تراكيبه — التى انفرد بها — فى كل رصانتها وجزالتها — أما اتجاهاته الروحية والخلقية والوطنية والقومية ، أما قدرته على النَفَس الطويل ، وعلى الحـكم الـكثيرة المتلاحقة — وهى أيضاً قدرات انفرد بها شوقى — أما إحساسه المرهف للنقد وللإعجاب معاً .. أما كل هذا من معالم مميزة لا تقبل المباراة ولا المحاكاة فتنطق به أشعاره المملاة فى جملتها وفى تفاصيلها الدقيقة ، وعلى ذلك أجمع كبار الخبراء والنقاد الفاحصين الذين بعثوا بآرائهم متطوعين مشكورين ، وقد بلغ عددهم — حتى الآن — سبعة عشر خبيراً وناقداً .

* * *

ومن أعجب ما سمعت فى حياتى أن أحد ناقدى الروحية علّق على بعض هذه التقارير — وهى لم تنشر كلها من قبل — بأنها لا تحوى الحقيقة كاملة ، بل هى — فى شأن هذه الأشعار بالذات — مجرد « مجاملة »! .. مجاملة ؟ ! يا سبحان الله هل هذا مقام مجاملة ؟ ! إذاً لقد نسى هؤلاء العلماء الـكبار مسئوليتهم — فجأة — إزاء ضمائرهم ، وإزاء محكمة التاريخ وما أقساها ، وإزاء جمهور قرائهم وتلاميذهم وما أكثرهم ، وإزاء قضية الشعر والأدب وما أخطرها ،وإزاء ذكرى شوقى أمير الشعر وأستاذ أغلبهم ! ! بل لقد نسوا حتى مسئوليتهم إزاء مكانتهم العلمية الضخمة

وصحة تقديرهم للأمور .. وأقدموا على انتحار أدبى وعلمى معاً كيما يجاملوننى أنا الغريب عنهم تماماً ، الذى لا صلة لى مطلقاً بهذا الشعر إلا كصلتهم هم به ، لأنه لم يصدر عنى ، ولم يصدر عن طريقى ، وما أنا فحسب إلا مقتنع - مثلهم - بصحة مصدره غير المادى ! ! . .

أم أن المجاملة — يا أستاذ — هى للسيدة الوسيطة التى لا يعرفونها ، ولم يسمعوا عنها إلا بسبب هذه الأشعار ، ولم يقابلها منهم أكثر من أربعة : ثلاثة رأوها مرة واحدة ، وواحـــد رآها مرتين ، وكان ذلك لمجرد اختبار ملكاتها ومعلوماتها الأدبية ، وبالتالى للتحقق من صحة دعواها التى تحف بها الخطورة من كل جوانبها ؟ !

يا أستاذ يامن تدفع الحقيقة الروحية « بالمجاملة » اتقِ الله فيماتقول ! وابحث لك عن ذريعة أخرى إذا وجدت، وهيهات أن تجدها.. أما هذا الذى تقوله فهو محض هراء يمثل ذروة ضياع المنطق ، والفهم الصحيح للأمور ، واعلم أن الدافع الوحيـد الذى دفع كل هؤلاء العلماء والنقاد الـكبار إلى الـكلام هو أن النفوس العظيمة تقف من الأمور الجدية موقفاً جدياً .أما النفوس السطحيةفهى تهزل ، وهى تـكابر حباً فى المـكابرة ، لأنها خصلة لا تنفصل عن طبيعتها ،وعن أسلوبها فى الهرب الانفعالى من مواجهـــة الحقائق الخطيرة التى هى أشد عمقاً وارتفاعاً من مستوى تصورها السطحى ، وقدرتها على تفهم الأمور العويصة الدقيقة .

ولو اقتصرت البيِّنة على بيان مجرد الرأى لهان الأمر ، لـكن تقارير الخبراء — كما ترى — قد بينت أسانيد هذا الرأى مستفيضة حاسمة فى العلامات المميزة التى لاحظوها فى هذه الأشعار بعد دراسات متأنية ومتحفظة امتدت عندهم إلى شهور طويلة ، وتناولت الآلا ف من الأبيات المملاة التى يتعذر تماماً على أى

شاعر تقليد شيء منها إلا يكون هو شوقي نفسه ، حتى ولو كان في مستوى آخر من مستويات الوجود غير المحدود .

وإذا كان لى أن أضيف شيئاً إلى هذه العلامات المميزة التي لا تخطىء ، وذلك بحسب إلمامى المحدود بشاعرية شوقى ، وبحسب المضاهاة التى قمت بها بنفسى بين هذه الأشعار وبين ما هو وارد فى «الشوقيات» المطبوعة ، فهو ما لاحظته من أن شوقى يميل بفطرته إلى الإكثار من استخدام الألفاظ الصعبة النادرة كوسيلة لإحيائها من جانب ، ولإثراء الجزالة الشعرية من جانب آخر ، حتى أنه إذا صادف لفظين يؤديان معاً نفس المعنى ، فالاختيار عنده دائماً ـ حتى بعيداً عن مستلزمات القافية ـ للفظ الصعب النادر ، لا للفظ السهل الشائع رغم أنهما من وزن شعرى واحد !

ومن هذا القبيل من الكلمات التى وردت فى شعره المملى : سجوف بمعنى قبور ، وسواهك بمعنى عواصف ، وسُنح بمعنى يُمْن ، وأخدان بمعنى إخوان ، وأيائم بمعنى أرامل ، وسَدَمْ وشَجَبْ بمعنى حَزَنْ ، وسَدْم بمعنى قبر . وهُوْن بمعنى خِزْى ، وحيْن بمعنى موت ، وحدِّدَتْ بمعنى شحِّذت ، ونكْر بمعنى قُبح ، ونُكل بمعنى طبعْ ، ومقتم بمعنى مظلم ، وزنيم بمعنى ذميم ، ورقيم بمعنى كتاب ، وناجز بمعنى حاضر ، وموارب بمعنى مخادع ، وغَسَم بمعنى ظُلَمْ ، ورقَشَ بمعنى نَقَشَ ، ولهبان وصديان بمعنى عطشان ، وقضبان بمعنى أغصان . . وهكذا فى العديد من الألفاظ الصعبة الأخرى التى لها ما يقابلها من الألفاظ السهلة التى كان يمكنه استخدامها لو شاء . وذلك بخلاف سلسلة لا تكاد تنتهى من ألفاظ المعاجم اللغوية التى يتوه فيها اللغويون الكبار ، وهذا كله يمثل مزاجاً خاصاً بشوقى لا يشاركه فيه أحد غيره .

ومن هذه العلامات أيضاً حبه لبعض صور البادية والصحراء فى شعره أسوة بشعراء العرب الأقدمين الذين كان ولا يزال يحب مشاركتهم أحياناً ليس فحسب فى أسلوب

الشعر ، بل فى صورهم ومحسوساتهم المادية رغم قربهم منها وبعده هو عنها . ولذا نجده مثلا فى قصيدة « هذا نداء الخلد يهتف عالياً » يكثر من الحديث عن البيد والرعيان ، والنوق والغزلان ، والذئبان والضبمان ، والنعمان والجرذان ، والفلا والقطعان ، والأشهر الحرم ، وعناصر الكون كما كانت معروفة فيما مضى (وهى النار والهواء والماء والتراب) لا عناصره كما هى معروفة الآن . . . وغير ذلك من سائر الصور والمحسوسات القديمة فى بعض قصائده ، هذه الصور التى يتعمد عرضها على القارىء لا كهدف مقصود لذاته ، بل كيما يلقى خلالها بالحكمة بعد الحكمة فتكون أقوى إلقاء وأعمق أثراً .

ويقابل هذه الصور والمحسوسات القديمة فى بعض قصائد الروح بعض صور ومحسوسات أخرى حديثة فى البعض الآخر من قصائده المملاة التى تحدث فيها — بقدرته المعهودة — عن رواد الفضاء والوصول إلى الأقمار ، أو تلك التى تحدث فيها عن الأثير والاتصال اللاسلكى ، أو عن الظواهر الوساطية الحديثة ، وذلك فى أكثر من قصيدة عصماء بلغت إحداها مائة وستين بيتاً ! . . وهذا التفاوت الضخم فى الصور الشعرية يمثل أيضاً مزاجاً خاصاً بشوقى لا يشاركه فيه أحد غيره ، وهكذا من العلامات الحاسمة الدالة على شخصيته ، والتى لا تنتهى .

وإذا كانت القصائد المملاة ، والتى تعد أبياتها حتى الآن بالآلاف العديدة ، تحمل كل هذه العلامات الحاسمة ، فإن رواية « عروس فرعون » ، التى جاوزت فى الضخامة أية رواية أخرى من روايات شوقى بمئات من الأبيات[1] ، تحمل نفس هذه العلامات بصورة لعلها أكثر حسماً من القصائد ، إذا صح هذا التعبير .

وذلك لأن صياغة الحوار المسرحى شعراً عالياً تحتاج إلى قدرة خاصة لم يحزها فى تاريخ الشعر العربى كله أحد قبل شوقى ، وحازها بعده اثنان أو ثلاثة فقط .

---

(١) فمثلا تتكون رواية « مصرع كليوباترا » من حوالى ألف ومائتى بيت ، حين تتكون رواية « عروس فرعون » من أكثر من ألف وستمائة بيت !

فإذا أضيف إلى هذه القدرة الخاصة النادرة توافر نفس أسلوب شوقى المميز فى الحوار المسرحى ، وطابعه الخاص ، واتجاهاته الفرعونيـــة والخلقية ، وجرسه الموسيقى ، وطاقته الشعرية والبلاغية التى لا تبارى ، لوضح تماماً أننا إزاء دليل مادى شامخ، عميق الغور ، بعيد المدى لا يقبل — بعد — مناقضة جدية من أى متحدث باسم العلم أو الأدب .

وإذا أضيف إلى ذلك كله هذا النثر الفنى المتدفق الذى هو صورة طبق الأصل ـ ويستحيل فيها التقليد تماماً ـ من النثر الموجود فى « أسواق الذهب » و « شيطان بنتاؤور » ،وفى بعض صفحات « الشوقيات » المعلومة و «المجهولة » — ومع مراعاة أن شوقى هو الشاعر الوحيد فى تاريخ الشعر العربى الذى جمع بين ملـكة الشعر الراقى وهواية هذا النوع الفريد من النثر المسجوع ـ لوضح تماماً أن البينة هنا ليست فقط جيدة ، بل إنها جاوزت الحدود اللازمة للاقتناع العلمى المتحفظ المحايد ، مهما كابر فى الوقائع المـادية والحقائق الدامغة المـكابرون من أصحاب الأفق الضيق ، ومن أسرى الاعتداد بحواسهم الخاصة ، وبمعلوماتهم المحدودة .

عن شهادة الوجـــدان

ولا ريب أنه من مجموع هذه الحقائق يمكن للعقل أن يستنتج بقاء شخصية الإنسان بكل مقوماتها بعد انفصالها عن جسدها المادى . فهذه الشخصية لا تفنى بالموت كما يزعم المذهب المادى للوجود ، بل تنطلق إلى حياة أخرى ، هى الحياة الحقيقية فى أروع صورها، وأكثرها امتلاء بالبهجة، وبالحيوية، وبالعمل المثمر .

وكأنما الإنسان يتحول بالموت من محض شرنقة تعيسة ، أو دودة شوهاء تزحف بين الأوحال والجحور إلى فراشة سعيدة تحلق بين الأفنان والزهور . وعلى هذا المعنى أجمعت نتائج الدراسات الروحية فى كل مكان، حتى لقد جعلت من هذه

الحياة الأخرى كشفاً علمياً ورياضياً بكل معنى الكلمة ، بعد أن كانت محض اعتقاد فلسفى ودينى على نحو أو آخر . وهى لم تعد حياة سلبية خاملة، بل حياة أخلاقية حافلة بكل صور النشاط الإنسانى النبيل ، وبالتالى بكل صور التفاعل بين مباهج الحياة وكفاحها ، وبين انتصاراتها وهزائمها المتبادلة ، لكن على صورة أرق وأرقى بكثير مما يجرى فى عالمنا المادى البغيض الغارق فى أوحاله ، وأحقاده ، ورذائله ....

وهذا الانفصال عن الجسد المادى للدخول فى باب الحياة المتحررة فى أروع صورها تحدث عنه روح شوقى - كما تحدث عنه كثير من الأرواح من قبل - لكن الحديث جاء هنا شعراً عذباً جميلاً تجد فيه تصويراً صادقاً لا يمكن أن يرقى إليه خيال إنسان لم يغادر عالم المادة بعد ، فما بالك به إذا لم يكن شاعراً ولا أديباً كالسيدة الوسيطة ؟ ! انظر إلى الروح وهو يقول فى تقديم رواية « عروس فرعون » : -

هيهات روعى فى غياهب رقدتى　　　بل هاجنى عقم اليراع إذا انثنى

ثم وهو يقول :

أوّاه من خلق الزمان إذا التوى　　　ومن ارتضاء أن أساق وأدفنا !

ثم وهو يقول :

ورأيتنى كالحرز حُرِّر سافراً　　　فى جلوة والروح يرتقب الجنى [١]

* * *

ثم انظره وهو يقول فى قصيدة « صوت من الغيب » : -

إن كنت فى أوج الخلود مردّداً　　　حبى لمصر ففى ثراها مرقدى

يا مصر جوزيتِ السلام ملاحقاً　　　كم كان عطفك رائعاً فى «مشهدى» [٢]

إلفٌ مضى وتداومين تعلّقاً　　　بالذكريات ، وبالصمود لحسَّدى

---

(١) راجع القصيدة برمتها فى ص ٤٢ ، ٤٣ .　　(٢) فى جنازتى .

خلتُ النوى حتماً يفرّق شملنـا بعد التغيب فى شعاب موسّدى
فيذوب فى سمع العروبة ما انطوى من عهد « شوقى » ، والفناء مهددى
فالعرف إن يغشّ الضباب حفيرتى تجب الروائع حيث أسقط فى يدى[1]

* * *

ثم انظره وهو يقول فى قصيدة « ذكريات » —

ويحى إذا طمس المعالم ضارحٌ وشكا هشيمى ضحكة العذّال
أترى سأذوى كالأجنة فى الثّرى تخفى رفاتى كومة الأطلال ؟
أبظلمـــة القبر الرهيب نهايتى وأتوه طىّ مكامن الأجيال ؟
ناجيت ربى فى خشوع ضراعتى هبنى شعاع الهدى يا متعالى[2]

* * *

ثم انظره وهو يقول فى قصيدة « حنين الذكريات » : —

يالى وما فى الذكريات من الأسى والبعـد بالحرمان أصبح قاسياً !
فاليوم لى عينٌ تلاحق ظلهم والدمع للهجران يذرف داميا
شوق وشجو واستعادة لوعـة فى مهجتى والصبر أصبح عاصيا[3]

* * *

ثم انظره وهو يقول فى قصيدة « تحية وعرفان » : —

ورغم التخفى أرى الأمناء فلست قصياً بغـــور الحُفَرْ
أطوف وأصغى لمدح النـديم إذا ما ترحم ثم اعتـــــــبر
وأحصى على الناقدين الخطى أحيى النزيه مجيـد الحـذر
وأرثى لحقدٍ وقذفٍ يضـير وما فى تراثى نظيم أضر[4]

* * *

(١) راجع ما سبق ص ١٥٤، ١٥٥ . (٢) راجع ص ١٥٨، ١٥٩ . (٣) راجع ما سبق فى ص ١٦٠ ، ١٦١ ، والحديث هنا عن شجو البعاد والاحتجاب عن الأحباب .
(٤) راجع ما سبق فى ص ١٦٢ ، ١٦٣ .

ثم انظره وهو يقول فى قصيدة رائعة يحيي فيها المحتفلين بعيد ذكراه فى «المجلس الأعلى لرعاية الفنون والآداب والعلوم الاجتماعية» .

بالأمس رددت الفواجع لوعتى ونعى الزمان منيّتى وهمودى

وتحطمت عبر النوى قيثارتى واللحن عاد مهاتراً بالعود

وتطاول النسيان يعلن غيبتى ويروم طمر معالى وبنودى

فأنا الطموح وما عييت مقيداً فأعذت روحى من ضنى المصفود

لأعيد أغنية القريض لأوجها وهوى العروبة رائدى ومعيدى

فخذوا يمينى ما حنثت بعهدها مصر الربوع ومرتع المسعود

عشتم وعاشت والسلام يظلكم وأنا الشكور بوقفتى وقصيدى[1]

وعلى هذا المنوال من الروعة والإبداع تجرى قصيدة بلغت أبياتها خمسة وخمسين بيتاً ، وما هى إلا واحدة من عشرات من القصائد يتحدث فيها عن نفسه، وعن انتقاله ، وعن حالته الراهنة كروح .

* * *

ثم انظره وهو يقول فى بعض رباعياته الغزيرة الجميلة : —

لا على « شوقى » فشوق الروح آى المعجزاتْ

شعلة الأشواق إذ تغزو الحنايا الخافقاتْ

فردها والله « شوقى » فى حياةٍ أو مماتْ

لا يدانينى شغوفٌ يرتجى فى الكائنات

---

(١) راجع مطول « الإنسان روح لا جسد » طبعة ٣ ج ١ ص ٨٠١ — ٨٠٤ .

ثم وهو يقول محدثاً مصرنا العزيزة :

فاذكريني مثلمـــا آليت أن أرعى الودادْ
انصفي بالله « شوق » واقصري شق البعادْ
وارتضيني في عــداد الحى لمــاح العتــاد
ما دعا يومــاً لدرء الخطب داعٍ للجهاد

* * *

إيه مصر أنت مهـدٌ أنت لحــد المستهيم
طوّف الرواد في وادي حمــاك المســــتديم
دولة دالت وأخــرى قد توارت في الأديم
واعتليت المجد — والأجيال تعــلو — من قــديم[1]

* * *

ثم انظره في « رسالتي إلى ولدي علي » يوجه الخطاب إليه قائلا : —

ما كنت يوماً للزوال فريسةً — « شوق » سما للخلد مذ ودَّعته
لاتحسبنّ بحق حبك أنني — فرد طفيف قد مضى وسـلوته
كلا « عليّ » أنت أدرى من أنا — أيقنتَ حزمي في الضنا وبلوته
ما كان رأيي أن أطأطىء هامتي — فانصاع دهري صاغراً وشهدته !

ثم قائلا :

الروح مقدرة القدوم بخلوةٍ — تحويه بالوجـدان إن أرهفته
في همســة الـكلم المنمق سّره — من منبت العرفان ما طالعته
هذي القطوف بعرفها من « كرمتي » — كم راقك العنقود يوم قطفته[2]
فارشف كؤوس الوحي طي رسالةٍ — ساغت بما حليتها ، وألفته[3]

* * *

(١) عن المرجع السابق ج ١ ص ٨٢٤ ، ٨٢٦ ، ٨٢٧ .
(٢) الحديث عن « كرمة ابن هانيء » ، وهو اسم داره في الجيزة ، وعن أشعاره القديمة .
(٣) عن المرجع السابق ج ١ ص ٧٧٣ — ٧٧٥ .

ثم انظره فى قصيدة « فى المهرجان » يخاطب الحاضرين قائلا : —

يامنيةً عرضت للروح فاقتدرت فضَّ المغلَّف من إسطاع أزمانى

ما جولتى كهباء الحلم أخيلةٌ بل فى العداد أنا حىٌّ بتبيانى

والروح خالَ ليان العيش عاوده يدنى القطاف جنى من « كرمة الهانى »

فاختار راسية[1] النظار[2] مغتبطاً يرنو لحاضر ما يعزى لأوزانى

تشجيه ما وسمت أنغام ملحمتى من متعةٍ كنت فى صوغ ألحانى

بالأمى وحنين الأمس روّعنى والضن بعد شكاة الحى أصدانى[3]

كم همت مرتقباً أهفو لظاهرةٍ تقصى الطوى[4]، وتداوى كيد حرمانى[5]

* * *

ثم انظره فى قصيدة «عيد الجلاء» وهو يضع فى تقديمها بيتاً قاله هنا قبل مغادرته هذا العالم الفانى يقول فيه : —

والله ما دون الجلاء وبومه يوم تسميه الكنانة عيدا

ثم يعلق عليه « بمعلَّقة » طويلة يقول فى بعض أبياتها : —

آهٍ لو أن ملاك الموت هادننى والغيب أنجب لى روْحاً[6] ولم يذر

والأمنيات تهادت صوب ذى قَسَمٍ تهدى سماحة بشراها لمنتظر

لاسترسلت نفثات الشعر فى لهفٍ تطوى الخليق لتزهى شاهق النضر[7]

حتى لتحتضن الأصقاع لائمةً تبر الثرى، وجمان الفند والحجر[8]

---

(١) رسى راسية : رسخ وثبت (٢) النظار : الشديد النظر .

(٣) تركنى فى عطش . (٤) الجوع . (٥) عن المرجع السابق جـ١ ص ٧٩٩ — ٨٠٠ .

(٦) متسعاً من الوقت . (٧) أى لكتب شعراً جديداً بهذه المناسبة يفوق القديم الذى كتبه .

(٨) الجمان: اللؤلؤ ، والفند : الجبل الشامخ الذى يشبه حجارته باللؤلؤ .

وذلك إلى آخر هذه القصيدة الحافلة بإعجازات التركيب الشوقية[١] .

* * *

ثم انظره في قصيدة يخاطب بها « جمعية الشعراء » قائلا : —

فإن أدنُ فلي فيكم « عزيزٌ »[٢] نديم الشعر أنصره التزاماً

أخي والغيب زودكم يقيناً يفيض الشهد في كأس الندامى[٣]

لئن شئتم مباحثة القوافي فللتبيان اعتزل الملاما

ولي وعيٌ يوازن كل نقدٍ وللإنصاف يرتقب اهتماما

إذا النقاد صال لهم بيانٌ فللنقاد أن يرعوا الذماما

فسيف النقد إذ يغتال سهواً يحطم بالتحامل ما ترامى

وما عِبَرُ الليالي عليَّ تجني لو أن الروح لم يرشق سهاما

وفي عبق النزاهة لي شهيد[٤] يعيذ الروح أن يلقى العقاما[٥]

وما دعواي دون الحق تبني فللخلان أحتكم احتكاما

وما استجديت اطراء يوالي فقد تذكي المجاملة الخصاما

فإن تقصوا بصائبةٍ لروحي لذلتم عواقبه الجساما

ثم يقول فيها : —

فويح الروح إن يصدأ حسامي فما عُوِّدت أن أرضى انهزاما

سأنظم للخلود كريم درٍّ يبثّ الهدي أو يُدوي الكلاما[٦]

تعالى الله في وَهب حباني فبالكتمان لن ألقى الختاما

---

(١) عن المرجع السابق ج ١ ص ٧٩٠ — ٧٩٣ .

(٢) الإشارة إلى الأستاذ الجليل عزيز أباظه رئيس الجمعية وصديقه الوفي

(٣) جمع ندمان وهو نديم السمر . (٤) شاهد . (٥) العقام : داء لا يبرأ منه .

(٦) الجروح .

وعلى هذا المستوى من الروعة يسترسل الروح فى قصيدة قاربت ثمانين بيتا [١].
وقد كان أعضاء الجمعية عند حسن ظن الروح فجاءت آراؤهم متلاحقة « ترعى الذماما » ، على ما أراده الروح وتوقع منهم . ومن الطريف أن هذه القصيدة طلبتها من الروح لجنة للتحدى وحررت بالطلب « وثيقة » ، فأمليت وألقيت قبل مضى ثلاثين ساعة فقط من تحرير هذا الطلب .

* * *

ثم انظره فى قصيدة « إنى أمد من الخلود لكم يدى » وهو يقول فى بعض أبياتها التى جاوزت سبعين بيتاً : -

كم من رثاء يستحق لروحه ... من عاش فى دنيا الغرور كمفرد [٢]

رحماك ربى ، والعياذ من الذى ... فى زيغ [٣] جوّاب [٤] سرى [٥] كمصفد [٦]

أين المقارن فى الوجود بوعيه ... بين المسرَّح فى العلا ومقيَّد ؟

كيما يفيء إلى الظلال من ارعوى ... عن غيه ، وسعى لنهج السجَّد [٧]

يا صاح لا تهب الصعاب فما الدنا ... إلا مجال للوبال [٨] الأربد [٩]

فمن استبد به الغرور سينطوى ... بين الركام بغصة ومكمَّد

فانهض وجاهد للنجاة معانقاً ... سر الخلود وفجر نور السيد [١٠]

فدعوا المكانة فى القلوب تقيةً ... للخالق الرحمن دون تردد

تجمعوا حول الحقيقة واهتدوا ... شأن الحكيم إذا استقام بمعبد

---

(١) عن المرجع السابق جـ ١ ص ٨١٣ — ٨١٧ . (٢) كأنه وحيد زمانه .
(٣) الزيغ : الميل عن الحق . (٤) الجواب : الذى يقطع البلاد .
(٥) سرى : سار ليلا . (٦) كمقيد . (٧) الساجدون لله العابدون .
(٨) الوبال : الشدة . (٩) الأربد ما كان فيه عبرة .
(١٠) السيد : الله جل جلاله .

وتأهبوا قبل الرحيل لساعة بالعسر أو باليسر ختم المولد
وتحملوا بالصبر معركة الوفا إن الحياة جهاد كل مجنَّد
وارعوا الأمانة أن تقدر دعوتى « إنى أمد من الخلود لكم يدى »[1]

* **

وغير هذا كثير جداً مما نلمس فيه أقوى البينات أثراً ، وأوضحها دلالة عن روح شوقى عندما يريد أن يعبر عن شخصيته الراهنة ، وفى نفس الوقت عن ذكرياته الدفينة ، وعن عواطفه الفياضة فى عالم الخلد ، فى أوضح صور الصدق فى التصوير والتعبير ، هذا الصدق الذى يشعر به إحساس القارىء الأمين ووجدانه قبل عقله ومنطقه ، شعوراً قوياً جارفاً بذاته حتى ليبدو فى غنى عن أى تدعيم أو عن أى برهان آخر من شهادة العلماء أو من أقوال السيدة الوسيطة ، أو من ملابسات الإملاء وما أكثرها مع ذلك ، وما أقوى دلالتها لدى كل نظر موضوعى محايد .

وقائع لهـا دلالتها

وثمة وقائع أخرى لها دلالتها القوية ينبغى ذكرها هنا : منها أن شوقى عندما كان يعيش بين ظهرانينا نقد — فى تسرع — موضوع «مناجاة الأرواح» فى قصيدة « ذكرى كارنارفون » مكتشف مقبرة توت عنخ آمون قائلا فيها : —

لا تسمعن لعصبة الأرواح ما قالوا بباطل علمهم وكذابه
الروح للرحمن جل جلاله هى من ضنائن علمه وغيابه
غُلبوا على أعصابهم فتوهموا أوهام مغلوب على أعصابه[2]

(١) عن المرجع السابق ج ١ ص ٨٤٥ — ٨٤٩ .
(٢) منشورة فى « الشوقيات » طبعة ١٩٧٠ ج ١ ص ٨٦ .

لـكن فى جلسة عقدت فى سنة ١٩٥٥ أملى على وسيط بإحـدى جلسات العلامة الأستاذ أحمد فهمى أبى الخير رحمه الله المعارضة الآتية لنفسه : ـ

لا تسمعن لعصبة الإلحاد ما قالوا بباطل زيفهم وكذابه
الله والأرواح كالعـلم العميـــق وكالـكشوف الغرُّ فى ميزابه
بُهت الملاحدة اللئام فغلّبوا أوهام مغـلوب على أعصابه
يا ويح ملتقط البديع يصوغه هزلا يباعد فيـه عن ألبابه !

وكان الإملاء هنا عن طريق وساطة الحروف المضيئة على وسيط هو أبعد ما يكون عن الشعر وفنونه[1] ،وعن المناسبة التى اقتضت من روح شوقى هذه المعارضة لنفسه ، وهى نقاش كان يدور بين الأستاذ أبى الخير وبين أحد معارضى الروحية استشهد فيه المعارض بالأبيات القديمة لشوقى .

على أن الروح لم يكتفِ بهذه المعارضة القصيرة ، بل راح بعد أيام قلائل يملى على السيدة حرم الدكتور سلامة معارضة أخرى فى منزلها ، وذلك فى قصيدة مطولة من نفس البحر والقافية عنوانها « إلى المتشكـكين » مطلعها كالآتى : —

فُضّت رموز الغيب من أحقابه والفتح أزهر من عنان قبابه
وانساب فى العلياء ومضٌ بالنهى يستخلص المطموس من حُجّابه

إلى أن يقول فيها :

ياليت كفَّ عن اليراع مـداده ليحيد عن لذع القويم بصابه
ياقاذف الصوان عمداً بالثرى أقسمت بالرحمن لست بنابه

(١) هو السيد الفاضل أبو سريع غريب محمد العامل الماهر فى بياض الجدران ، الذى كان يملى حروف الـكلمات كما يراها أمامه ، وكان أحد الجالسين يجمعها ، فتـكونت منها هـذه المعارضة الجميلة .

من رام صداً لاتصال مباحث — فى الروح أو من شاد فى ترحابه
فى العلم يلقى كالـكفيف عصيّةً[1] — فيقيم رعداً فى الورى بسبابه
و يزيد سخطاً فى فلاة بحوثهم — ليجرّد العرفان من أثوابه
أنّى لأعشى[2] أن يمحص فى الدجى — غمض الطلاسم فى الفلا وسرابه؟
هيهات تجدى بالتعاسر حجـة — فالروح حـوّم فى حمى أصحابه

وعلى هذا النحو من القوة والانطلاق تجرى القصيدة من أولها إلى آخرها ، وقد بلغت أبياتها تسعة وسبعين بيتاً من فحول الشوقيات[3] . التى قصد بها أن يعـدل عن رأيه السابق ، ويعارض نقده القديم للروحية قبل مغادرته عالم المـادة .

* * *

ولعل مما يجدر ذكره هنا أيضاً واقعة ثانية عن روح شوقى لها هى الأخرى دلالتها البالغة عن رغبته الشديدة وهو فى عالمه الجديد فى الإملاء ، وفى الاتصال بالوسطاء ، كيما يعبِّر عن مشاعره الإنسانيـة الفياضة ، المتدفقة . وهذه الواقعة ما هى بدورها إلا حلقة واحدة من سلسلة مترابطة من البينات المتتابعة التى تأيدت بشهادة جميع العلماء والنقاد . وقد أثبتها بقلمه المرحوم الأستاذ أحمد فهمى أبو الخير فى مجلته « عالم الروح » . ←



وها هى الواقعة بحروفها كما وردت فى عدد ديسمبر من سنة ١٩٥٧ (العدد الثانى من السنة الحادية عشرة) : « جلسنا نسمر

(١) ما يستعصى فهمه . (٢) الذى يرى نهاراً ولا يرى ليلا
(٣) راجع القصيدة بأكملها فى « مطول الإنسان روح لا جسد » طبعة ١٩٧١ جـ ١ ص٧٧٧ ــ ٧٨٣ .

ذات ليلة فى دار شاعر الروح الأستاذ كامل نخلة ، وكان بعض الحاضرين وسطاء للجلاء البصرى والجلاء السمعى ، وجرنا الحديث إلى ذكر بعض الأرواح وتمنينا لو حضروا ، وما هى إلا لحظات حتى حضر منهم روح ولدى نبيل[١]، وروح شوقى أمير الشعراء ، وروح عروس عذراء انتقلت إلى عالم الروح قبيل زفافها بأيام[٢] ، وأخبرنا وسطاء الجلاء البصرى بحضورهم . وبعد أن تم السلام أوصيت شوقى بولدى نبيل فقال على الفور (ووسيط الجـــلاء السمعى يملى ما يقوله) : —

زعاك بالصبر من بالصبر يرعانا   فإنه ها هنا فى عز أخـــرانا

وخطر لى أن أطلب إليه أن ينشدنا قصيدة على غرار قصيدة «سلوا كؤوس الطلا هل لامست فاها» ؟ فأملى على الفور :

أسمى معانى التقى ، والله أسماها   وسلسل البِرّ يجرى من سجاياها

كأنها كوكب فى الفجر مؤتلقٌ   ورحمـــة الله للأحباب ترعاها

ثم مضى يصف العروس الحاضرة معه فقال :

روحى لها طربت فى ليل لقياها   وفارقت همها المـــاضى وشكواها

إذا ذكرتُ سماء الله أذكرها   وإن رأيت رضا الرحمن ألقاها

كانت على الأرض شمساً غير ظاهرة   ومذ مضت ملأت بالنور أخراها

يفوح ريح التقى من ريح طلعتها   ويشرق الطهر من آفاق معناها

ويعلن النور من أسرار روعتـه   ما كان يخفيه عنا فى محيّاها

رفيعة القـدر أعلت قدر رتبتها   على السموات فى الأخرى مزاياها

* * *

(١) كان قد انتقل منذ عامين سابقين إلى عالم الروح ، وهو فى ربيعه السابع عشر إثر مرض قصير . وقد أرسل روح أمير الشعراء فيه قصيدة عزاء جميلة لوالده نشرها فى مجلة «عالم الروح» عدد سبتمبر ١٩٥٥ ، وتجدها أيضاً فى المرجع السابق ج ١ ص ٧٨٣ ، ٧٨٤ .

(٢) هى شقيقة الأستاذ المحترم كامل نخلة المحامى (صاحب التقرير الذى سبق نشره فى ص ٢٢٨ — ٢٢٩) .

فكم طوت بيمين الصبر لوعتها ... وما شكت لسوى الرحمن بلواها
سريعة الصفح تنسى كل سيئة ... إذا المسىء على الضيقات ناداها
وتؤثر الغير حتى عند حاجتها ... وكم بكت لجراح الناس عيناها !
ياليت روحى فى أزيان موكبها ... وليت عينى فى أعقاب مسراها
أوليتنى دائماً فى طيب حضرتها ... منعّم العين ، والنعمى محياها
قولوا «لأحمد» أن لو كنتَ تشهدها ... ما كنت والله فى دنياك تنساها
عليك منى سلام مثل رقتها ... أو يشبه البشر فى أوقات رؤياها

وإلى هنا انتهى من إملاء القصيدة ، فشكرته وسلم هو ومن معه من الأرواح ثم انصرفوا »

احمد فهمى ابو الخير

* * *

وهذه الواقعة الصغيرة الخطيرة تحوى بينّة حاسمة بذاتها ، إذ من يمكنه أن يرتجل — على الفور — معارضة لقصيدة لشوقى من نفس البحر والقافية إلا أن يكون هو شوقى نفسه ؟ ! وهى واقعة تحوى بالإضافة إلى ذلك جميع المعانى الإنسانية النبيلة التى تكشفت عنها البحوث الروحية الحديثة : وهى الحياة المتحررة بعد الموت، المشاعر المتدفقة، الإخاء الإنسانى العام الذى لا يعرف سدوداً ولا قيوداً ، الصلات الوثيقة بين أحياء الأرض وأحياء الأثير ، العزاء الكامل الذى يجىء عن هذا الطريق ولا يجىء عن غيره ، الثواب الرائع الذى ينتظر الأرواح الوديعة التى « تؤثر الغير حتى عند حاجتها » ، والتى « تبكى لجراح الناس عيناها » . . .

وهذا كله — وغيره كثير — من المعانى الرفيعة التى تجعل لهذا الوجود مغزى مفهوماً ، وهدفاً سامياً يرفضه أصحاب الأفئدة الجامدة بإصرار .. هذه الأفئدة التى تأبى قبول أى تطور فى فهم الأمور الروحية حتى ولو كان هذا التطور مؤسساً على أقوى الدعائم ،وعلى أثبت البراهين الدامغة . وهنا لابد من مناقشة

هادئة لهذا الجمود قبل أن أدع القلم الذى أرجو ألا أدعه أبداً قبل أن التقى مع القارىء العزيز على كلمة سواء من الاقتناع المتكامل والفهم المتبادل ·

ماذا عن الجمود ؟

لا ريب أن الجمود على القديم والنفور من كل أمر جديد misoneism ، يعد من نواميس السلوك التى يسلم بها علما النفس والاجتماع· وهو سلوك مريح لصاحبه لأنه يوفر عليه عناء التغيير بل التفكير، وهو يتفاوت تفاوتاً ضخماً بين الأفراد وبين الشعوب · على أنه مهما كان مريحاً فإنه لا يخلو من ضرر جسيم، أقله شأناً أنه مضاد لناموس التطور والارتقاء ، وهو ناموس الطبيعة الأعظم ··

وإذا كان التطور يفتح الباب على مصراعيه لازدهار الحياة فى أعماق الروح والوجدان ، فإن الجمود يغلق نفس هذا الباب إغلاقاً لا رجعة فيه ! ولذا كان الجمود المغالى فيه كارثة حقيقية على هذا الازدهار لا تقل عن كارثة المادية والإلحاد · وهذا الجمود تعود دائماً أن يحمل شعارات عريضة من الإيمان بالله وبالخلود ، وبالثواب وبالعقاب ، لكنها شعارات ما أيسر أن تمثل فى كثير من الأحيان ارتباطاً بالطقس دون الضمير ، وبالشخص دون المبدأ ، وبالشكل دون الجوهر !!

وهذه الشعارات قد تكون من مستلزمات الجمود ، لكن لا يبدو الجمود من مستلزماتها دائماً ، لأنه كما يوجد الإيمان الحرفى الجامد قد يوجد الإيمان المتطور المتحرر . وقد ينتمى صاحباهما إلى مذهب واحد من اعتقاد مشترك ،لأن لكل وجدان أسلوبه الخاص فى فهم الاعتقاد ، وفى تمحيصه ، وفى تطبيقه ، وفى تكييف حياته على أساس منه ، أو غير أساس ! . .

وكثيراً ما يغلق الإيمان الحرفى الجامد — عند عدد ضخم من الناس — باب الاتساق مع أسمى نواميس المحبة ، والتسامح ، وضبط النفس ، والعدل ، والاعتدال ، والوداعة ، والرحمة ، والتطلع إلى الجمال وإلى الكمال ، لكى

يفتح على مصراعيه باب الترهات العريضة والأوهام غير المحدودة ، وبالتالى باب الأنانية ، والاعتداد بالذات، والانطواء القاتل لكل تكوين خلقى سليم ، ولكل إحساس إنسانى كريم ! ! وفى هذا الميدان بالذات فليصلح المصلحون ، ولينقب الباحثون عن علل التخلف ، وعن وجوه الإصـــلاح إن كانوا جادين فيما يصلحون ....

وليضعوا نصب أعينهم أن الشعوب — كالأفراد — تجتر دائماً أخطاءها الخاصة الدفينة المتراكمة ، لا أخطاء غيرها . ولا ريب أن دور التكوين الخلقى — الروحى يكاد يكون هو كل شىء فى مصير الفرد والجماعة معاً ، بقدر ما هو كل شىء فى انفعالات السلوك الفردى والاجتماعى ، هذه الانفعالات التى تتوقف على مدى اتساق هذا التكوين مع أسمى نواميس الحياة التى تهيمن على ســير موكب التطور والارتقاء فى هذا الكون الفسيح الأرجاء

وهذا الاتساق ، أو بالأدق النضال للاتساق مع أسمى نواميس الحياة — على قدر طاقتنا كبشر — هو كل شىء للحصول ، ولو على الأمد البعيد ، على المزيد من ارتقاء الوعى والوجدان فى صراع الحياة التى لا ترحم من لا يناضل للحصول على هذا المزيد . ولا يكون ذلك إلا عن طريق الفهم الصحيح للأمور ، والتطبيق المخلص للفضيلة الأمينة، وأين نحن الآن — بل أين الإنسان — من هذا الفهم، ومن ذلك التطبيق ؟ ! ..

ولا ريب أن البحث وراء أسمى نواميس الحياة التى تهيمن على سير موكب التطور والارتقاء من شأنه أن يغلق الكثير من أبواب الجدل التيولوجى العقيم بل الضار ، وذلك لحساب أبواب أخرى من البحث الموضوعى ليست عقيمة ولا ضارة ، حول أصح السبل للوصول إلى هذا الفهم وذلك التطبيق . وهى سبل من شأنها أن تجمع بنى البشر فى كل الأرجاء ، على كلمة سواء من الفهم المتبادل ، بل من الحب والإخاء غير المشوب بحواجز ولا برياء !

وقد يتحقق هذا الهدف السامى — وهو الإخاء الإنسانى العام — فى آخر المطاف لا فى أوله ، لكنه مع ذلك هدف نبيل ، جدير بالمزيد من عناء النضال فى سبيل تحقيقه ، ولعله أشرف صور النضال قاطبة ، وأسماها وسيلة وغاية فى كل زمان ومكان . .

وهذا المزيد من فهم الفضيلة ومن تطبيقها لا يمكن أن يجىء إلا إذا تحررت العقول تدريجياً من انفعالات الاعتداد بالذات ، وما أقواها خصوصاً عند الجامدين فى كل الأرجاء ، وما أكثر ما تحمل هذه الانفعالات من أوصاف براقة شتى من الاعتقاد ومن اليقين ! وهذا التحرر من الاعتداد بالذات ليس غاية سهلة ، ولا هو خطوة هينة ، بل إنه يمثل نضال العمر بأسره . ولعل لأجله وجدت حياة المادة هذه بكل آلامها المريرة الكثيرة ، ومباهجها العابرة اليسيرة ، كيما تحولنا من أنانيين فى أوسع نطاق إلى غيريين ، ولو فى أضيق نطاق . .

وهو نضال يتطلب حواراً مستمراً للنفس مع نفسها — فى وداعة وفى خشوع — حول مدى صحة موقفها من أسمى نواميس الحياة الروحية والخلقية التى تهيمن على سير موكب التطور والارتقاء ، والتى كثيراً ما ننأى عنها بسبب الاعتداد المفرط بتقديراتنا الخاصة المتعلقة بالشخوص ، وبالطقوس ، وبالنصوص ! أو بالأدق بسبب الاعتقاد الخاطىء بأن هذا الاعتداد المفرط هو جوهر الإيمان ولا شىء عداه ، وبأن هذا هو جوهر الوجدان ولب الحياة !

وعن طريق هذا الحوار الداخلى يمكن التسامى بانفعالات غريزة الإحساس بالمجهول ، وهى انفعالات قابلة بطبيعتها لكل صور التسامى والارتقاء ، ولو على الأمد البعيد ، عندما تعبر عنها خلجات أكثر رقة وحناناً ، وأعمق غوراً ، وأصح من الوجدان مكاناً ... خلجات يحددها للذات هذا الحوار الصامت مع نواميس الحياة الخلقية التى تعرف دائماً كيف تجيب ، وكيف تواجه الحوار العقيم بحوار آخر أبعد ما يكون عن العقم ، لأنه مستمد من حقائق الحياة الروحية الوضعية ،

وأحداثها التى لا تخيب نتائجها أبداً ، والتى تشير كلها إلى ضعة الأثرة ، وعظمة الإيثار بوصفه الطاقة الحقيقية الكائنة وراء كل نجاح وازدهار .

وهذا الحوار الصامت هو أنبل صنوف العبادة وهو عمل جليل من أعمال الوجدان اليقظ ، والعقل النامى الذى لا يتوقف عمله فى حياة ولا فى موت، وهما صنوان إذا سلمنا بأن الموت وهم من أوهام البلبال ، وبأن الحياة حلم ليلةٍ أو بضع ليال ... وعن طريقه يمكن أن ينجح تطور الحياة ، وهيهات النجاح لمن لا يناضل — ولو كان النضال شاقاً طويلا — لأجل المزيد من اتساع الأفق ، ومن نقاء الوجدان ، ومن القدرة على الإيثار والازدهار ...

* * *

ولا ريب أن فى مراعاة هذه الاعتبارات مجتمعة ما يضفى قيمة خاصة على جهود السيدة المحترمة قرينة الدكتور سلامة سعد التى تعمل بتعضيد تام من قرينها الفاضل منذ ربع قرن أو أكثر ، وذلك بمقدار تصدى هذه الجهود لدحض دعاوى الإلحاد والجحود معاً ببيّنة واضحة ، حاسمـــة ، بسيطة بيّنة لو اطلع عليها ديكارت Descartes فيلسوف الشك العنيد نفسه لما وجد فيها منفذاً صحيحاً للشك أو للمكابرة مهما كانت ضآلته، ولزادته إيماناً على إيمان، بالله، وبالروح، وبخلود الإنسان

وهذه البيِّنة العلمية ـ الأدبية ليست هى الوحيدة، لأن السيدة الوسيطة تلقت ولا تزال تتلقى رسائل كثيرة تعبر عن أمزجة متنوعة كثيرة ، لـكن البينة المستمدة من شعر روح شوقى ونثره تتجاوز فى قيمتها كل قياس ، وقد لا يقدّرها حق قدرها بعض رجال هذا الجيل ممن أعدوا أذهانهم مقدماً للمـكابرة على غير أساس من معرفة صحيحة ، ولا من اطلاع كافٍ على الحقائق الروحية ، لـكن سيقدّرها بلا ريب أبناء الجيل الصاعد ممن يعلق عليهم الوطن المفدّى أعظم الآمال .

والحمد لله تعالى الذى بيده الأمر وإليه المآل ؟ ر . ع .

عروس فرعون

وشوقيات جديدة من عالم الغيب

فهرس

الباب الأول

الباب الثانى

رواية عروس فرعون

الباب الثالث

الباب الرابع

الباب الخامس

نماذج من النثر الفنى

الباب السادس

تصويب الخطأ

رقم الصفحة	رقم السطر	خطأ	صواب
٣٣	١٩	Rossin	Rossini
٦٥	٢	عناصر	مناصر
٧٥	٩	صوتى	صوتى
٩٩	٣	لقف	لقف
١٠٦	١١	والثبايا	والشبابا
١٥٥	٩	ولعهد	والعهد
١٦٢	٣	واذكر	وادكر
١٩١	١١	تدبرك	تدرك

للاستعلام ت : ٨٢٤٣٠٨

رقم الإيداع بدار الكتب رقم ١٩٧١ / ١٩٧١
مطبعة نهضة مصر

ملتزم الطبع والنشر
دار الفكر العربي

مطبعة نهضة مصر
الفجالة ـ القاهرة